كتاب اعلام النبوة
تصنيف اقضى القضاة للامام ابى الحسن
على بن محمد بن حبيب الماوردى البصرى رضى الله عنه يرويه عنه رحمه الله الحبر الامام ابو بكر
المبارك بن فاخر بن يعقوب النحوى
المعروف بابن الدباس والحبر الحافظ
شجاع بن فارس السهروردى كلاهما
عنه يرويه عنهما الحبر الامام
سيف الدين يحيى بن
ابراهيم بن احمد
السلماسى
رحمهما الله
تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي احكم ما خلق وقدر وعدل فيما
قسم ودبر وانذر بما انشا واظهر واستاثر بما
أخفى وأسر وأنعم بما أمر وحظر وارشد الى
النذارة بنوعي تفصيل تميز بهما جنس البشر
عن كل حيوان بهيم وهما نطق يفضي الى
الفهم وعقل يؤدي الى العلم ليعان بهما على
ما كلف من اوامر التعبد فيصل بالعقل الى
عمله واستعلامه وبالنطق الى فهمه واستفهامه
فيصير مهيأ لقبول ما كلف من التعارف
ومعانا على ما تعبد به من الشرائع نعمة بها
قطع الأعذار وعمر بها المصالح ليكون الخلق على
رغب يدعوهم الى الطاعة ورهب يكفهم عن
المعصية فيعم الخير بالرغبة وينحسم الشر
بالرهبة وهذا لا يستقر في النفوس الا
برسل مبلغون عن الله ثوابه فيما امر وعقابه
فيما حظر فوجب ان يوضح في اثبات النبوات
ما ينتفي عنه ارتياب مغرور وشبهة
معاند وقد جعلت كتابي هذا مقصورا
على ما أفضى اليه ودل عليه ليكون عن
الحق موضحا وللسرائر مصلحا وعلى صحة النبوة

دليلا

دليلا ولشبهه المسترتيب مزيلا وجعلت
ما تضمنه مشتملا على امرين احدهما اختص
باثبات النبوة من اعلامها والثاني فيما
يختلف من اقسامها واحكامها ليكون الجمع
بينهما انفى للشبهة وابلغ في الابانة وجعلت
ما تضمنه هذا الكتاب مشتملا على احد وعشرين بابا

وانا اسال الله تعالى حسن معونته وارغب اليه في توفيقه وهدايته وصلى الله على محمد وعلى آله وصحابته هو حسبي ونعم الوكيل

الباب الأول في مقدمة الأدلة

والأدلة ما اوصلت الى العلم بالمدلول عليه والدليل معلوم بالعقل والمدلول عليه معلوم بالدليل فيكون العقل موصلا الى الدليل وليس بدليل لأن العقل اصل كل معلوم من دليل ومدلول عليه ولذلك سمي أم العلم فصار العقل مستدلا وان لم يكن دليلا والعلم الحادث عنه يميز به الحق من الباطل والصحيح من الفاسد والممكن من الممتنع وهو على ضربين علم اضطرار وعلم اكتساب فأما علم الاضطرار فهو ما أدرك ببداية العقول وهو نوعان حسن ظاهر وخبر متواتر وعلم الحسن متأخر عن العقل وعلم
الخبر

الخبر متقدم عليه ولا يفتقر علم الأضطرار الى نظر واستدلال لادراكه ببديهة العقل ويشترك فيه الخاصة والعامة ولا يتوجه اليه مجد ولا يحسن فيه المطالبة بدليل لانه غاية لتناهي النظر

فصل

واما علم الأكتساب فطريقه النظر والأستدلال لأنه غير مدرك ببديهة العقل فصح أنه يتوجه اليه الأعتراض فيه ويطلب الدليل عليه فلذلك لم يوصل اليه الا بالنظر والأستدلال وهو على ضربين احدهما ما كان من قضايا العقول والثاني ما كان من أحكام السمع فاما قضايا العقول فضربان احدهما ما علم استدلالا بضرورة العقل والثاني ما علم استدلالا بدليل العقل فأما المعلوم بضرورة العقل فهو ما لا يجوز ان يكون على خلاف ما هو به كالتوحيد فيوجب العلم الضروري وان كان عن استدلال للوصول اليه بضرورة العقل وأما المعلوم بدليل العقل فهو ما يجوز ان يكون على خلاف ما هو به كآحاد الأنبياء اذا ادعى النبوة فيوجب علم الأستدلال ولا يوجب علم الأضطرار لحدوثه عن دليل العقل لا عن ضرورته واختلف

فى اصل النبوات على العموم هل يعلم بضرورة العقل او بدليله على اختلافهم فى التعبد بالشرائع هل اقترن بالعقل او تعقبه فذهب من جعله مقترنا بالعقل الى اثبات عموم النبوات بضرورة العقل وذهب من جعله متاخرا عن العقل الى اثباتها بدليل العقل وذهب اصحاب الالهام الى اسقاط الاستدلال بقضايا العقول وجعلوا اثبات المعارف بالالهام أصلا يغنى عن اصل وهذا فاسد بقول الله تبارك وتعالى فاعتبروا يا اولى الابصار فجعله بالاعتبار مدركا دون الالهام ويقال لمن اثبت المعارف بالالهام لم قلت بالالهام فان استدل ناقضا وقال قلته بالالهام قيل له انفصل عمن اسقط الالهام بالالهام وعمن قال فى الالهام بغير الهامك فى جميع اقوالك فلا يجد فصلا وكفى بذلك فسادا

فصل

فاذا ثبت ان كلا الضربين مدرك بقضية العقل فيما علم بضرورته من التوحيد او بدليله من النبوة صار بعد العلم به واجبا واختلف فى وجوبه هل وجب بما صار معلوما به من قضية

العقل

۱ نسخة علم

العقل او بالسمع فذهب قوم الى وجوب التوحيد
والنبوة بالعقل كما علما بالعقل و يكون التوحيد
وعموم النبوات قبل السمع فرضا وذهب آخرون
الى وجوبهما بالسمع وان علما بالعقل لأن
الوجوب تعبد لا يثبت الا بالسمع واختلف
من قال هذا في وجوب ورود السمع به فأوجبه
بعضهم ولم يوجبه آخرون منهم واسقطوا فرض
التوحيد عن العقلاء اذا لم يرد سمع بإيجابه
وذهب آخرون الى أن ما علم بضرورة العقل
من التوحيد واجب بالعقل وما علم بدليل
العقل من النبوة واجب بالسمع لأن التوحيد
اصل والنبوة فرع والاهتدا دونها فرض على
اعيان ذوي العقول اذا اقترن بكمال عقله
قوة الفطنة وصحة الروية فيستغني بكمال عقله
وصحة رويته عن تنبيه ذوي العقول الوافرة
ليصل باجتهاد عقله من اضطرار او استدلال
الى قضايا العقول فيصير عالما بها و مستغنيا عن
عقل غيره فيها وان ضعفت فطنته وقلت
رويته لزمه ان يتنبه بذوي العقول على
الوصول اليها بعقله لا بعقولهم فيعلمها بالتنبيه
كما علمها غيره بالنظر وان لم يصل اليها بالتنبيه

فليس بكامل العقل ويصير تبعا لذوى العقول
لأن عدم الموجب دليل على سقوط الموجب

فصل

والعقل هو ما أفاد العلم بموجباته وقيل بل هو قوة
التمييز بين الحق والباطل وقيل هو العلم بخفيات
الأمور التى لا يوصل اليها الا بالاستدلال والنظر
وهو ضربان غريزي هو اصل ومكتسب هو فرع
فأما الغريزي فهو الذى يتعلق به التكليف ويلزم
به التعبد واما المكتسب فهو الذى يؤدى الى
صحة الاجتهاد وقوة النظر ويمتنع ان يتجرد
المكتسب عن الغريزى ولا يمتنع ان يتجرد الغريزي
عن المكتسب لأن الغريزي اصل يصح قيامه
بذاته والمكتسب فرع لا يصح قيامه الا باصله
ومن الناس من امتنع من تسمية المكتسب عقلا
لأنه من نتائجه ولا اعتبار بالنزاع فى التسمية
اذا كان المعنى مسلما

فصل

فأما احكام السمع فمأخوذة عمن يلزم طاعته
من الرسل والعقل مشروط فى التزامها وان
لم يكن السمع مشروطا فى قضايا العقول وما
يتضمنه السمع نوعان تعبد وانذار فالتعبد
الأوامر والنواهى والانذار الوعد والوعيد

فان جمع

فان جمع الرسول بين التعبد والأنذار فهو الشرع
الكامل المغني عن غيره وان انفرد بالتعبد دون
الأنذار فان تقدمه انذار غيره كمل الشرع
بتعبده وانذار من تقدمه وان لم يتقدمه انذار
من غيره امافي مبادى النبوات اوفيمن لم تبلغهم
دعوة الأنبياء فقد اختلف في قضايا العقول
هل تقتضي الثواب على الطاعة والعقاب
على المعصية فذهب فريق الى اقتضائها لذلك
فعلى هذا يكون شرعا كمل بتعبد الرسول
وانذار العقول وذهب فريق الى ان قضايا
العقول لا تقتضي ثوابا ولا عقابا فعلى هذا
اختلف في التعبد هل يكون مستحقا على ما تقدم
من نعمة الله تعالى على خلقه اولجزاء مستقبل
فذهب فريق الى استحقاقه بسابق النعمة فان
وعد الله تعالى ثوابا عليه كان تفضلا منه
يستحق بالوعد دون التعبد فعلى هذا يكون
التعبد فرضا مستحقا يقتضي تركه عقابا وان
لم يقتض فعله ثوابا وذهب آخرون الى
استحقاقه بما يقابله من الجزاء بالثواب
عليه وما تقدم من النعمة تفضل منه فعلى
هذا يكون التزام التعبد مستحبا وليس

بمستحق فلا يلزم تركه عقاب كما لم يستحق على
فعله ثواب لأنه لم يقترن به وعد بثواب
يوجب التزام التعبد وان انفرد الرسول بالانذار
دون التعبد فالانذار لا يكون الا على فعل والا كان
عبثا لا يصدر عن حكيم فان كان انذاره على شرع
تقدمه تضمن انذاره اثبات ذلك الشرع وكان
هذا المنذر من امة ذلك المتعبد فان كان
قد انذر كان هذا الانذار تاكيدا ولم يحتج
المنذر الى اظهار معجزة وان يكن المتعبد قد
انذر تكامل شرع المتعبد بانذار المتاخر
وتكامل انذار المتاخر ~~بانذار~~ بتعبد المتقدم
واحتاج المنذر الى اظهار معجزة لأن انذاره
موجب لكمال الشرع وان انذر المتاخر على فعل
الخير واجتناب الشر خرج عن حكم الشرع الى
الواعظ والزجر بامر الهي يستحق به بسط اليد
في الانكار واستيفاء ما تضمنه الانذار

الباب الثاني

في معرفة الاله المعبود لا يصح التعبد ببعثة
الرسل الا بعد معرفة المعبود المرسل ليعلم
انهم رسل مطاع معبود فيطاعوا لغرض طاعة
المعبود والمعبود هو الله تعالى المنعم على عباده

بما الهمهم

بما كلفهم من عبادته وافترض عليهم من طاعته
بعد النعمة عليهم بخلق ذواتهم والارشاد
الى مصالحهم فاستودعهم علم اضطرار يدرك
ببداية العقول وعلم اكتساب يدرك بالفكر
والنظر ولما كانوا محجوبين عن ذاته لم يدركوه
ببداية الحواس اضطرارا وقد ظهر من اظهار
صنعته واتقان حكمته ما يوصل الى معرفة
ذاته وصفاته اكتسابا لادراكها بالاعتبار والنظر
ولو شاء لخلق ما يدرك ببداية الحواس لكن
معرفته بالاستدلال ابلغ فى الحكمة لظهور
التباين فى الرتبة فلذلك ما امتنع الوصول
الى معرفته اضطرارا ووصل اليها استدلالا
واكتسابا يخرج عن بداية العقول الى استدلال
معقول والذى يودى الى معرفته يشتمل على
ثلثة فصول احدها ان العالم محدث وليس
بقديم والثانى ان للعالم محدثا قديما والثالث
انه واحد لا شريك له فاما بد والفصل الاول
فى حدث العالم فالمحدث ما كان له اول والقديم
ما لا اول له والدليل على حدث العالم شيئان
احدهما ان العالم جواهر واجسام لا تنفك من
اعراض محدثة من اجتماع وافتراق وحركة

وسكون وانما كانت الأعراض محدثة لأحد
امرين احدهما انه لا يصح قيامها بذواتها
والثاني لوجودها بعد عدمها وزوالها بعد
وجودها وما لم تنفك عن الأعراض المحدثة لم
يسبقها لأنه لو سبقها لكان لا مجتمعا ولا
مفترقا ولا متحركا ولا ساكنا وهذا مستحيل
فاستحال سبقه لها وما لم يسبق المحدث
فهو محدث فان قيل فليس يستنكر بأن
تكون الحوادث الماضية لا اول لها فلم يلزم حدث
العالم قيل اذا كان لكل واحد من الحوادث اول
اول استحال ان لا يكون لجميعها اول لأنها
ليست غير احادها فصارت جميعها محدثة
لأنها ذوات اوائل محدثة والدليل الثاني على
حدث العالم وجوده محدودا متناهي الأجزا
والأبعاض وما تناهت اجزاؤه وامكن توهم
الزيادة عليه والنقصان منه كان تقديره على
ما هو به دليلا على ان غيره قدره اذ ليس كون
ذاته على صفته باولى من كونه على غيرها
لولا تقدير غيره لها فان قيل فلم لا كانت طينته
قديمة واعراض تركيبه وتصويره حادثة كافعال
الله تعالى حادثة عن ذاته القديمة قيل لأن

حدوث

حدوث اعراضه فيه وهو لا ينفك منها فصار
محدثا بها وافعال الله تعالى حادثة في غيره فلم
يمنع حدوثها من قدمه ولو حدثت فيه لمنعت
من قدمه

فصل

واما الفصل الثاني ان للعالم محدثا قديما فالدليل
على ان له محدثا شيئان احدهما انه لما استحال
ان يكون العالم محدثا لذاته لافضايه الى وجوده
قبل حدثه دل على ان محدثه غيره والثاني ان
وجود ما لم يكن يوجب ان يقتضي موجدا كما
اقتضى المبني بانيا والمصنوع صانعا والدليل
على قدم محدثه شيئان احدهما انه لا أول
له وما لا أول له قديم والثاني انه لو لم يكن
قديما لاحتاج الى محدث ولاحتاج محدثه الى
محدث ولا نتهى الى ما لا غاية له فامتنع وثبت
قدمه انه لم يزل ولا يزال فلم يكن له أول
ولا يكون له آخر واذا كان محدثه قديما وجب
ان يكون قادرا مريدا والدليل على قدرته
انه يصح منه ان يفعل ولا يفعل مع انتفاء
الموانع وقد فعل فدل وجود الفعل منه على
قدرته عليه والدليل على انه مريد انه لما
وجد منه الفعل وهو غير ساه ولا مكره

ولا عابث لانتفا السهو عنه بعلمه وانتفا
الاكراه عنه بقدرته وانتفا العبث عنه
بحكمته دل على ارادته كما كانت كتابة الكاتب
مع انتفا هذه العوارض دليلا على ارادة
كتابته فصار احداثه للعالم دليلا على قدمه
وحدوث افعاله وقدمه يوجب ان تكون
صفات ذاته قديمة لقدمه وحدوث افعاله
يوجب ان يكون صفات افعاله محدثة

فصل

واما الفصل الثالث انه واحد لا شريك
له ولا مثل فالدليل عليه شيئان احدهما
ان عموم قدرته شامل لجميع المحدثات فوجب
ان يكون محدث بعضها محدثا لجميعها اذ ليس
بعضها بأخص بقدرته من بعض فاوجب
تكافى الأمرين عموم الجميع والثانى انه لو كان
معه غيره لم يخل ان يكون مماثلا او مخالفا
فان خالفه بطل ان يكون قادرا وان ماثله
استحال وجود احداث واحد من محدثين كما
استحال وجود حركة واحدة من متحركين وذهبت
الثنويه من المنانية الى اثبات قديمين هما
عندهم نور وظلمة تحدث الخير عن النور
والشر عن

والشر عن الظلمة وهذا فاسد من وجهين
احدهما ان النور والظلمة لا ينفكان من ان
يكونا جسما او جوهرا او عرضا وجميعها محدثة
فدل على حدوثهما والثاني ان الظلمة ليست
بذات وانما هي فقد النور عما يقبل النور ولهذا
اذا فقدنا النور عن الهوا تصورناه مظلما فلم
يجز أن يوصف بقديم ولا يضاف اليها فعل
وذهب المجوس الى ان الله تعالى والشيطان
فاعلان فالله تعالى فاعل الخير خالق الحيوان
النافع والشيطان فاعل الشر وخالق الحيوان
الضار قالوا لأن فاعل الشر شرير ويتعالى
الله عن هذه الصفة وجعلوا لله تعالى
جسما وان كان قديما واختلفوا في قدم
الشيطان فقال به بعضهم وامتنع من قدمه
زرادشت واكثرهم واختلفوا في علة حدوثه
فزعم زرادشت ان الله تعالى استوحش نفكر
فكرة ردية فتولد منها أهرمن وهو ابليس وقال
غيره بل شك فتولد الشيطان من شكه وقال
آخرون بل حدث به عفن فتولد الشيطان
من عفنه وهذه اقاويل تدفعها العقول اما
جعلهم لله تعالى جسما فدليلنا على حدوث

الاجسام يمنع ان يكون الله تعالى مع قدمه
جسما ودليلنا على التنوية يمنع ان يكون
الشيطان مع الله ثانيا واثبات قدرته يمنع
ان يكون مغلوبا وعلمه يمنع ان يكون شاكا
او مفكرا وانتفاء الحزن عنه يمنع ان يكون
مستوحشا وامتناع الفساد عليه يمنع ان يكون
عفنا وقولهم ان فاعل الشر شرير قبل خروجه
عن قدرته مثبت لعجزه فوجب ان يدخل في
عموم قدرته

فصل

فاما النصارى فقد كانوا قبل ان تنصر قسطنطين
الملك على دين صحيح في توحيد الله تعالى
ونبوة عيسى عليه السلام ثم اختلفوا في
عيسى بعد تنصر قسطنطين وهو اول من
تنصر من ملوك الروم فقال اوائل النسطورية
ان عيسى هو الله وقال اوائل اليعاقبة انه
ابن الله وقال اوائل الملكية الملكانية ان
الاله ثلثة احدهم عيسى ثم عدل اواخرهم عن
التصريح بهذا القول المستنكر حين استكبرته
النفوس ودفعته العقول فقالوا ان الله تعالى
جوهر واحد وهو ثلثة اقانيم اقنوم الاب
واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانها

واحدة في

واحدة فى الجوهرية وان اقنوم الاب هو الذات
واقنوم الابن هو الكلمة واقنوم روح القدس
هو الحيوه واختلفوا فى الأقانيم فقال بعضهم
هي خواص وقال بعضهم هي اشخاص وقال بعضهم
هي صفات وقالوا ان الكلمة اتحدت بعيسى
واختلفوا فى الأتحاد فقال النسطورية معنى
الأتحاد ان الكلمة ظهرت حتى جعلته هيكلا
وان المسيح جوهران اقنومان احدهما الدهي
والآخر انسانى فلذلك صح منه الأفعال
الألهية من اختراع الأجسام واحياء الموتى
والأفعال الأنسانية من الأكل والشرب
وقال اليعاقبة الأتحاد هو الممازجة حتى صار
منهما شيئ ثالث نزل من السماء وتجسد
من روح القدس وصار انسانا هو المسيح وهو
جوهر من جوهرين واقنوم من اقنومين جوهر
لاهوتى وجوهر ناسوتى وقال الملكانية المسيح
جوهران اقنوم واحد وليس لهذه المذاهب
شبهة تقبلها العقول وفسادها ظاهر فى
المعقول اما قولهم ان الله تعالى جوهر فقد لا
دللنا على حدوث الجواهر فاستحال ان يكون
القديم جوهرا واما قولهم انه ثلثة اقانيم

فان جعلوها اشخاصا قالوا بالتثليث وامتنعوا
من التوحيد وقد دل للناس على ان القديم واحد
وان جعلوا الاقانيم خواصا وصفا تا لذات واحدة
فقد جعلوه ابا وابنا من جوهر ابيه فشركوا بينهما
في الجوهر الالهي وفضلوه على الاب بالجوهر
الانساني فلم يكن مع اشتراكهما في الجوهر الالهي
ان يتولد من الاب باولى ان يتولد منه الاب
مع تفضله بالجوهر الانساني وكيف يكون قديما
ما تولد عن قديم وانما ظهرت منه الافعال
الالهية لانها من قبل الله تعالى اظهار المعجزة
وليست من فعله كفلق البحر لموسى عليه
السلام وليس ذلك من الاهية موسى وقولهم
جوهر لاهوتي وجوهر ناسوتي فناسوت المسيح
كناسوت غيره من الانبياء وقد زال ناسوته
فبطل لاهوته

فصل

فاذا ثبت ان الله واحد قديم فقد اختلف
في معنى وحدانيته فقالت طائفة المراد بانه
واحد ان جميع المحدثات منسوبة الى قدرة واحدة
احدث القادر بها جميع المحدثات وقالت طائفة
اخرى المراد به نفي القسمة عن ذاته واستحالة
التبعيض والتجزئة في صفته وقال الجمهور وهو

المذهب

المذهب المشهور انه واحد الذات قديم الصفات تفرد بالقدم عن شريك مماثل واختص بالقدرة عن فاعل معادل لاشبيه لذاته ينتفي عنه الحوادث والاعراض ولاتناله المنافع والمضار ولا ينعت بكل ولا بعض ولا يوصف بمكان يحل فيه او يخلو منه لحدوث الامكنة واستحالة التجزئة ليس كمثله شيء وهو السميع البصير كما وصف نفسه في كتابه ودلت عليه اثار صنعته واتقان حكمته وقد سئل علي بن ابي طالب عليه السلام عن العدل والتوحيد فقال التوحيد ان لاتتوهمه والعدل ان لاتتهمه ففصح بما بهر ايجازه وقهر اعجازه وقد لحظ دلايل التوحيد من الشعراء من قال

ايا عجبا كيف يعصى الاله ام كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له اية * تدل على انه واحد

شاهد دليل على انه واحد

الباب الثالث

في صحة التكليف التكليف هو الزام ماورد به الشرع تعبدا وهو نوعان احدهما ما تعلق بحقه من امر بطاعة ونهي عن معصية والثاني ما تعلق بحقوق عباده من تقدير الحقوق وتقدير العقود ليكونوا مدبرين بشرع مسموع منقادين

لدين متبوع فلا تختلف فيه الآراء ولا تتبع فيه
الأهوا وليعلموا به ابتداء النشاة وانتهاء الرجعة
فتصلح به سرايرهم الباطنة وكدو نخشع له
قلوبهم القاسية ونجتمع به كلمتهم المتفرقة
وتتفق عليه الأهواء المختلفة ويسقط به
تنازعهم في الحقوق المتجاذبة ويكونوا على رغب
في الثواب ببعثهم على خير ورهب من العقاب
يكفهم عن الشر وهذه امور لا يصلح الخلق الا
عليها ولا يوصل بغير الدين المشروع اليها اذ ليس
في طباع البشر ان يتفقوا على مصالحهم من
غير وازع ولا يتناصفوا في الحقوق من غير
دافع لحرصهم على اجتلاب المنافع وبهذا
يفسد ما ذهبت اليه البراهمة من الاقتصار
على قضايا العقول وابطال التعبد بشرائع
الرسل والتكليف حسن في العقول اذا توجه الى
من علمت طاعته واختلف في حسنه اذا توجه
الى من عرفت معصيته فاستحسنه المعتزلة لأن
فيه تعريضا للثواب ولم تستحسنه الأشعرية
لأنه بالمعصية معرض للعقاب والأول اشبه
بمذهب الفقها وان لم اعرف لهم فيه قولا يحكى
واختلف في التكليف هل يكون معتبرا بالأصلح
فالذى عليه

فالذي عليه اكثر الفقهاء والمتكلمين انه معتبر بالاصلح لأن المقصود به منفعة العباد وذهب فريق من الفقهاء والمتكلمين الى انه موقوف على مشيئة الله تعالى من مصلحة وغيرها لأنه مالك لجميعها فمن اعتبر الأصلح منع من تكليف مالا يطاق ومن اعتبر بالمشيئة جوز تكليف مالا يطاق وبه يصح تكليف مالحقت فيه المشقة المحتملة واختلف في صحة التكليف فيما لا مشقة فيه فجوزها الفقها ومنع منها بعض المتكلمين وقد ورد التعبد بتحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة وليس فيه مشقة واذا اعتبر التكليف بالاستطاعة لم يتوجه الى ما خرج عن الاستطاعة واختلف في المانع منه فقال فريق منع منه العقل لامتناعه فيه وقال فريق منع منه الشرع وان لم يمنع منه العقل بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها

فصل

فاذا تقرر شروط التكليف مع كونه حسنا فقد اختلف في وجوبه فاوجبه من اعتبر الاصلح وجعله مقترنا بالعقل لأنه من حقوق حكمته ولم يوجبه من حمله على الارادة لأن الواجب

يقتضي علو الموجب وهذا منتف عن الله تعالى
وقد اختلف من قال بهذا في تقديم العقل على
الشرع فقال فريق يجوز ان يقترن بالعقل ويجوز
ان يتأخر عنه بحسب الارادة ولا يجوز ان يتقدم
على العقل لأن العقل شرط في لزوم التكليف
وقال فريق بل يجب ان يكون التكليف واردًا
بعد كمال العقل ولا يقترن به كما لم يتقدم
عليه لقوله تعالى ايحسب الانسان ان يترك
سدى وهذه صفة تتوجه اليه بعد كمال
عقله

فصل

وقد استقر بما قدمناه ان التكليف الشرعي
ما تضمنه الأوامر والنواهي في حقوق الله تعالى
وحقوق عباده والمأمور به ضربان واجب
وندب فالواجب ما وجب ان يفعل والندب
ما الأولى ان يفعل والمنهي عنه ضربان محظور
ومكروه فالمحظور ما وجب تركه والمكروه ما الأولى
ان تركه فاما المباح فما استوى فعله وتركه
فلا يجب ان يفعل ولا الأولى ان يفعل ولا يجب
ان يترك ولا الأولى ان يترك واختلف في
دخول المباح في التكليف فذهب بعض اصحاب
الشافعي الى دخوله في التكليف واختلف قايل

هذا اهل

هذا هل دخل فيه باذن او امر على وجهين
احدهما بان باذن ليخرج عن حكم الندب والثاني
بامر دون امر الندب كما ان امر الندب دون
امر الواجب وذهب آخرون من اصحاب
الشافعي الى خروجه من التكليف باذن او امر
لاختصاص التكليف بما تضمنه ثواب او عقاب
واتفقوا في المباح انه لا يستحق عليه حمد ولا
ذم ويخرج عن القبيح واختلفوا في دخوله في
الحسن فادخله بعضهم فيه واخرجه بعضهم
منه

فصل

والامر بالتكليف هو استدعا الطاعة بالانقياد
للفعل واختلفوا في اقتران الارادة به هل
يكون شرطا في صحته فذهب الاشعري الى
ان الارادة غير معتبرة فيه فيجوز ان يامر بما
لا يريده ويكون امرا كالذي يريده وذهبت
المعتزلة الى انه لا يكون امرا الا بالارادة
فان لم تعلم ارادته لم يكن امرا واختلفوا
هل يعتبر ارادة الامر او ارادة المامور به
فاعتبر بعضهم ارادة الامر المنطوق به واعتبر
آخرون منهم ارادة الفعل المامور به والذي
عليه جمهور الفقهاء ان الامر دليل على

الأرادة وليست الأرادة شرطا فى صحة الأمر
وان كانت موجودة مع الأمر فيستدل بالأمر على
الأرادة ولا يستدل بالأرادة على الأمر

فصل

ومن صحة الأمر ان يكون بما لا يمنع منه العقل
فان منع منه العقل لم يصح الأمر به لخروج
التكليف عن محظورات العقول واختلف
هل يعتبر صحته بحسنه فى العقل فاعتبره
فريق واسقطه فريق واذا لم تستوعب نصوص
الشرع قضايا العقول كلها جاز العمل بمقتضى
العقل فيها واختلف فى الحاقها باحكام الشرع
فالحقها فريق بها وجعلها داخلة فيها لان
الشرع لا يخرج عن مقتضاها واخرجها فريق
منها وان جاز العمل بها كالمشروع لان الشرع
مسموع والعقل متبوع

فصل

والأمر يكون بالقول او ما قام مقام القول اذا عقل
منه معنى الأمر واختلف فيه متى يكون
امرا فذهب جمهور الفقهاء والمتكلمين الى
انه يكون امرا وقت القول ويتقدم على الفعل وذهب
شاذ من الفقهاء والمتكلمين الى انه يكون

امرا وقت

امرا وقت الفعل وما تقدم من القول اعلام بالأمر وليس بامر وهذا فاسد لأن الفعل يجب بالأمر فلو لم يكن ما تقدمه امراً لاحتاج مع الفعل الى تجديد امر

فصل

والأمر ضربان امر إعلام وامر إلزام فاما امر الأعلام فمختص الاعتقاد دون الفعل فيجب ان يتقدم الأمر على الاعتقاد بزمان واحد وهو وقت العلم به واما امر الالزام فمتوجه الى الاعتقاد والفعل فيجمع بين اعتقاد الوجوب وايجاد الفعل ولا يجزيه الاقتصار على احدهما فان فعله قبل اعتقاد وجوبه لم يجزه وان اعتقد وجوبه ولم يفعله كان ماخوذا به ولا يلزم تجديد الاعتقاد عند فعله اذا كان على ما تقدم من اعتقاده لأنه ان الاعتقاد تعبد التزام والفعل تادية مستحق فيجب ان يتقدم الأمر على الفعل بزمان الاعتقاد واختلف في اعتبار تقدمه بزمان التاهب للفعل على مذهبين احدهما وهو قول شاذ من الفقهاء يجب تقديمه على الفعل بزمانين احدهما زمان الاعتقاد والثاني

زمان التاهب للفعل وبه قال من المتكلمين من اعتبر القدرة على الفعل والمذهب الثاني وهو قول جمهور الفقهاء يعتبر تقديم الأمر على الفعل بزمان الاعتقاد وحده وللتاهب للفعل شروع فيه فلم يعتبر تقدمه عليه وبه قال من المتكلمين من اعتبر القدرة مع الفعل

الباب الرابع

في اثبات النبوات والأنبيا هم رسل الله تعالى الى عباده باوامره ونواهيه زيادة على ما اقتضته العقول من واجباتها والزاما لما جوزته من مباحاتها لما اراده الله تعالى من اكرامه العاقل وتشريف افعاله واستقامة احواله وانتظام مصالحه حين هياءه للحكمة وطبعه على المعرفة وليجعله حكيما وبالعواقب عليما لأن الناس بنظرهم لا يدركون مصالحهم بانفسهم ولا يشعرون بعواقب امورهم بغرايزهم ولا ينزجرون مع اختلاف هممهم دون ان ترد عليهم آداب المرسلين واخبار القرون الماضين فتكون آداب الله فيهم مستعملة وحدوده فيهم متبعة واوامره فيهم ممتثلة ووعده ووعيده فيهم زاجرا وقصص

من اعتبر

من غبر من الأمم واعظا فان الأخبار العجيبة
اذا طرقت الأسماع والمعانى الغريبة اذا
ايقظت الأذهان استمدتها العقول فزاد
علمها وصح فهمها فاكثر الناس سماعا اكثرهم
خواطر واكثرهم خواطرا اكثرهم تفكرا واكثرهم
تفكرا اكثرهم علما واكثرهم علما اكثرهم عملا
فلم يوجد عن بعثة الرسل معدل ولا منهم
فى انتظام المصالح بدل وانكر فرق من الأمم
نبوات الرسل وهم فيها ثلثة اصناف احدها
ملحدة دهرية يقولون بقدم العالم وتدبير
الطبائع فهم بانكار الرسل احدر ان
يقولوا بانكار الرسل والصنف الثانى براهمة
موحدة يقولون بحدث العالم ويجحدون بعثة
الرسل ويبطلون النبوات وهم المنسوبون
الى برهم صاحب مقالتهم وشذ فريق منهم
فادعى انه آدم ابو البشر ومنهم من قال هو
ابراهيم ومن قال من هذه الفرقة الشاذة
منهم انه احد هذين اقر بنبوتهما وانكر نبوة
من سواهما وجمهورهم على خلاف هذه
المقالة فى اعتزائهم الى صاحب مقالتهم وان
كان جميع النبوات عموما والصنف الثالث

فلاسفة لا يتظاهرون بانكار النبوات وهم
مبطلوها فى تحقيق قولهم لأنهم يقولون ان
العلوم الألهية بعد كمال العلوم الرياضية
من الهندسة والفلسفة ليضعها من كملت
رياضته اذ اكان عليها مطبوعا واختلف من
ابطل النبوات فى علة ابطالها فذهب بعضهم
الى ان العلة فى ابطالها ان الله تعالى قد اغنى
عنها بما دلت عليه العقول من لوازم ما يأتى به
الرسل وهذا فاسد من وجهين احدهما انه
لا يمنع ما دلت عليه العقول جوازا ان يأتى
به الرسل وجوبا ولو كان العقل موجبا لما امتنع
ان يأتى به الرسل تأكيدا كما تترادف دلائل
العقول على التوحيد ولا يمنع وجود بعضها
من وجود غيرها والثانى انه لا يستغنى بقضايا
قضايا العقول عن بعثة الرسل من وجهين
احدهما ان قضايا العقول قد تختلف فيما تكافأت
فيه ادلتها فاكسم ببعثة الرسل اختلافها
والثانى انه لا مدخل للعقول فيما يأتى به الرسل
من الوعد والوعيد والجنة والنار وما
يشرعونه من اوصاف التعبد الباعث على
التألّه فلم يغن عن بعثة الرسل وذهب
آخرون منهم

آخرون منهم الى ان العلة فى ابطال النبوات
ان بعثة الرسل الى من يعلم من حالهم انهم
لا يقبلون منهم ما بلغوه اليهم عبث تمنع
منه حكمة الله تعالى وهذا فاسد من وجهين
احدهما انه ليس بعبث ان يكون فيهم من
لا يقبله كما لم يكن فيما نصبه الله تعالى من
دلائل العقول على توحيده عبثا وان كان
فيهم من لا يستدل على توحيده كذلك بعثة
الرسل والثانى ان وجود من يقبله فيهم على
هذا التعليل يوجب بعثة الرسل ~~والثانى~~
~~ان وجود من يقبله فيهم على هذا التعليل يوجب~~
~~بعثة الرسل~~ وهم يمنعون من ارسالهم الى
من يقبل ولا يقبل فبطل به هذا التعليل
وقال آخرون منهم بل العلة فيه ما جاء به الرسل
مختلف ينقض بعضه بعضا وينسخ المتأخر
ما شرعه المتقدم وقضايا العقول لا تتناقض
فلم ترتفع بما يختلف ويتناقض وهذا فاسد
من وجهين احدهما ان ما جاء به الرسل ضربان
احدهما ما لا يجوز الا ان يكون على وجه واحد
وهو التوحيد وصفات الرب والمربوب فلم
يختلفوا فيه واقوالهم متناصرة عليه والضرب

الثاني ما لا يجوز ان يكون من العبادات على وجه
ويجوز ان يكون على خلافه ويجوز ان يكون
في وقت ولا يجوز ان يكون في غيره وهذا
النوع هو الذي اختلف فيه الرسل لاختلاف
اوقاتهم اما بحسب الأصلح واما بحسب الارادة
وهذا في قضايا العقول جائز والوجه الثالث
ان قضايا العقول قد يختلف فيها العقلا ولا
يمنع ذلك ان تكون العقول دليلا كذلك
ما اختلف فيه الرسل لا يمنع ان يكون حجة وقد
وقال آخرون منهم بل العلة في ابطال النبوات
انه لا سبيل الى العلم بصحتها لعينها وان
ظهور ما ليس في الطباع من معجزاتهم ممتنع
بالطباع الدافعة لها وهذا فاسد من وجهين
احدهما ان المعجزات من فعل الله تعالى فيهم
فخرجت عن حكم طباعهم والثاني انهم لما
تميزوا بخروجهم عن الطباع من الرسالة تميزوا
بما يخرج عن عرف الطباع من الاعجاز وقال
آخرون منهم بل العلة في ابطال النبوات ان
ما يظهرونه من المعجز الخارج عن العادة يوجد
مثله في اهل الشعبذة والمخرقة وأهل
النارنجيات وليس ذلك من دلائل صدقهم

فلذلك

فكذلك احكام المعجزات وهذا فاسد من وجهين
احدهما ان الشعبذة تظهر لذوى العقول
وتتدلس على الغبى الجهول فخالفت المعجزة
التى تذهل لها العقول والثانى ان الشعبذة
تستفاد من بالتعليم فيتعلمها من لم يحسنها
فيصير مكافئا لمن يحسنها ويعارضه بمثلها
والمعجزة مبتكرة لا يتعاطاها غير صاحبها ولا
احد بمثلها كما انقلبت عصا موسى حية تسعى
تلقف ما افكه السحرة فخروا له سجدا ولئن
كان فى ابطال هذه الشبه دليل على اثباتها
فيستدل على اثبات النبوات من خمسة
اوجه وان اشتملت تلك الأجوبه على بعضها
احدها ان الله تعالى منعم على عباده بما
يرشدهم اليه من المصالح ولما كان فى بعثة
الرسل ما لا تدركه العقول كان ارسالهم من
عموم المصالح التى تكفل بها والثانى ان فيما يأتى
به الرسل من الجزاء بالجنة ثوابا يبعث على
الرغبة فى فعل الخير وبالنار عقابا يبعث على
الرهبة فى الكف عن الشر صار سببا لائتلاف
الخلق وتعاطى الحق والثالث ان فى غيوب
المصالح ما لا يعلم الا من جهة الرسل فاستفيد

بهم ما لم يستفده بالعقل والرابع ان التألّه
لا يخلص الا بالتدين والدين لا يصلح الا بالرسل
المبلغين عن الله تعالى ما كلف والخامس ان
العقول ربما استنكرت من موافقة الامكان
ومتابعة النظر فلم يجمعهم عليه الا طاعة
المعبود فيما اداه رسله فصارت المصالح بهم
اعم والاتفاق بهم اتم والشمل بهم اجمع والتنازع
بهم امنع فيجوز اثبات التوحيد والنبوات
بدقيق الاستدلال كما يجوز بجليه فان مادق
في العقول هو ابلغ في الحكمة وقد تلوح لابن
الرومي هذا المعنى فنظمه في شعره فقال

* غموض الحق حين يذب عنه * تقلل ناصر الخصم المحق *
* يجل عن الدقيق عقول قوم * فيقضي للمجل على المدق *

فصل

فاذا ثبت جواز النبوات وبعثة الرسل بالعبادات
فهم رسل الله تعالى الى خلقه اما بخطاب
مسموع او سفارة ملك منزل ومنع قوم من
مثبتي النبوات ان تكون نبوتهم عن خطاب
او نزول ملك لانتفاء المخاطبة الجسمانية
عنه لانه ليس بجسم والملائكة من العالم
العلوي بسيط لا يهبط كما ان العالم السفلي

لثبوت

كثيف لا يعلموا واختلف من قال بهذا فيما
جعلتهم به انبيا فقال بعضهم صاروا انبيا بالالهام
لا بالوحي وهذا فاسد من وجهين احدهما ان
ما ابطل به الهام المعارف في التوحيد كان
ابطال المعارف به في النبوة احق والثاني ان
الالهام خفي غامض يدعيه المحق والمبطل فان
ميزوا بينهما بطلب امارة عدلوا عن الالهام
الى دليل يبطل الالهام وقال آخرون منهم
انما صاروا انبياء لان لله تعالى في العالم
خواصا واسرارا تخالف مجرى الطبائع فمن
اظفره الله تعالى بها من خلقه استحق
بها النبوة وهذا فاسد من وجهين احدهما
خفاها فيه عن غير دليل على صدقه والثاني
انه يكون نبيا عن نفسه لا عن ربه فصار
كغيره وقال آخرون بل صاروا انبياء لان
الله تعالى خصهم من كمال العقول بما يتوصلون
به الى حقائق الامور فلا يشتبه عليهم منها
ما يشتبه على غيرهم فصاروا انبياء عن عقولهم
لا عن ربهم وهذا فاسد من وجهين احدهما
ان هذا يقتضي فضل العلم في حقه ولا
يقتضيه في حق غيره والثاني انه ان اخبر عن

نفسه لم يكن رسولا وان اخبر عن ربه رسولا
كان كاذبا وقال آخرون انما صاروا انبياء لأن
النور فيهم صفا ونما بالنور الأعظم الالهى
الذى تخلص به الأفهام وتصح به الأوهام
حتى ينتقلوا الى الطباع الروحانية فيزول
عنهم كدر الطباع البشرية فيخرجوا عن سنخ
الكائنات بصفا نورهم وخلاصهم وهذا
قول الثنوية وهو فاسد من وجهين احدهما
انهم دفعوا اسهل الأمرين من بعثة الرسل
اغلظهما من اعطاء نوره فاولى ان يدفعوا عن
الأغلظ بما دفعوا به عن الأسهل والثانى
انهم اثبتوا ممازجة البارى سبحانه وتعالى
فيما اختص بذاته ومخالفة الذات تمنع من
ممازجته والجواب عما قالوه من امتناع المخاطبة
الجسمانية ممن ليس بجسم من وجهين
احدهما انه لا يمتنع ان يظهر منه لخطاب
الأجسام وان لم يكن جسما والثانى ان الله
تعالى يجوز ان يودع خطابه فى الأسماع حتى
تعيه الآذان وتفهمه القلوب بقدرته التى
اخفاها عن خلقه والجواب عما ذكروه من
ان جرم الملائكة علوى لا ينهبط من وجهين

كما يظهر منه كافعال الأجسام وان لم يكن جسما ﻫ

احدهما انه

احدهما انه ليس بممتنع ان ينتقل جرم سماوى لطيف الى جرم ارضي كثيف اما بزيادة او انقلاب كما يقولون فى العقل والنفس انهما جرمان علويان هبطا الى الجسم فحلا فيه والثانى انهم يقولون بانقلاب الأجرام الطبيعيات فيقولون ان الهواء المركب من حرارة ورطوبة اذا ارتفعت حرارته ببرودة صار ماء باردا وان الماء المركب من برودة ورطوبة اذا ارتفعت برودته بحرارة صار هواء وان الهواء المركب من حرارة ورطوبة اذا ارتفعت رطوبته بيبوسة صار نارا فاذا جاز ذلك عندهم فى انقلاب الطبايع كان فى فعل الله تعالى اجوز وهو عليها اقدر ولا يمكن ان تدفع اقاويلهم الخارجة عن قوانين الشرع الا بمثلها وان خرج عن حجاج امثالنا لنقض قولهم بقولهم فلا يتدلس به باطل ولا يضل به جهول فما يضل عن الدين الاقادح فى اصوله ومزرعلى اهله

فصل

فاذا ثبت ان النبوة لا تصح الا ممن ارسله الله تعالى بوحيه اليه فصحتها فيه معتبرة بثلثة شروط تدل على صدقه ووجوب طاعته

احدها ان يكون مدعى النبوة على صفات
يجوز ان يكون مؤهلا لها الصدق لهجته
وظهور فضله وكمال حاله وان اعتوره نقص
او ظهر منه كذب لم يجز ان يؤهل للنبوة من
عدم آلتها وفقد امانتها بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
الى بعض احياء العرب يدعوهم الى الاسلام
فقالوا يا خالد صف لنا محمدا قال بايجاز او باطناب
قالوا بايجاز قال هو رسول الله والرسول على
قدر المرسل والشرط الثانى اظهار المعجز
يدل على صدقه ويعجز البشر عن مثله ليكون
مضاهية للافعال الالهية ليعلم انها منه
فتصح دعوى رسالته لانه لا يظهرها من
كاذب عليه ويكون المعجز دليلا على صدقه
وصدقه دليلا على صحة نبوته والشرط
الثالث ان يقترن بالمعجز دعوى النبوة فان لم
تقترن بالمعجز دعوى لم يصر بظهور المعجز نبيا
لان المعجز يدل على صدق الدعوى وكان صفة
لها فلم يجز ان تثبت الصفة قبل وجود الموصوف
فان تقدم ظهور المعجز على دعوى النبوة كان
تاسيسا للنبوة ككلام عيسى فى المهد تاسيس

للنبوة

للنبوة واحتاج مع دعوى النبوة الى احداث معجز
يقترن بها ليدل على صدقه فيها وان تقدمت
دعوى النبوة على المعجز اكتفى بحدوث المعجز
بعدها عن اقترانه بها لأن استصحابه للدعوى
مقترن بالمعجز فان ظهر المعجز المقترن بالدعوى
لبعض الناس دون جميعهم نظر فان كان
عددا يتواتر بهم الخبر ويستفيض بهم الأثر
كان الغايب عنهم محجوجا بالمشاهد له في
لزوم الأجابة والأنقياد للطاعة كما يكون
العصر الثاني محجوجا بالعصر الأول وان كان
المشاهد للمعجز عددا لا يستفيض بهم الخبر
ولا يتواتر بهم الأثر لأمكان تواطئهم على
الكذب او يتوجه الى مثلهم الخطاء ولذلك والزلل
كان المعجز حجة عليهم ولم يكن حجة على غيرهم
حتى يشاهدوا من المعجز ما يكونوا محجوجين
به وسواء كان من جنس الدول او من غير
جنسه فان قصر من شاهد الأول عن عدد
التواتر وقصر من شاهد الثاني عن عدد
التواتر لم يثبت فيهما حكم التواتر ولا في واحد
منهما لجواز الكذب على كل واحد من العددين

فصل

ف

واذا كانت حجج الانبيا على اممهم هو المعجز الدال على صدقهم فالمعجز ما خرق عادة البشر من خصال لا تستطاع الا بقدرة الاهية تدل على ان الله تعالى خصه بها تصديقا على اختصاصه برسالته فيصير دليلا على صدقه في ادعا نبوته اذا وجد ذلك منه في زمان التكليف فاما عند قيام الساعة اذا سقطت فيه احوال التكليف فقد يظهر فيه من اشراطها ما يخرق العادة فلا يكون معجزا المدعي لنبوة وانما اعتبر في المعجز خرق العادة لأن المعتاد يشتمل الصادق والكاذب فاختص غير المعتاد بالصادق دون الكاذب فاذا تقرر ان المعجز محدود بما ذكرنا من خرق العادة فقد ينقسم ما خرج عن العادة على عشرة اقسام احدها ما يخرج جنسه عن قدرة البشر كاختراع الأجسام وقلب الأعيان واحياء الموتى فقليل هذا وكثيره معجز لخروج قليله عن القدرة كخروج كثيره به والقسم الثاني ما يدخل جنسه في قدرة البشر لكن يخرج مقداره عن قدرة البشر كطي الأرض البعيدة في المدة القريبة فيكون

معجزا

معجزاً لخرق العادة واختلف المتكلمون في
المعجز منه فعند بعضهم ان ما خرج عن القدرة
منه يكون هو المعجز خاصة لاختصاصه
بالعجز وعند آخرين منهم ان جميعه يكون
معجزاً لاتصاله بما لا يتميز منه والقسم
الثالث ظهور العلم بما خرج عن معلوم البشر
كالأخبار بحوادث الغيوب فيكون معجزاً
بشرطين احدهما ان يتكرر حتى يخرج عن حد
الأتفاق والثاني ان يتجرد عن سبب
يستدل به عليه والقسم الرابع ما خرج
نوعه عن مقدور البشر وان دخل جنسه
في مقدور البشر كالقرآن في خروج اسلوبه
عن اقسام الكلام فيكون معجزاً لخروج نوعه عن
القدرة فصار جنساً خارجاً عن القدرة
ويكون المعجز مع القدرة على آلته من الكلام
ابلغ في المعجزة والقسم الخامس ما يدخل
في افعال البشر ويفضي الى خروجه عن مقدور
البشر كالبرء الحادث عن المرض والزرع الحادث
عن البذر فان برء المرض المزمن لوقته
واستحصاد الزرع المناقل قبل اوانه كان
بخرق العادة معجزاً لخروجه عن القدرة

والقسم السادس عدم القدرة عما كان داخلا
في القدرة كانذار الناطق بعجزه عن الكلام
واخبار الكاتب بعجزه عن الكتابة فيكون
ذلك معجزا يخص العاجز ولا يتعداه لانه
على يقين من عجز نفسه وليس غيره على
يقين من عجزه والقسم السابع انطاق حيوان
او حركة جماد فان كان باستدعائه او عن
اشارته كان معجزا له وان ظهر بغير استدعا
ولا اشارة لم يكن معجزا له وان خرق العادة
لانه ليس اختصاصه به باولى من اختصاصه
بغيره وكان من نذر الوقت وحوادثه
والقسم الثامن اظهار الشيء في غير زمانه
كاظهار فاكهة الصيف في الشتا وفاكهة
الشتا في الصيف فان كان استبقاؤهما في غير
زمانهما ممكنا لم يكن معجزا وان لم يمكن استبقاؤهما
كان معجزا سواء بدأ باظهاره او طولب به
والقسم التاسع انفجار الماء المنقطع او قطع
الماء المنفجر اذا لم يظهر لحدوثه اسباب من
غيره فهو من معجزاته لخرق العادة به والقسم
العاشر اشباع العدد الكثير من الطعام
اليسير وارواؤهم من الماء القليل يكون معجزا

في حقهم

في حقهم وغير معجز في حق غيرهم لما قدمناه
من التعليل فهذه الأقسام الاربع نظائرها
الداخلة في حدود الأعجاز متساوية الأحكام
في ثبوت الأعجاز وتصديق مظهرها على
ما ادعاه من النبوة وان تفاوت الأعجاز فيها
وتباين كما ان دلائل التوحيد قد تختلف في
الخفا والظهور وان كان في كل منها دليلا
واما فعل ما يقدر البشر على تقاربه وان عجزوا
عن مثله فليس بمعجز لأن الجنس مقدور
عليه وانما الزيادة فضل حذق به كالصنائع
التي يختلف اهلها فيها فلا يكون لأحد فيهم
بها معجز يجوز ان يدعي بها النبوة فان قيل
فقد جاء زرادشت وبولص بآيات مبهرة لم
تدل على صدقهما في دعوى النبوة قيل لأنهما
قد اكذبا انفسهما بما اعتقدا ادعياه في الله تعالى
مما يدل على جهلهما به لأن بولص يقول ان
عيسى عليه السلام اله وزعم زرادشت ان
الله تعالى كان وحده ولا شيء معه فحين
طالت وحدته فكر فتولد من فكرته اهرمن
وهو ابليس فلما مثل بين عينيه اراد قتله
فامتنع منه فلما راى امتناعه وادعه الى مدته

وسالمه الى غايته ومن قال بهذا في الله
تعالى ولم يعرفه لم يجز ان يكون رسولا ثم
دعوا الى القبايح والاخلاق السيئة كما شرع
زرادشت الوضوء بالبول وغشيان الامهات
وعبادة النيران وكذلك بولص وماني فخذلهم
الله تعالى ولو دعوا الى محاسن الاخلاق كانت
الشبهة بهم اقوى والاغترار بهم اكثر ولكن
الله تعالى عصم بالمعقول من استرشدها
وقاد الى الحق من ايقظه بها

فصل

ولا يجوز ان يظهر الله تعالى المعجز ممن يجعله
دليلا على صدقه في غير النبوة وان كانت
فيه مطيعا لان النبوة لا يوصل الى صدقه
فيها الا بالمعجز لانه مغيب لا يعلم الا منه
فاضطر الى الاعجاز في صدقه وغير النبوة من
اقواله وافعاله قد يعلم صدقه فيها بالعيان
والمشاهدة وكرج عن صورة الاعجاز وان
تعذرت المشاهدة ولان لا تشتبه معجزات
الانبياء بغيرها فاما مدعي الربوبية اذا
اظهر ايات باهرة فقد ذهب قوم الى انها
تكون معجزة بطلت بكذبه فلم يمتنع لظهور

بطلانها

بطلانها ان توجد منه وان لم يجز ان توجد
منه اذا كان كاذبا فى ادّعاء النبوة لأنه
لم يقترن بدعواه ما يبطلها كمدعى الربوبية
والذى عليه قول الجمهور انه لا يجوز ان
يظهر المعجز على مدعى الربوبية كما لا يجوز ان
يظهر على مدعى النبوة لأن معصيته فى
ادعاء الربوبية اغلظ وافكه فيها اعظم فكان
بأن لا يظهر عليه احدر واذا استوضح ما اظهره
مدعى الربوبية من الآيات ظهر فسادها وبان
اختلافها فخرجت عن الاعجاز الى سحر او
شعبذة

فصل

ولما علم الله تعالى ان اكثر عباده لا يشهدون
حجج رسله ولا يحضرون ايات انبيائه اما لبعد
الدار او لتعاقب الاعصار طبع كل فريق على
الاخبار بما عاين فيعلمه الغايب من الحاضر
ويعرفه المتأخر من المعاصر وقد علم مع اختلاف
الهمم ان خبر التواتر اذا انتفت عنه الريب
حتى لا يعترضه شك وصدق لا يشتبه
بافك وصار وروده كالعيان فى وقوع العلم
به اضطرارا فتثبت به الحجة ولزم به العمل
وقد قال الطفيل الغنوى مع اعرابية فى وقوع

العلم باستفاضة الخبر ما دلنه عليه الفطرة
وقاده اليه الطبع فقال * تاؤبني همّ من الليل
منصب * وجاء من الاخبار ما لا يكذب * تظاهرن
حتى لم يكن لي ريبة * ولم يك عما اخبر وامتعقب *

فصل

فاما ما يجوز لمدعي النبوة ان يدعي به النبوة
فينقسم بثلثة اقسام احدها ان يكلمه الله
تعالى بغير واسطه والثاني ان يخاطبه بواسطة
من ملائكته والثالث ان يكون عن رويا في
المنام فاما القسم الاول اذا كلمه الله تعالى
بغير واسطة مثل كلامه لموسى حين نودي
من الشجرة على ما قدمناه في الاختلاف
في صفته فيعلم اضطرارا انه من الله وفيما
يقع به علم الاضطرار في كلامه لاهل العلم
فيه قولان احدهما انه يضطره الى العلم به
كما يضطر خلقه الى العلم بسائر المعلومات
فعلى هذا يستدل بمعرفة كلامه على معرفته
ويسقط عنه تكليف معرفته فيجوز ان
يكون كلامه من غير جنس كلام البشر للاضطرار
الى معرفته ملا معرفة ما تضمنه والقول
الثاني انه يقترن بكلامه من الايات ما يدل

على انه

على انه منه فعلى هذا لا يسقط عنه تكليف
معرفته ولا يصح ان يكلمه الا بكلام البشر
لعدم الأضطرار الى معرفته واما القسم
الثاني وهو ان يكون كلامه وخطابه بواسطه
من ملائكته الذين هم رسله الى انبيائه
فعلى الأنبياء معرفة الله تعالى قبل ملائكته
في رسالته وطريق علمهم به الأستدلال
ثم يصير بعد نزول الملائكة بمعجزاتهم القاهرة
علم اضطرار وعلى الملائكة اذا نزلوا بالوحي
على الرسول اظهار معجزتهم له كما يلزم الرسول
اظهار معجزته لأمته روى ان جبريل عليه
السلام لما تصدى لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بمكة في الوادي قال له قل يا محمد
للشجرة اقبلي فقال لها ذلك فاقبلت وقال
له قل لها ادبري فقال لها ذلك فادبرت فقال
له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسبي
يعني في العلم بصدقك فيما اتيتني به
عن ربي فتستدل الرسل بالمعجزات على
تصديق الملائكة بالوحي وتستدل الأمم
بمعجزات الأنبيا على تصديقهم بالرسالة
ويكون خطاب الملك لفظا ان كان قرآنا او ماثم

مقام اللفظان كان وحيا ولا يجوز ان يؤدي
الملك الى الرسول ما تحمله عن ربه الا بلسان
الرسول كما لا يؤدي الرسول الى قومه الا
بلسانهم ويكون الملك واسطة بين الرسول
وبين ربه والرسول واسطة بين الملك وبين
قومه وما يؤديه الملك الى الرسول ليؤديه
الرسول الى قومه ضربان قرآن ووحي فاما
القرآن فيلزم الملك ان يؤديه الى الرسول
بصيغة لفظه ٧ وليس للملك ولا للرسول
ان يعدل بلفظه الى غيره ويكون ما تضمنه
من الخطاب المنزل متوجها الى الرسول والى
امته واما الوحي اذا تضمن تكليفا بامر او نهي
فضربان احدهما ان يكون نصا غير محتمل وصريحا
غير متاول فهذا يعلمه الرسول من الملك
بنفس الخطاب وتعلمه الامة من الرسول
بالبلاغ من غير نظر ولا استدلال وليس
للملك ولا للرسول ان يعدل بالنص الى اجمال
او لاحتمال والضرب الثاني ان يكون من المجمل
او المحتمل لمعان مختلفة فهذا يعلم المراد به
من دليل يقترن بالخطاب ودليله ضربان
احدهما عقل المستمع والثاني توقيف المبلغ

٧ ويلزم الرسول ان يؤديه الى الامة بصيغة لفظه صح

فاما ما يعقل

فاما ما يعقل دليله ببديهة العقل فمحمول
على مقتضى العقل ويكفى فيه تبليغ الخطاب
واما ما دليله التوقيف الذى لا يدخل فيه
لبداية العقل كالعبادات فمحمول على التوقيف
من الله تعالى الى ملائكته ومن الملائكة الى
الرسول ومن الرسول الى امته فاما معرفة
الملك منزله فهو غير مشاهد لذاته واختلف
اهل العلم فى معرفته به على مذهبين كالرسول
ان يكلم احدهما بأن يضطره الى العلم به والثانى
بسماع الخطاب المقترن بالآيات واما معرفة
الرسول من الملك ومعرفة الأمة من الرسول
فالرسول مشاهد لذات الملك والأمة
مشاهدة لذات الرسول والمشاهدة الذوات
تأثير فى العلم بمراد الخطاب فيتنوع بيان
توقيفه فيما اريد بالخطاب انواعا فيكون
بعضه باللفظ الصريح وبعضه بالرمز الخفى
وبعضه بالفعل الظاهر وبعضه بالاشارة
الباطنة وبعضه بالامارات التى تضطر
المشاهد الى العلم بما اريد بها وليس لها نعت
موصوف ولا حد مقدر وانما يعلمه المشاهد
بمفهوم اسبابه فيصير البيان باختلاف

انواعه توقيفا من الملك الى الرسول ومن الرسول
الى الأمة فيجوز ان يختلف نوع بيانهما اذا
عرف واما القسم الثالث ان يكون عن
رؤيا منام فان لم يكن ممن تصدق رؤياه لكثرة
احلامه لم يجز ان يدعى به النبوة وان كان
ممن يصدق رؤياه فقد روى عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال اصدقكم رويا اصدقكم
حديثا لم يجز ان يدعى النبوة باول رويا لجواز
ان تكون من حديث النفس وان الرؤيا قد
تصح تارة وتبطل اخرى وان تكررت رؤياه
مرارا حتى قطع بصحتها ولم يخالجه شك فيها
جاز ان يدعى النبوة بها فيما كان حفظا لما
تقدمها من شرع وبعثا على العمل بها من
بعد ولم يجز ان يعتد بها في نسخ شرع
واستئناف تعبد فيجوز ان يعمل على رؤيا
نفسه فيما يلزمه من استئناف شرع ولا
يجوز ان يعمل عليها في نسخ ما لزمه من شرع
ليكون بها ملتزما ولا يكون بها مسقطا

فصل

واما خطاب الرسول لأمته فيما بلغهم من رسالة
ربه بعد ظهور معجزته والأخبار بنبوته

فلزومه

فلزومه الأمة معتبر بخمسة شروط احدها
العلم بانتفاء الكذب عنه فيما ينقله عن
الله تعالى من خبر يوديه من تكليف كما انتفى
عنه الكذب فى ادعاء الرسالة ويكون المعجز
دليلا على صدقه فى جميع ما تضمنته الرسالة
والثانى ان لم يعلم من حاله انه لا يجوز أن
يكتم ما امر بادائه لأن كتمانه يمنع من التزام
رسالته لجواز ان يكتم اسقاط ما اوجب وان
جاز ان يكتم بيانه قبل وقت الحاجة اليه ولا
يكون كتمانا والثالث ان ينتفى عنه ما يقتضى
التنفير من قبول قوله لأن الله تعالى حماه من
الغلظة لأن لا ينفر من متابعته فكان
اولى ان لا ينفر عن قبول خطابه والرابع ان
يقترن بخطابه ما يدل على المراد به لينتفى عنه
الألغاز والتعمية فى احكام الرسالة حتى
يعلم حقوق التكليف وان جاز تعمية خطابه
فيما لم يتضمنه التكليف قد اعترض رجل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى اطراف بدر وقال
له ممن انت فقال من ماء فورّى عن نسبه بما
استبهم على سائله لخروجه عما يوديه شرعا
الى امته والخامس العلم بوجوب طاعته

ليعلم بها وجوب اوامره واختلف فى طاعته
هل وجبت عقلا وسمعا بحسب اختلافهم
فى بعثة الرسل هل هو من موجبات العقل اولا

فصل

واذا تكاملت شروط الالتزام لم يخل خطابه
من ان يكون مفهوما او مبهما والمفهوم اربعة
النص ومحوى الكلام ولحن القول ومفهوم
اللفظ فمحوى الكلام ما دل على ما هو افوق
من نطقه ولحن القول ما دل على مثل نطقه
ومفهوم اللفظ ماخوذ من معنى نطقه فهذه
الاربعة مفهومة المعانى بالفاظها مستقلة
بذواتها معلومة المراد بظواهرها فلا يحتاج
بعد البلاغ الى بيان واما المبهم فثلثة المجمل
والمحتمل والمشتبه فاما المجمل فما اخذ بيانه
من غيره ولا مدخل للعقل فى تفسيره فلا يعلم
الا بسمع فتوقيف واما المحتمل فهو ما يتردد
بين معان مختلفة فان امكن الجمع بين جميعها
حملا على جميع ما تضمنه واستغنى عن بيان
الا ان يرد بالاقتصار على بعضها بيان وان
لم يمكن حمله على الجميع لتنافيها فكان المقصود
احد معانيها فان امكن الاستدلال عليه بمخرج
الخطاب

الخطاب او بمشاهدة الحال كان فيه بيان
وان تعذر بيانه من هذا الوجه حمل على
عرف الشرع وان تعذر حمله على عرف
الاستعمال حمل على عرف اللغة وان تعذر
حمله على عرف اللغة فبيانه موقوف على
التوقيف واما المشتبه فما اشكل لفظه واستبهم
معناه روى ان عمر قال يا رسول الله انك تاتينا
بكلام لانعرفه ونحن العرب حقا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ربي علمني
فتعلمت وادبني فتادبت فان تلوح في المشبه
اشارة الى معناه جاز ان يكون استنباطه
موقوفا على الاجتهاد وان تجرد عن اشارة
كان موقوفا على التوقيف وعلى الرسول
تبليغ بيانه كما كان عليه تبليغ اصله وعلى
من سمعه من الرسول ان يبلغه من لم
يسمعه حتى ينقل الى عصر بعد عصر على
الأبد فيعلمه القرن الثاني من الأول والثالث
من الثاني كذلك ابدا لتدوم الحجة بهم الى
قيام الساعة وكذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم ليبلغ الشاهد الغائب

فصل

ف

واما الفرق بين الأنبياء والرسل فقد جاء بهما
القرآن جميعا ومفصلا لقول الله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا
تمنى القى الشيطان في أمنيته فينسخ الله
ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته فاختلف
اهل العلم في الأنبياء والرسل على قولين احدهما
ان الأنبياء والرسل واحد فالنبي رسول
والرسول نبي مأخوذ من تحمل الرسالة والنبي
مأخوذ من النبأ وهو الخبر ان همز لأنه يخبر
به عن الله تعالى وماخوذ من النبوة ان لم
يهمز وهو الموضع المرتفع وهذا اشبه لأن
محمدا صلى الله عليه وسلم قد كان يخاطب
بهما والقول الثاني انهما مختلفان لأن اختلاف
الأسماء يدل على اختلاف المسمى والرسول
اعلى منزلة من النبي ولذلك سميت الملائكة
رسلا ولم يسموا انبياء واختلف من قال
بهذا في الفرق بينهما على ثلثة اقاويل
احدها ان الرسول هو الذى تنزل عليه الملائكة
بالوحي والنبي هو الذى يوحى اليه في نومه
والقول الثاني ان الرسول هو المبعوث الى
امة والنبي هو المحدث الذى لا يبعث الى امة

قاله قطرب

قاله قطرب والقول الثالث ان الرسول هو
المبتدى بوضع الشرائع والاحكام
والنبي هو الذى يحفظ شريعة غيره قاله الجاحظ

فصل

واذا انزل الوحي على الرسول وعين له على
زمان الابلاغ لم يكن له تقديمه عليه ولا
تاخيره عنه وان لم يعين له على زمانه فعليه
تبليغه فى اول اوقات امكانه فان خاف
من تبليغ ما امر به شدة الاذى وعظم
الضرر لزمه البلاغ ولم يكن الاذى عذرا له فى
الترك والتاخير لان الانبياء يكلفون
من احتمال المشاق ما لا يكلفه غيرهم لعظم
منزلتهم وما امدوا به من القوة على تحمل مشاقهم
وان خاف منه القتل فقد اختلف المتكلمون
فى وجوب البلاغ فذهب بعضهم الى اعتبار
امره بالبلاغ فان امر به مع خوف القتل لزمه
ان يبلغ وان امر به مع الامن لم يلزمه البلاغ
اذا خاف القتل وذهب آخرون منهم الى
اعتبار حاله فان لم يبق عليه من البلاغ
مرتبا لزمه ان يقدم بلاغ ما يامن منه القتل
ثم يبلغ ما يخاف منه القتل وان قتل فان

سوى ما يخاف منه القتل فانه لم يامن الامر بالبلاغ صح

كان الآمر بالبلاغ مرتبا بابتداء ما يخاف
منه القتل فان الله يعصمه من القتل
حتى يبلغ جميع ما أمر به لما تكفل به من
اكمال دينه والله اعلم

الباب الخامس

في مدة العالم وعدة الرسل مدة
الدنيا من ابتدا خلق العالم الى انقضائه
وفنائه سبعة الف سنة على ما جاءت
به التوراة المنزلة على موسى وذكره انبياء
بني اسرائيل وقد وافق عليه من قال
بتسيير الكواكب وانها مسير الكواكب السبعة
مسير كل كوكب منها الف سنة وقد روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال الدنيا سبعة الف سنة انا في اخرها
الفا وقال بعثت والساعة كهاتين وجمع بين
اصبعيه الوسطى والسبابة يعني ان الباقي
منها كزيادة الوسطى على السبابة وروى
سلمة بن عبد الله الجهني عن ابي رحاب
الجهني انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
رايتك على منبر فيه سبع درج وانت على
اعلاها فقال الدنيا سبعة الاف سنة انا

في آخرها

فى اخرها الفا وروى ابو نضرة عن ابى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر يقول ايها الناس ان الدنيا خضرة حلوة وان الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون واخذ فى خطبته الى ان قال لا اعرفن رجلا منعته مهابة الناس ان يتكلم بحق اذا راه وشهده ثم قال وقد ازف غروب الشمس ان مثل ما بقى من الدنيا فيما مضى منها كبقية يومكم هذا فيما مضى منه يومى بكم سبعون امة قد توفى منها تسع وستون وانتم آخرها فصارت هذه المدة المقدرة فى عمر الدنيا سبع الف سنة متفقا عليها فيما تضمنته الكتب الالهية ووردت به الانباء النبوية معما علل به الموافق من تسيير الكواكب السبعة وان كان المعول فى المغيب على الانباء الصادقة الصادرة عن علام الغيوب الذى لم يشرك فى غيبه الا من اطلعه عليه من رسله فخلق العالم فى ستة الايام ابتداوها يوم الاحد وانقضاوها يوم الجمعة واختلف اهل الكتب السالفة واهل العلم فى شرعنا فيما

ابتداء بخلقه على ثلثة اقاويل أحدها
وهو قول طائفة انه بدا بخلق الارض فى
يوم الأحد والأثنين لقول الله تعالى
ائنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين
وخلق الجبال فى يوم الثلاثا وخلق الماء والشجر
فى يوم الأربعا وخلق السما فى يوم الخميس
وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة
وادم فى يوم الجمعة قال الشعبي ولذلك
سمى يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق كل
شيئ والثانى وهو قول فريق انه بداء
بخلق السموات قبل الأرض فى يوم الأحد
والأثنين لقول الله تعالى فقضاهن سبع
سموات فى يومين واوحى فى كل سماء امرها
فيه ثلثة اوجه احدها اسكن فى كل سما
ملائكتها والثانى خلق فى كل سما ما اودعه
فيها من شمس وقمر ونجوم والثالث اوحى
الى اهل كل سما من الملائكة ما امرهم به من
العبادة ثم خلق الأرض والجبال فى يوم الثلاثا
والأربعا وخلق ما سواهما من العالم فى يوم
الخميس والجمعة والثالث وهو قول آخرين
انه خلق السماء دخانا قبل الأرض ثم فتقها

سبع

سبع سموات بعد الارض لقول الله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها فيه ثلثة تاويلات احدها اي اعطيا الطاعة في السير المقدر لكما باختيار او اجبار قاله سعيد بن جبير رضي الله عنه والثاني اخرجا ما فيكما طوعا او كرها والثالث كونا كما اردت من شدة ولين وحزن وسهل وممتنع وممكن قالتا اتينا طائعين اي كما اردت ان تكون وفي قولهما ذلك وجهان احدهما ان ظهور الطاعة منهما قام مقام قولهما والثاني انه خلق فيهما كلاما نطق بذلك قال ابو نصر السكسكي فنطق من الارض موضع الكعبة ونطق من السماء ما يحاذيها فوضع الله تعالى فيها حرمه

فصل

فاما آدم عليه السلام فهو آخر ما خلق الله الله تعالى في يوم الجمعة خلقه من تراب الارض ونفخ في انفه من نسمة الحيوة وهو النفس من كل ذي حيوة روى ابو زهير عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق آدم من قبضة قبضها

من جميع الأرض فجاء بنوا آدم على قدر الأرض
منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين
ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب
وبين ذلك وفي تسميته بآدم قولان احدهما
انه اسم عبراني نقل الى العربية والقول
الثاني انه اسم عربي وفيه قولان احدهما
انه سمي بذلك لأنه خلق من أديم الأرض
وادبمها وجهها والثاني انه سمي بذلك
لاشتقاقه من الأدمة وهي السمرة فلما
تكامل خلق آدم استوحش فخلق حواء واختلف
فيما خلقت منه على قولين احدهما انه خلقها
من مثل ما خلق منه آدم وهذا قول
تفرد به ابن بحر والقول الثاني وهو
ما عليه الجمهور انه خلقها من ضلع آدم عليه السلام
الأيسر بعد ان القى عليه النوم حتى لم
يجد لها المًا قال بن عباس فلذلك تواصلا
ولذلك سميت امرأة لأنها خلقت من
المرء وفي تسميتها حوا قولان احدهما لأنها
خلقت من حي والثاني لأنها ام كل حي فقال
آدم لما خلقت منه حوا هذا الشخص عظمه
من عظمي ولحمه من لحمي فلذلك صار الرجل

والمراة

والمراة كجسد واحد من شدة الميل وفصل الحنو قال الله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة يعنى آدم وخلق منها زوجها يعنى حواء وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الرجل من التراب فهمه بالتراب وخلقت المراة من الرجل فهمها بالرجل واختلف فى الوقت الذى خلقت فيه حواء على قولين احدهما انها خلقت منه فى الجنة بعد ان استوحش من وحدته وهذا قول بن عباس وابن مسعود والقول الثانى انها خلقت من ضلعه قبل دخوله الجنة ثم ادخلا معا اليها وهوا شبه بقول الله تعالى فقلنا يا آدم اسكن انت وزوجتك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين قال بن عباس خلق آدم يوم الجمعة واخرج منها يوم الجمعة وفيها تقوم الساعة واختلف فى الجنة التى اسكناها على قولين احدهما انها جنة الخلد والقول الثانى انها جنة اعدها الله تعالى لهما دار ابتلاء وليست جنة الخلد التى جعلها

الله دار جزاء وفيها على هذا قولان
احدهما انها في الأرض لأنه امتحنهما فيها
بالأمر والنهي واختلف في الشجرة التي
نهيا عن اكلها انها شجرة الخلد وقيل انها
شجرة العلم وفي هذا قولان احدهما علم
الخير والشر والثاني علم مالم يعلم وقيل
في الشجرة غير ذلك من الأقاويل فلما اكلا
منها بدت لهما سوآتهما بالمعصية وطفقا
يخصفان عليهما من ورق الجنة قال الله
تعالى فأزلهما الشيطان عنها فاخرجهما
مما كانا فيه وفيه قولان احدهما عما كانا
فيه من الطاعة الى ما صارا اليه من
النكد والمعصية والثاني عما كانا فيه من
النعيم في الجنة الى ما صارا اليه من النكد
في الأرض فحزن آدم حين اهبط من الجنة
الى الأرض وبقي في حزن مائة سنة لا يقرب
فيه حوا ثم غشيها فولدت له بعد المائة
قابيل ثم غشيها فولدت له هابيل فقتل
قابيل هابيل فحزن آدم لذلك حزنا شديدا
وقيل انه جعل حزنه جزاء على معصيته في
الأكل وقد يصاب الآباء في اولادهم من اجل
معاصيهم

(هامش: والقول الثاني انها في السماء لانه اهبطهما منها، صح)

(هامش: تأويلان)

معاصيهم ثم خف حزنه فغشى حواء فولدت
له شيثا وعلم ادم الاسماء كلها كما ذكره
الله تعالى فى قوله فى كتابه وفيما علمه من
الأسما قولان احدهما علم النجوم قاله حميد
والثانى انها اسما المسميات وفيه ثلثة
أقاويل احدها اسماء الملائكة قاله الربيع ابن
انس والثانى اسماء جميع ذريته قاله
عبد الرحمن بن زيد والثالث اسماء جميع
الاشياء وفيها فيه على هذا قولان احدهما
ان تعليمه كان مقصورا على الأسماء دون
معانيها والثانى انه علمه الاسماء ومعانيها
لأنه لا فائدة فى علم الأسماء بلا معانيها
لأن المعانى هي المقصودة والأسما دلائل عليها

فصل

ولما هبط آدم عليه السلام الى الأرض قيل
انه اهبط الى شرقى ارض هند وحوا بجده
وابليس على ساحل بحر ابلة والحية فى البرية
وكانت نبوة آدم عليه السلام مقصورة عليه وما نزل
عليه من الوحي متوجها اليه فكان من المصطفين
دون المرسلين واختلف فيه اهل الكتاب
هل خلق فى ابتدائه قابلا للموت ام جعله

الموت عقوبة له على المعصية وقال بعضهم
خلق آدم في ابتداء انشائه على الطبيعة
الباقية والطبيعة الميتة ليكون ان مال
الى الشهوات الجسمانية واثرها وقع في
التغاير الجسمانية وناله الموت وان اثر
فضايل النفس بالخير نال البقا الذى سعدت
به الملائكة فلم يمت فلما عصى باكل الشجرة
عدل الى التغاير فناله الموت واستشهدوا
عليه من التوراة بما ذكره فيها انك ان اكلت
من الشجرة يوم تاكل منها فتموتا بموتى فلم
يجز ان يتوعده بالموت عند معاقبته وهو
يموت لو لم يعاقب وقال آخرون منهم وهو
اشبه بمقتضى العقل انه خلق في ابتداء
انشائه قابلا للموت في الدنيا وان لم يعص
لانه احوجه الى الغذا كذريته وليس
بشئ من الجواهر التى لا ينالها الموت محتاجة
الى الغذا ولم يجعل الموت عقوبة على المعصية
ولذلك لم يمت من عصا الله من الملائكة
وان في التوراة مكتوبا ان مد يده في الجنة
الى شجرة الحيوة فاكل منها حتى الدهر كله
فدل على انه مطبوع على قبول الموت ولما

خلق الله

خلق الله تعالى آدم ابتداء ولم يخلقه بتوسط
طبيعة كما خلق نسله كان على افضل ما له
اعتدال واكمل عقل فصار قلبه معدنا للحكمة
الانسانية وجسده مهياء للأفعال
البشرية فلم يمتنع عليه شيء منها حتى
احاط علما وقدرة بجميعها ولذلك علم الأسما
كلها والهم الحكمة باسرها واطلع على اسرار
النجوم وعرف منافع الحيوان والنبات ومضارهما
ولولا ذلك لما فرق بين الغذا والدوا ولا
بين السموم القاتلة والشفا ولا اهتدى
بالنجوم في اولادهم وكان هو المدبر لاولاده في
مدة حياته حتى مات بعد تسع مايه
وستين سنة من عمره ثم قام بالامر بعده
شيث بن آدم فبرع بالحكمة وفاق في العلم
علم النجوم بما اخذه عن ابيه آدم وبما استفاده
بالتجربة ومرور الزمان واختلف اهل الكتاب
في نبوة شيث فادعاها بعضهم وانكرها
آخرون منهم وولد بعد مايتين وثلثين
سنة من عمر ابيه آدم ومات وله تسع مائة
واثنا عشر سنة فكان قيامه بالامر بعد
موت ابيه آدم مايتان واثنا عشر سنه

واتفق اهل الكتاب انه لم يكن بين شيث
وادريس نبي غير ادريس ثم قام بالامر بعد
شيث ولده انوش بن شيث وكان مولده
بعد مايتين وخمسين سنة من عمر شيث ومات
انوش وله تسع ماية وخمسون سنة فكان
قيامه بالامر بعد شيث مايتين وثمانية
وثمانين سنة ثم قام بالامر بعد انوش ولده
قينان ولد بعد ماية وتسعين سنة من عمر
انوش ومات قينان وله تسعماية وعشرين
فكان قيامه بالامر بعد انوش ماية وتسعين
سنة ثم قام بالامر بعد قينان ولده مهلاييل
بن قينان وولد بعد ماية وخمسة وسبعين
سنة من عمر قينان ومات مهلابيل وله
ثمنماية وخمس وسبعون سنة فكان قيامه
بالامر بعد قينان ماية وعشرين سنة ثم
قام بالامر بعد مهلابيل ولده يارد بن مهلاييل
ومات يارد وله تسع ماية واثنان وستون
سنة فكان قيامه بالامر بعد مهلابيل
مايتين واثنين وخمسين سنة ثم قام بالامر
بعد يارد ولده خنوخ بن يارد وهو ادريس
وولد بعد ماية واثنين وستين سنة من عمر

يارد

نارد وهو نبي في قول جميع اهل الملك واختلف
اهل الكتاب هل هو اول الأنبيا او ثانيهم
فقال من زعم ان شيثا نبيا هو ثاني الانبيا
وقال من زعم ان شيثا ليس بنبي ان
ادريس اول الأنبياء وهو اول من شرع
الأحكام واول من اتخذ السلاح وجاهد في
سبيل الله تعالى وسبا وقتل بني قابيل
ولبس الثياب وكانوا يلبسون الجلود واول
من كتب الخط في قول الأكثرين واول من وضع
الأوزان والكيال والكيول ثم رفعه الله
تعالى اليه حيا بعد سبع مائة وخمس
وثمانين سنة من عمره فقام فيها داعيا
وابوه حيا على ما يقتضيه تاريخ هذه المواليد
والاعمار المأخوذة من التوراة المنزلة قال
ابن قتيبة وسمي ادريس لكثرة ما كان
يدرس من كتب الله تعالى وسنن الاسلام

فصل

ثم كثر الناس وافترقوا بعد ادريس وزادوا
الى زمان نوح بن لمك بن متوشلح بن حنوخ
وهو آخر نبي بعث قبل الطوفان ونزل
الطوفان بعد ستمائة سنة من عمره

والذر به قومه فكذبوه وصنع السفينه
فسخروا منه وامر الله تعالى ان يصنعها
فى طول ثلثمائة ذراعا وعرض خمسين ذراعا
وعلو ثلثين ذراعا وتكون ثلث طبقات
ليركب فيها هو واهله ويأخذ من كل جنس
من الحيوات زوجا ذكرا وانثى ليكونوا اصولا
لنسلهم يحيا بهم العالم ثم وعده ان سيمطره
بعد سبعة ايام اربعين يوما واربعين
ليلة فلم يبق فى الأرض ذو روح الا وركبها
وغاض الطوفان بعد مائة وخمسين يوما
فاستوت على الجودي وهو جبل بارض الجزيرة
شهرا وسمي الماء طوفان لأنه طغا فوق
كل شيء واختلف فيما عاش نوح بعد
الطوفان فقال الأكثرون ثلثمائة وخمسون
سنة وهو ظاهر ما نزل به القرآن وقال
آخرون ستمائة وخمسون سنة لأنه لبث
تسعمائة وخمسين سنة داعيا لقومه وكان
له قبل دعائه ثلثمائة سنة واختلف
فيما بين هبوط آدم من الجنة الى مجيء الطوفان
فقال اثنان وسبعون حبرا من بني اسرائيل
نقلوا التوراة الى اليونانية بينهما الفان

ومائتان

وماتان واثنان واربعون سنة ثم تبلبلت
الألسن بعد الطوفان بستماية وسبعة
سنة فافرقت اثنان وتسعون لسانا في
في اثنين وسبعين امة قال وهب بن منبه
في ولد سام بن نوح تسعة عشر لسانا وفي
ولد حام سبع عشرة لسانا وفي ولد يافث
ستة وثلثون ومن تبلبل الألسن الى
مولد ابراهيم عليه السلام اربع ماية واحد
عشر سنة ومن مولد ابراهيم عليه السلام
الى مولد موسى اربع ماية وخمس وعشرون
سنة واخرج بني اسرائيل من مصر بعد
ثمانين سنة ودبر امرهم اربعين سنة
ومات وله ماية وعشرون سنة فصار
من هبوط آدم الى وفاة موسى ثلثه الاف
وثمانماية وثمانية وستون سنة وقال
آخرون من بني اسرائيل المقيمين على التوراة
العبرانية التي يتداولها جمهور اليهود في
وقتنا ان من هبوط آدم من الجنة الى مجيء
الطوفان الف وستماية وست وخمسون
سنة ومن انقضاء الطوفان الى تبلبل الالسن
ماية واحدى وثلثون سنة ومن تبلبل الألسن

الى مولد ابراهيم عليه السلام مائة واحدى
وستون سنة ومن مولد ابراهيم الى وفاة
موسى عليه السلام خمسمائة وخمسة واربعون
سنة فصار من هبوط آدم الى وفاة موسى
عليه السلام الفان وثمان مائة وتسع واربعون
سنه واول نبي بعد نوح ابراهيم وهو اول
من قص شاربه واستحد واختتن وقلم
الأظفاره وتمضمض واستاك واستنشق
واستنجا بالماء واول من اضاف الضيف واطعم
المساكين وثرد الثريد وكان داعيا الى عبادة
الله وتوحيده ثم ولده اسحق بن ابراهيم
ولد له عيصوا ويعقوب توأمين فى بطن واحد
فخرج عيصوا ثم خرج بعده يعقوب ويده عاكفة
على عقبه فسمى يعقوب فعيصوا ابو الروم
وكان اصفر فكذلك سميت الروم بنى الأصفر
ويعقوب هو اسرائيل ابو الأسباط وايوب
بن موص كان ابوه ممن آمن بابراهيم يوم
احرق وكان فى زمن يعقوب وكان صهرهم
زوجه يعقوب بنته ليا وهي التى ضربها بالضغث
واول نبي من بنى اسرائيل موسى وآخرهم
عيسى وكانت نبوة يعقوب عليه السلام بن اسحق

ابن ابراهيم

بن ابراهيم ومن بعده من ولده مقصورة
على انفسهم حتى دعا موسى الى نبوته
بنى اسرائيل ومن وفاة موسى والى ابتدا ملك بختنصر
ملك الاسكندر الف واربع ماية وثلث
عشر سنة وولد عيسى ليلة الاربعا الخامس
والعشرين من كانون الاول لسبع ماية
وتسع وثلاثين سنه من ملك بختنصر
ولثلث ماية واربع وستين من ملك الاسكندر
ومن ملك بختنصر الى ابتداء الهجرة الف
وثلثماية وتسعة وستون سنة ومن
ملك الاسكندر ~~ومن ملك الاسكندر~~ الى
ابتداء الهجرة الفان وثلثماية وسبع
واربعون سنة ومولد عيسى عليه السلام
بعد الف وسبعماية وسبعة عشر سنة
من موت موسى وقبل ستماية وثلثون سنة
من ابتداء الهجرة

ملك بختنصر تسعماية وثمان وسبعون سنة والى صح

فصل

فاذا تقرر ما ذكرناه من مدة الدنيا انها
مقدرة فى الكتب الالهية لسبعة الاف
سنة كان الماضى منها الى ابتداء الهجرة
محمولا على ما قدمناه من اختلاف اهل التوراة

فيكون على القول الاول الماخوذ عن الاخبار
الناقلين لها الى اليونانية تسعة آلاف
وماتين وستة عشر سنة والباقى من
عمر الدنيا على قولهم بعد الهجرة سبع ماية
واربع وثمانون سنة وبعوموا فوق لقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سبعة
آلاف سنة بعثت فى آخرها الفا ويكون
الماضى منها على القول الثانى الماخوذ عن
التوراة العبرانية اربعة آلاف سنة وثمان
ماية واحدى واربعين سنة والباقى من عمر
الدنيا على هذا القول بعد الهجرة الفان
وماية وتسع وخمسون سنة وقيل انهم
قالوا ذلك ليكون رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى خامسها الفا فيدفعوه بنقصان
التاريخ عن صفته فى التوراة انه مبعوث فى
آخر الزمان ويكون الماضى منها على القول
الثالث فى توراة السامرة خمسة آلاف وماية
وثلاثين سنة والباقى من عمر الدنيا على هذا
القول بعد الهجرة الف وثمان ماية وثلث
وثلاثون سنة ليكون الرسول فى سادسها
الفا لما قيل من سببه والسامرة قوم ناقله

من بلاد

من بلاد المشرق سموا بذلك لأن تفسيره
بالعربية الحفظة وهم لا يقبلون من كتب
الأنبيا الا التوراة وحدها والأول لأجل قول
الرسول كالأشبه وان كان قيام الساعة
وانقراض مدة الدنيا وفناء العالم على هذا
التاريخ الذى اثبتوه والتقدير الذى حققوه
مدفوعا عندنا بقول الله تعالى ان الله عنده
علم الساعة وفيه ثلث تاويلات احدها
ان قيامها يختص بعلمه فامتنع ان يشاركه
فى علمه احد من خلقه والثانى ان قيامها
موقوف على ارادته فامتنع ان يوقف على
غير ارادته وقال تعالى هل ينظرون إلا
الساعة ان تأتيهم بغتة يعنى يعنى فجاءة
والبغتة غير معلومة وامتنع ان تكون
عندهم معلومة ثم قال فقد جاء اشراطها
فيه وجهان احدهما النبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وهذا يدل على انه مبعوث فى
آخرها الغا والثانى ان اشراطها الآيات
المنذرة بها كما قال وما نرسل بالآيات الا
تخويفا فلا تقوم الساعة الا بعد ان ينذر
الله تعالى بآياتها روى سفين بن عيينه

عن مراد عن ابى الطفيل عن حذيفة بن اسيد
الغفارى قال اشرف علينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم من علية ونحن نتذاكر امر
الساعة فقال ماكنتم تتذاكرون قلنا قيام
الساعة قال ان الساعة لن تقوم حتى يكون
قبلها عشر ايات فلاندرى بايهن بدا طلوع
الشمس من مغربها والدجال والدخان
والدابة ونزول عيسى بن مريم وخروج ياجوج
وماجوج وثلث خسوف خسف بالمشرق
وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب
وآخر ذلك نار تخرج من قبل اليمن او من عدن
تطرد الناس الى محشرهم وروى برد عن مكحول
عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخرج الدجال فى الثمانين فان لم يخرج ففى
ثمانين ومايتين فان لم يخرج ففى ثلثمائة
وثمانين فان لم يخرج ففى اربع مائة وثمانين
وروى معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه
وسلم ذكر الدجال فقال تقسم فيكم اربعين
سنه اول كل سنة كالشهر ثم الثانية مثله
كالجمعة ثم الثالثة كاليوم وسائر سنيه
كالساعة حتى ينزل عيسى بن مريم فيوجد

الحربه

الحريه فيذوب كما يذوب الرصاص وفي هذا
دليل على تقدم خروج الدجال واخرها الذي
تقوم بالساعة ظهور الناس والله اعلم
بما استاثر بغيبه ثم من اطلعه عليه من رسله

فصل

وبين موسى وعيسى عليهما السلام من الانبيا
شعيا وهو الذي بشر بني اسرائيل بنبوه محمد
صلى الله عليه وسلم ووصفه بعد ان بشر
بعيسى فقبله بنوا اسرائيل ثم حزقيل وهو
الذي اصاب قومه الطاعون فخرجوا من ديارهم
حذر الموت فاماتهم الله تعالى ثم احياهم
ومنهم دانيال سباه بختنصر مع عزير ونزل
من بختنصر اعظم افضل منزل لرويا عبرها
له وقبره بناحية السوس وجده ابو موسى
الاشعري فاخرجه ولفه وصلى عليه ودفنه
ومنهم الياس بعث الى اهل بعلبك وكانوا
يعبدون صنما يقال له بعل وكان ملكهم
اسمه اجب وامراته اربيل وكان يستخلفها
على ملكه وهي بنت ملك سبا عمرت عمرا طويلا
وتزوجها سبعة من ملوك بني اسرائيل وهي
التي قتلت يحيى بن زكريا ثم رفع الله تعالى

اليه الياس اليه ثم اليسع كان تلميذ الياس
فدعا له الياس فنباه الله بعده ثم يونس
بن متى ثم زكريا قتله بنوا اسرائيل في الشجرة
ثم عيسى ويحيى ابن زكريا فاما يحيى فان
اجب قتله بحيلة امراته اربيل واما عيسى
فان امه هربت به من اجب الملك الى مصر
ثم عاد به الى يوسف النجار مع امه الى قرية
تدعى ناصرة فلذلك قيل لاصحابه نصارى
لانهم سموه عيسى الناصري واصحاب الكهف
هم فتية من الروم دخلوا الكهف قبل المسيح
عليه السلام وضرب الله على اذانهم فيه فلما بعث
المسيح اخبر بخبرهم ثم بعثهم الله تعالى بعد
المسيح في الفترة بينه وبين النبي صلى الله
عليه وسلم وجرجيس من اهل فلسطين ادرك
بعض الحواريين وبعث الى ملك الموصل ولقمان
كان عبدا حبشيا لرجل من بني اسرائيل وكان
في زمان داوود عليه السلام واسم ابيه ثاران
واختلف في نبوته فزعم الاكثرون انه لم يكن
نبيا قال سعيد بن المسيب كان نبيا وكان
خياطا وذوا لكفل من بني اسرائيل بعث الى
ملك كان فيهم يقال له كنعان دعاه الى

الايمان

الايمان وكفل له بالجنة وكتب له كتابا فسمى
ذا الكفل بالكفالة وذكر وهب بن منبه ان
الانبياء كلهم مائة الف نبي واربعة وعشرون
الف نبي الرسل منهم ثلثمائة نبي وخمسة
عشر نبيا منهم خمسة عبرانيون ادم وشيث
وادريس ونوح وابراهيم وخمسة من العرب
هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد وروى
ابو صالح عن ابن عباس قال بعث الله الى اهل
الرس والرس البير نبيا منهم يقال له حنظله
ابن صفوان فكذبوه وقتلوه فاوحى الله تعالى
الى نبي كان مع بختنصر يقال له ارميا بن
برخيا مر بختنصر يغزوا العرب الذين لا اغلاق
لبيوتهم فيقتلهم بما صنعوا بنبيهم وخالد بن
سنان روى ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ذاك نبي اضاعه قومه وذلك انه قال
لقومه ادفنوني فاذا جاءت الظبا بعد ثلث
فاخرجوني فانبئكم بما امرت فجاءت الظبا الى
قبره بعد ثلث فلم يخرجوه وقالوا يتحدث
العرب عنا انا نبشنا موتانا واتت ابنته رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسمعته يقراء قل هو
الله احد فقالت قد كان ابي يقراء هذا ولا

يضبط ذكر من سلف من الأنبياء مع كثرتهم
وقول الله تعالى لنبيه منهم من قصصنا عليك
ومنهم من لم نقصص عليك والله اعلم

الباب السادس

في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الكلام في
اثبات نبوته يتقرر مع المعترفين ببعثة الرسل
لأن منكريها يعمون الجميع بها ويدفعون كل
مدع لها والكلام معهم فقد قدمناه في اثبات
النبوات على العموم فاما نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم فقد اختلف فيه مخالفوه من
مثبتي النبوات على اقوال شتى فمنعت اليهود
من نبوته لامتناعهم من نسخ الشرع واختلفوا
في المانع من نسخه فمنع منه بعضهم بالعقل
لأن نهي الله تعالى عما امر به وامره بما نهى
عنه انما يكون لخفاء المصلحة عليه في الابتدا
وظهورها له في الانتها والله تعالى عالم بها
في الحالين لتنافي الضدين ومنع بعضهم منه
بالشرع وان جوزوه في العقل بما نقلوه عن
موسى عليه السلام ذكروه في التوراة انه قال
تمسكوا بالسبت ابدا سنة الدهر وكلا الوجهين
فاسد من وجهين احدهما ان العقل لا يمنع من

الامر بالشيء

الأمر بالشيء في زمان والنهي عنه في غيره
بحسب المصلحة في قول من اعتبرها او بالإرادة
في قول من اعتمدها ولا يكون مستقبحا من
فعل حكيم كما يفتي من افتقر ويفقر من اغنى
اما للمصلحة او بالإرادة ولا يكون ذلك
لاستبهام المصلحة واشكال الإرادة والثاني
ان موسى نسخ شرع من تقدمه لأن آدم ع
زوج بنيه ببناته وجوز يعقوب الجمع بين
الأختين ونكح ابراهيم بنت اخيه وكل هذا عند
موسى منسوخ لشرعه فجاز ان ينسخ شرعه
بشرع غيره وقال آخرون محمد نبي مبعوث
الى قومه من العرب وليس بنبي لغيرهم وهذا
فاسد من وجهين احدهما انه تخصيص بغير دليل
والثاني ان ثبوت نبوته في قومه موجب
لصدقه وقد قال انه بعث الى كافة الخلق
وأنه خاتم الأنبياء، فلم يجز رد قوله مع ثبوت
صدقه وقال آخرون هو نبي مبعوث الى من
لم يتمسك لشرع من عبدة الأوثان وليس
بمبعوث الى من تمسك بشرع من اليهود والنصارى
وهذا فاسد من وجهين مع الوجهين المتقدمين
احدهما أنه يدفع به عن نسخ الشرع وقد

دلنا على جوازه والثاني ان من اعترف
بالنبوات كانت الزم له ممن جحدها وقال
آخرون ليس بنبي لأنه لم يأت بمعجزة قاهرة
تضطر الى صدقه كمعجزة موسى وعيسى
وان جاز نسخ الشرائع بمثلها من الشرائع
وفي هذا يتعين اقامة الدليل على اثبات
نبوته وهو معتبر بثلثة شروط احدها
وصف المستدل والثاني حكم المدلول عليه
والثالث صفة الدليل فأما الشرط الأول
في صفة المستدل فقد اختلف فيه فذكر
الجاحظ انه العقل لأنه المميز للحق وقال
الأكثرون المستدل هو العاقل والعقل آلة
استدلاله ليتوصل به الى صحة مدلوله واما
الشرط الثاني ففي حكم المدلول عليه فعند
فريق انه اثبات نبوته ليعلم بها صدق قوله
وعند الأكثرين انه اثبات صدقه ليعلم
بقوله صحة نبوته واما الشرط الثالث وهو
الدليل فحجاج يتنوع انواعا لأن المستدل واحد
والمدلول عليه واحد والدليل يشتمل على اعداد
متنوعة وشواهد مختلفة فرق الله بينها
لتكون الحجج متغايرة والبراهين متناصرة بحسب

ما علمه

ماعليه علمه من المصلحة ورآه من اسباب
الأجابة كما قال تعالى وكذلك نصرف الأيات
اي نخالف بينها في المعجزات فكان بعضها
حجة قاطعة وبعضها امارة لا يحجة تجري
عليها احكام ماقاربها فتقوى بعد الضعف
وتحج بعد الكشف وان لم يكن الأنذار بانفراد ها
من قواطع الحجج المغنية عن دليل يحج وهكذا
القول في نبوة غيره فلا يلزم تطابق حججهم
كما لم يلزم اتفاق شرايعهم وقد قدمنا
اقسام المعجزات فاذا ظهرت اعجازهن حجت ٧ احداهن
ودلت على صحة النبوة وقد ظهر في نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم اكثرها مع ماتقدمها
من الانذار وظهر بها من آثار وتحقق بها من
اخبار فصارت اعم النبوات اعجازا واوضحها
طريقا وامتيازا واكثرها تاييدا الاهيا وتعبدا
شرعيا تقهر شواهدها من نافر وعاند
وتحج دلائلها من ناكر وجاحد لأن المهيا لأمر
مطبوع على آلته ومنقاد الى غايته حتى
يتدرج اليه بغير تكلف ويستقر فيه بغير
تصنع ولا تشبه من تعاطاه بمن طبع له فضح
التطبع شيمة المطبوع ولم تزل امارات النبوة

لابجة في رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى ندرج اليها وهو عما قل عنها وغير متضع
لها فنهض باعيانها مين انته وقام بحقوقها
حين لزمته غير ذاهل فيها ولا عاجز عنها الى
ان تكامل به الشرع فتم فتم على اصل مستقر
وقياس مستمر لا يدفعه عقل ولا يأباه قلب
ولا تنفر منه نفس هذا وهو امي لم يقرا
كتابا ولا اكتسب علما فأوضح كل ملتبس وبين
كل مشتبه حتى رجع كثير من الملك الى شريعته
في علم ما قصروا عنه من حقوق وعقود استوعب
اقسامها وبين احكامها وما ذاك الا بعوث
الاهي وتأييد لاهوتي وحسبك بهذا شاهدا
لو اقتصرنا عليه وحجاجا لو اكتفينا به ولكن سنذكر
من معجزاته القاهرة وبراهينه الواضحة ما يرد
كل جاحد ويصد كل معاند من انواع متغايرة
واخبار متواترة واثار متظاهرة ليصدق بعضها
بعضا ليكون تغايرها معا لكل برهان وتظاهرها
رافعا لكل بهتان فمنها ما تقدمه من نذير وبشير
ومنها ما تعقبه من تغيير وتأثير ومنها
ما قارن به من اقوال وافعال صدرت منه واليه
فلم يبق من الأيات ما اخل به ولا من الأعلام

ما قصر فيه

ما قصر فيه وسنذكرها ابوابا مفصلة وانواعا
متميزة ليكون اصح بيانا واوضح برهانا
واخصها بالسابقة والتقديم اعجاز القران
لأنه اصل شرعه ومستودع رسالته ثم نتلوه
بما يقتضيه وان كان لو ذكرنا اول مباديه
على سياق ينتهي الى غايته لكان نظاما
ولكن هذا باب حجاج لرسالته ارساله وتأسيس
شرع لسيرته فوجب ابتداؤه باخصها ثم
ذكر سيرته على ترتيبها

الباب السابع

فيما تضمنه القران من انواع اعجازه

والقران اول معجز دعا به محمد صلى الله عليه
وسلم الى نبوته وصدع فيه برسالته
وخص باعجازه من جميع رسله وان كان كلاما
ملفوظا وقولا محفوظا لثلاثة اسباب
صار بها من اخص اعجازه واظهر اياته احدها
ان معجز كل رسول موافق للأغلب من احوال
عصره والشائع المنتشر في ناس دهره لأن
موسى عليه السلام حين بعث في عصر
السحرة ما خص من فلق البحر يبسا وقلب
العصا حية ما أبهر كل ساحر واذل كل كافر

وبعث عيسى عليه السلام فى عصر الطب
فخص من آثار الزمنى واحياء الموتى بما ادهش
كل طبيب واذهل كل لبيب ولما بعث محمد صلى
الله عليه وسلم فى عصر الفصاحة والبلاغة
خص بالقران فى ايجازه واعجازه بما عجز عنه
الفصحاء واذعن له البلغاء وتبلد فيه الشعراء
ليكون العجز عنه اقهر والتقصير فيه اظهر
فصارت معجزاتهم وان اختلفت متشاكلة المعانى
متفقة المثل والثانى ان المعجز فى كل قوم بحسب
افهامهم على قدر عقولهم واذهانهم فكان
فى بنى اسرائيل من قوم موسى وعيسى
بلادة وغباوة لانه لم ينقل عنهم ما يدون
من كلام مستحسن او يستفاد من معنى
مبتكر وقالوا لنبيهم حين مروا بقوم يعكفون
على اصنام لهم اجعل لنا الاها كما لهم آلهة
فخصوا من الاعجاز بما يصلون اليه ببداية
حواسهم والعرب اصح الناس افهاما
واحدهم اذهانا قد ابتكروا من الفصاحة
أبلغها ومن المعانى اغربها ومن الآداب
احسنها فخصوا من معجز القران بما تجول
فيه افهامهم وتصل اليه اذهانهم فيدركوه
بالفطنة

بالفطنة دون البديهة وبالروية دون
البادرة لتكون كل امة مخصوصة بما يشاكل
طبعها ويوافق فهمها والثالث ان معجزة
القران ابقى على الاعصار وانشر فى الاقطار
من معجز يختص بحاضره ويندرس بانقراض
عصره ومادام اعجازه فهو احج وبالاختصاص
احق

فصل

واعجاز القران فى خروجه عن كلام البشر
واضافته الى الله تعالى يكون من عشرين
وجها احدها فصاحته وبيانه وذلك
معتبر بثلثة شروط احدها بلاغة الفاظه
والثانى استيفاء معانيه والثالث حسن
نظمه فاما بلاغة الفاظه فيكون من وجهين
احدهما جزالتها حتى لا تلين والثانى انطباعها
حتى لا تجفوا واما استيفا معانيه فيكون
من وجهين احدهما ان يكون المعنى لايجا فى
مبادى الفاظه غير مفتقر الى مقاطعه والثانى
ان المعنى مطابقا لالفاظه فلا يزيد عليها
ولا ينقص عنها فان زاد كان الاختلاف فى
اللفظ وان نقص كان الاختلاف فى المعنى
واما حسن نظمه فيكون من وجهين احدهما

ان يكون الكلام متناسبا لا يتنافر والثاني
ان يكون الوزن معتدلا لا يتباين فان قيل
قد يجتمع في كلام البشر ما يستكمل هذه
الشروط فيبطل به الاعجاز فالجواب عنه من
وجهين احدهما ان اسلوب نظمه على هذه
الشروط معدوم في غيره فافترقا والثاني
ان النظم الفاظه بهجة لا توجد في غيره
فاختلفا لانك اذا جمعت بين قول
الله تعالى ولكم في القصاص حيوة وبين
قولهم القتل انفى للقتل وجدت بينهما فرقا
في اللفظ والمعنى فصل
والوجه الثاني من اعجازه ايجازه عن هذا
الاكثار واستيفا معانيه في قليل الكلام كقوله
تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء
اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت
على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين
فان قيل ليس جميعه وجيزا مختصرا وفيه
المبسوط والمكرر وبعضه افصح من بعض
ولو كان من عند الله لتماثل ولم يتفاضل
لان التفاضل في كلام من يكل خاطره تضعف
قريحته فعنه جوابان احدهما ان اختلافه
في البسط

في البسط والايجاز ليس للعجز عن تماثله
ولكن لاختلاف الناس في تصوره وفهمه
وتفاضله في الفصاحة بحسب تفاضل
معانيه لا للعجز عن تساويه والثاني انه
خالف بين مبسوطه ومختصره وبين افصحه
واسهله ليكون العجز عن اسهله وابسطه
ابلغ في الاعجاز من العجز عن افصحه واخصره
ولذلك فاضل بين خلقه ليعرف به فرق
ما بين الفاضل والمفضول وقد حكى ابو
عبيدة ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع
بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا
الكلام فاما تكرار قصصه وتكرار وعده
ووعيده فلأسباب مستفادة منها أنها
في التكرار اوكد وفي المبالغة ازيد ومنها
انها تتغاير الفاظها فتكون الى القبول
اسرع وفي الاعجاز ابلغ ومنها أنها أن
اخل بالوقوف عليها في موضع ادركها في
غيره فلم يخل من رغب ورهب فصل
والوجه الثالث من اعجازه ان نظم اسلوبه
ووصف اعتداله يخرج عن منظوم الكلام
ومنثوره ولا يدخل في شعر ولا رجز ولا

سجعة ولا خطبة حتى تجاوز محصور اقسامه
وباين سائر انواعه باسلوب لا يشاكل ما
ونظم لا يماثل فصار وان كان من حروف
الكلام خارجا عن اقسام الكلام فقال أنيس
الغفاري وهو اخو ابي ذر الغفاري وكان من
الموصوفين بالتقدم في البلاغة والفصاحة
عرضت القران على السجع والشعر والنظم
والنثر فلم يوافق شيئا من طرق كلام العرب
وحكي عن الوليد بن المغيرة المخزومي وكان
سيد عشيرته وافصح قومه انه جاء الى
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على كفره فقال اقرؤا علي شيا من
القرآن فقرؤا عليه فقال ليس هذا من
كلام البشر وليس بشعر فمضى اليه ابو
لهب وقال افسدت قريشا بهذا القول
فارجع عنه فقال اقول انه سحر وقد
تعاطاه من الشعراء ما خرج عن اسلوبه الى
طريقة شعره فقال في قصة الفيل

ألا من مهلك الفيل، ومن سارع الفيل *
بطير صبه الله، عليهم من ابابيل *
رمتهم بجنادل ترى، من طين سجيل *

فامضى

فأضحى القوم في القاع * كعصف غير مأكول

فلم يساعده الطبع عليه مع اخذ معانيه واستعمال الفاظه حتى عاد الى مطبوع شعره وضمن آخر من الشعراء شيئا منه في شعره تخرج عن اسلوبه حيث يقول

وقراء معلنا ليصدع قلبي * والهوى يصدع الفؤاد السقيما
أرايت الذى يكذب بالدين * فذاك الذى يدع اليتيما

فان قيل لو كان لنظم القران اسلوب معجز لما طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند جمع القران من يأتيه بالآية والآيتين شهودا انه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اكتفى باسلوب نظمه عن بينة تشهد به ولكان لا يشتبه على ابن مسعود في المعوذتين حتى اخرجهما من القرآن ولا على ابى ابن كعب في القنوت حتى ادخله في القران ولا على امراة بن رواحة في شعره حتى توهمته من القرآن فعنه جوابان اما احدهما ان عمر التمس الشهادة في الآية والآيتين مما لا يكون بانفراده معجزا لان الاعجاز مختصا بما وقع به التحدى واقل ما يقع به التحدى كاقصر سورة في

القران ايات وحروف وهي سورة الكوثر وما
قصر عنه لاعجاز فيه فكان طلبه للشهادة
متوجها اليه والثاني انه طلب الشهادة على
محلها من اي سورة هي وفي اي موضع منها
توضع وان كان معلوم الأسلوب بالمباينة
لأن الله تعالى كان يامر بوضع ما انزله فيما
يراه من السور لقوله ان علينا جمعه وقرآنه
فاما ابن مسعود فلم يشكل عليه أسلوب
المعوذتين انهما من القرآن وانما حكمهما من
مصحفه لأنه ظن ان تلاوتهما قد نسخت
واما ابي ابن كعب فظن ان تلاوة القنوت
باقية ولم يعلم انها قد نسخت واما امراه
ابن رواحه فلم يكن من ذوى الفصاحة والبلاغة
فتفرق بين الشعر واسلوب القرآن
فلم يكن لوهمها تاثير فصل
والوجه الرابع من اعجازه كثرة معانيه التي
لا يجمعها كلام البشر وذلك من وجهين
احدهما ما يجمعه قليل الكلام من كثير المعاني
كقوله واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه
فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا
تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين

فجمع في

فجمع فى اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين
وإشارتين والثانى ان الفاظه تحتمل معان
متغايرة تحار فيها العقول وتذهل فيها الخواطر
وتكل فيها القرايح ثم لا تبلغ اقصاه ولا تدرك
منتهاه حتى اختلفت فيه الوجوه وتقابلت
فيه النظاير فان قيل فهذا الغاز ورمز
هو بالذم منه اولى بالحمد ففيه جوابان
احدهما ان الألغاز وان ذم فالرمز ليس
بمذموم وليس فيه لغز وان كان فيه رمز
والثانى ان ما اختلفت معانيه يخرج عن اللغز
والرمز لأن اللغز ما اريد به غير معناه
والرمز ما خفى معناه

فصل

والوجه الخامس من اعجازه ما جمعه القران
من علوم لا يحيط بها بشر ولا تجتمع فى مخلوق
فلم يكن الا من عند الله المحيط بكل شيء
علما حتى علمه ما لم يكن يعلم به عالما فان
قيل فضل العلم لا يكون اعجازا فى النبوة لأن
العلما قد يتفاضلون ولا يكون للأفضل
اعجاز على المفضول ففيه جوابان احدهما
ان التفاضل فى العلم موجود والأحاطة بجميع
بجميع العلوم مفقود والثانى ان ظهور العلم

فيمن يتعاطاه ليس بمعجز لظهوره من جهته وظهور العلم فيمن لم يتعاطاه معجز لظهوره من غير جهته وقد كان اميا من امة امية لم يقرأ كتابا ولم يتعاط علما فصار ما ظهر معجزا

فصل

والوجه السادس من اعجازه ما تضمنه من الحجج والبراهين على التوحيد والرجعة وعلى الدهرية والثنوية حتى قطع بحجاجه كل محتج وخصم بجدله كل خصم فان قيل دلائل فدلائل التوحيد مستفادة بالعقول فلم يكن فيها اعجاز من وجهين احدهما وجودها من ذاته والثاني مشاركته فيها لغيره والجواب عنه من وجهين احدهما انه لم يكن من اهل الجدل فينقطع كل مجادل والثاني انه احتج للرجعة بما زاد على قضايا العقول فخصم كل عاقل

فصل

والوجه السابع من اعجازه ما تضمنه من اخبار القرون الخالية وقصص الامم السالفة وما تحداه به اهل الكتاب من قصة اهل الكهف وشان موسى والخضر وحديث ذى القرنين فكان على ما ذكره انبياهم وتضمنته

كتبهم

كتبهم فان قيل فالاخبار بما كان ليس بمعجز
لان علم غير الانبياء به ممكن فعنه جوابان
احدهما انه ممكن فيمن علمها وممتنع فيمن
لم يعلمها ولم يكن من اهلها فيعلمها فصار
معجزا ممتنعا والثانى انهم اقترحوا تحديه
مما لم يكن مبتديا ولا كان له متاهبا من
غوامض اسرار وغرائب واخبار جعلوها
محاجا لهم له وعليه ففصح بالجواب عن سرايرها
وصدع بنعت غوامضها فخرج عن العرف الى
ما ليس بعرف فصار معجزا فصل
والوجه الثامن من اعجازه ما تضمنه من علم
الغيب باخبار تكون فكانت كقوله لليهود
قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله
خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين ثم قال ولن يتمنوه ابدا بما قدمت
ايديهم فما تمناه احد منهم وكقوله لقريش
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقطع بانهم لا يفعلون
فلم يفعلوا وكقوله سيهزم الجمع ويولون
الدبر بلى وكان ذلك فى يوم بدر وكقوله فى
هجرته عن مكة الى المدينة ان الذى فرض
عليك القران لرادك الى معاد فاعاده الله

تعالى الى مكة عام الفتح الى غير ذلك من
نظائره فان قيل فقد يكون ذلك حدسا
بشواهد الأحوال وفراسة بفضل الألمعية
وقوة الفطنة فعنه جوابان احدهما أن
الحدس والفراسة وان اصاب بهما تارة فقد
يخطى بهما اخرى وهذا اصابه فى الجميع فخرجت
عن الحدس والفراسة الى علم من لا تخفى
عليه الغيوب والثانى ان الحدس والفراسة
توهم غير مقطوع بهما قبل الوجود وهذه
اخبار بانه مقطوع بها قبل الوجود فافترقا

فصل

والوجه التاسع من اعجازه ما فيه من الأخبار
بضماير القلوب التى لا يصل اليها الا علام الغيوب
كقوله اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا من
غير ان يظهر منهم قول او يوجد منهم فعل
وكقوله اذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها
لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون
لكم فكان كقوله وان لم يتكلموا به الى غير
ذلك من نظائره فان قيل فالجمع الكثير
تختلف ضمايرهم فى العرف فان وجد ذلك فى
بعضهم لم يوجد فى جميعهم فان لم يخل ان يعقد

بعضهم ضد

بعضهم خلا منه بعضهم فتقابل القولان
فيهم وبطل اعجازه معهم وعنه جوابان
احدهما انهم وجهوا بهذا الخبر على العموم
فلم ينكروه فزال هذا التفضيل فصار معجزا
والثانى انه جعله ذنبا لهم فلم يستصلوا
منه فدل على وجوده من جميعهم فصل
والوجه العاشر من اعجازه ان الفاظ القرآن
قد تشتمل على الجزل المستغرب والسهل
المستقرب فلا يتوعر جزله ولا يسترذل
سهله ويكونان اذا اجتمعا مطبوعين غير
متنافرين ولا نجد ذلك فى غيره من كلام
البشر لأن جزله يتوعر وسهله يسترذل
والجمع بينهما يتنافر فصار من هذا الوجه
مباينا وفى الأعجاز داخلا فان قيل انما كان
القران كذلك لأنه قد توطاء بكثرة التلاوة
فاستلذته الأسماع واستحلته الألسن
ولولاه لتباين واختلف فعنه جوابان احدهما
ان صفته عند اول سماعه ولو كان لما ذكر
من العلة لاختلف فى مباديه وغايته والثانى
ان غيره من الكلام المختلف لا يتوطاء بكثرة
ذكره فبطلت العلة فصل

والوجه الحادي عشر من اعجازه ان تلاوته
تختص بخمسة بواعث عليه لا توجد في غيره
احدها هشاشة مخرجه والثاني بهجة رونقه
والثالث سلاسة نظمه والرابع حسن قبوله
والخامس ان قارئه لا يكل وسامعه لا يمل
وهذا في غيره من الكلام معدوم فان قيل انما
وقع في النفوس هذا الموقع للتدين بالتزامه
والتخصص باعظامه فعنه جوابان احدهما
ان هذا موجود في غيره من كتب الله تعالى
كالتوراة والانجيل والزبور وليس يوجد ذلك
فيها مع وجود هذا التعليل ولذلك ما استعان
اهلها على استحلاء تلاوتها بما وضعوه لها
من الالحان واستعذبوه لها من الاصوات
والقرآن مستغن عن هذا بصيغة لفظه
فلذلك ما راع وهيج الطباع والثاني ان الدين
لا يسلب العقول تمييزها ولا يفسد عليها
تصورها وهو يأن يزيدها بصيرة اولى ان
ينقصها ولو كان لهذه العلة لجحده من
كفر كما اعترف به من آمن وقول الجميع فيه سواء

فصل

والوجه الثاني عشر من اعجازه انه منقول

بالتواتر

بالفاظ منزلة ومعان مستودعة وبلغه الملك
بلفظه وعلى نظمه واداه الرسول الى
الأمة بمثله فلم يخرم فيه لفظ ولا اختل
فيه معنى ولا تغير له ترتيب حتى صار من
الزلل مضبوطا ومن التبديل محفوظا تستمر
به الأعصار على شاكلته وتداوله الألسن
مع اختلاف اللغات على نظمه وصفته
لا يختلف بتعاقب الأزمنة ولا يختل بتباعد
الأمكنة ولا يتغير باختلاف الألسنة وغيره
من الكتب مقصورة على حفظ معانيها وان
غويرت الفاظها فان التوراة ألقى الله تعالى
معانيها الى موسى عليه السلام فذكرها
بلفظه وعبر عنها بكلامه والأنجيل فهو
ما اخبر به عيسى عليه السلام عن ربه وعن
نفسه فجمعه تلامذته بالفاظهم وجعلوه
كتابا متلوا والزبور فادعية وتحاميد
وتسابيح تنسب الى داود عن لفظه ولئن كانت
معاني هذه الكتب مضافة الى الله تعالى
فليست بصيغة لفظه على نظم كلامه كما نزل
القرآن جامعا لألفاظه ومعانيه وترتيبه
فصار مباينا لجميع كتبه ولهذا الا يمونه

الإلهية حفظ الله بها إعجازه وأمد بها رسوله
كما قال تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون
فإن قيل فحفظ الكلام على صيغة لفظه
واشتمال معانيه لا يكون معجزا كأشعار
الجاهلية القدماء وأمثال من سلف من الحكماء
فعنه جوابان أحدهما أن من هذا متحولا
ومتروكا فلم يحفظ والثاني أنه لا يعلم حاله
فلم ينضبط والقرآن مخالفا لهما في حفظه
وضبطه

فصل

والوجه الثالث عشر من إعجازه اقتران معانيه
المتغايرة واقتران نظايرها في السور المختلفة
فيخرج في السورة من وعد الى وعيد ومن
ترغيب الى ترهيب ومن ماض الى مستقبل
ومن قصص الى مثل ومن حكم الى جدل فلا
ينبو ولا يتنافر وهي في غيره من الكلام
متنافرة فتتجانس معانيها وكذلك هي
في غيره من الكتب المنزلة مفصلة لكل نوع
سفرا فإن التوراة مقسومة على خمسة
أسفار وكل سفر منها مفرد بمعنى واحد من
المعاني المستودعة فيها فالسفر الأول لذكر
بدو الخلق والسفر الثاني لخروج بني إسرائيل

من مصر

من مصر والسفر الثالث لأمر القرابين والسفر الرابع لاحصا موسى بنى اسرائيل وما دبرهم به والسفر الخامس لتكرير النواميس وجعل اختلاف معانيها موجبا لتفاضلها فكان افضل ما فى التوراة عند اليهود العشر الكلمات المشتملة على الوصايا التى خاطب الله تعالى بها موسى وبها يتحلفون دون غيرها وافضل ما فى الأنجيل الصحف الأربعة المنسوبة الى تلامذة المسيح الأربعة وهى المخصوصة بالقراءة فى الصلوة والأعياد وافضل ما فى الزبور ما اتفق اهل الكتابين على اختياره وما اشتمل عليه القرآن من تغايرها اولى من وجهين احدهما أن لايختص قارئه باحدها فيعدل عن غيره والثانى ان يستوعب اذا اراد جميعها قراءة جميعه فيستكمل فوائده ويتجزل ثوابه فان قيل فالفصل ابلغ فى البيان من الامتزاج فالجواب عنه ما ذكرناه من الوجهين

فصل

والوجه الرابع عشر من اعجازه ان اختلاف آياته فى الطول والقصر لايخرج عن اسلوبه

ولا يزول عن اعتداله وعنيره من نظم
الكلام ونثره اذا تفاضلت اجزاؤه زال
عن وزن منظومه واعتدال منثوره
فصار ذلك من اعجازه فان قيل زيادة
طوله هدر ونقصان قصره حصر فكيف
يكون معجزا اذا تردد بين هدر وحصر
فعنه جوابان احدهما ان الزيادة تكون
هدرا اذا لم تفد والنقصان يكون حصرا
اذا لم يقنع والزيادة من طوله مفيدة
والنقصان من قصره مقنع فخرج عن الهدر
والحصر والثانى ان الطويل لو انفرد لم يكن
هدرا والقصير لو انفرد لم يكن حصرا فلم يكن
اجتماعهما موجبا لهدر وحصر كاختلاف
السور فى الطول والقصر فان اقصر السور
سورة الكوثر وتشتمل مع قصرها على اربعة
معان اخبار بنعمة وامر بعبادة وبشرى
بسبق واسلوب هو معجزة فلم تخرج اذا قرنت
بما هو اطول ان تكون معجزة

فصل

والوجه الخامس عشر من اعجازه ان مكثر
تلاوته لا يزداد به فصاحة وان ازداد
بغيره من فصيح الكلام لخروجه عن طباع

البشر

البشر فلم يمازجها ودخول غيره في طباع
البشر فمازجها فصار اسلوبه معجزا في
الحالين وعلى كلا الوجهين فان قيل ما لا
يؤثر في الطباع ناقص عن الكمال فكيف
يوصف بالكمال فعنه جوابان احدهما
ان كماله فيه فلم يلزم تعديه والثاني ان
كماله يوجب المنع من تناوله فصل
والوجه السادس عشر من الاعجاز تيسيره
على جميع الالسنة حتى حفظه الاعجمي الابكم
الابكم ودار به اللسان العفظي الالكن
ولا يحفظ غيره من الكتب كحفظه ولا تجرى
به السنة البكم كجريها به وما ذاك
الا لخصائص الالهية فضله بها على سائر
كتبه فان قيل فقد يحفظ الشعر كحفظه
والعلة فيه اعتدال وزنه الذي يحفظ بعضه
بعضا فلم يكن ذلك معجزا فعنه جوابان
احدهما ان ما اندرس من الشعر اكثر مما حفظ
وهذا محفوظ لم يندرس فاختلفا والثاني
ما لم تستعذ به الالفاظ فواه متروك والقران
مستعذب غير متروك فافترقا فصل
والوجه السابع عشر من الاعجاز ان الكلام

يترتب ثلاثة مراتب منثور يدخل في قدرة
الخلق وشعر هو اعلى منه يقدر عليه
فريق ويعجز عنه فريق وقرآن هو اعلى من
جميعها وافضل من سايرها تجاوز رتبة
النوعين خارج عن قدرة الفريقين فان
قيل لو كان القرآن برهانا معجزا لخرج كثيره
وقليله عن القدرة وقليله مقدور عليه
وهو ان يجمع بين ثلث كلمات منه او اربع
فكذلك كثيره لان الشيء اذا دخلت اوائله
في جنس الممكن خرجت اواخره من جنس
الممتنع فعنه جوابان احدهما ان قليله
وكثيره خارج عن القدرة اذا انتظم اعجازه
وهو كاقصر سورة منه فبطل هذا الاعتراض
والثاني انه ليس القدرة على الكلمة
والكلمتين منه قدرة على استكمال ما نفع
من التحدي كالمقحم في الشعر لا تكون قدرته
على الكلمة والكلمتين من بيت من الشعر
قدرة على نظم بيت كامل من الشعر

فصل

والوجه الثامن عشر من اعجازه ان الزيادة
فيه ممتازة وتغيير الفاظه منه مفتضحة

ولو كان

ولوكان في القدرة لالتبس ولو امكن لاشتبه
فان قيل فقد ورد فيه فالتبس واشتبه
وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت
عليه سورة النجم بمكة قراءها في المسجد الحرام
حتى بلغ الى قوله افرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الأخرى القى الشيطان
على لسانه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى ثم ختم السورة وسجد فسجد معه
المسلمون وفرح المشركون فسجدوا معه ورضي
كفار قريش به وسمع به من هاجر الى
ارض الحبشة فعادوا الى ان انكر عليه جبريل
فشق عليه ونزل فيه قوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى
الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي
الشيطان ثم يحكم الله آياته قالوا ومعلوم
ان هذه الزيادة هي في مثل اسلوب
السورة وليست من الله تعالى وقد اشتبهت
فلم لا كان ما سواها بمثابتها فمنه جوابان
احدهما ان هذه الزيادة لا تبلغ قدر التحدي
فخرجت من حكمه والثاني انه انزل فيها التي
عندهم ان الغرانيق العلى وان شفاعتهن

لترتجى فاشتبه على قريش وحذفوا منه
قولهم التى عندهم فنسخ الله تعالى لهذا
الاشتباه تلاوة هذه الآية **فصل**
والوجه التاسع عشر من اعجازه عجز الامم
عن معارضته وقد تحداهم ان ياتوا بسورة
مثله فلم تحركهم انفة التحدى وصبروا
على نقص العجز مع شدة حميتهم وقوة انفتهم
وقد سفه احلامهم وسب اصنامهم ولو
وجدوا الى المعارضة سبيلا وكان فى مقدورهم
داخلا وقد جعله حجة لهم فى رد رسالته
ليعارضوه ولما عدلوا عنه الى بذل نفوسهم
فى قتاله وسفك دمائهم فى محاربته فان
قيل فليس يمتنع ان يكونوا قد عارضوه
بمثله فكتم كما كتم ما هجى به من الاشعار
وقرف به من المعار فعنه جوابان احدهما
انهم لو عارضوه لظهر ولو ظهر لانتشر لان
تكاتم الاستفاضة لا يستطاع لما فى الطباع
من الاذاعة وفى نفثات الصدور من
الاشاعة ولقيل لقد عورض فكتم كما قيل
هجى فكتم ولو جاز هذا فى معارضة القرآن
لجاز مثله فى معجزة كل نبى ان يقال قد عورض

معجزه

معجزه فكتم فيفضي الي ابطال كل معجز وهذا
مدفوع من معارضة غير القران فكان
مدفوعا بالاولى معارضة القران والثاني
انه قد جعل معارضته حجة لهم في رد رسالته
فلو عارضوه لاحتجوا عليه بالمعارضة ولما
احتاجوا معه الى القتال والمحاربة مع بذل
النفوس واستهلاك الأموال ولدفعوه بالأهون
دون الأصعب وقد نقل ما عورض به
فظهر فيه العجز وبان فيه النقص حتى
فضحته ركاكة لفظه وسخافة نظمه
فحكى ابن قتيبة عن مسيلمة انه قال في
معارضته للقرآن ياضفدع نقي كم تنقين
لا الما تكدرين ولا الشراب تمنعين فلما سمع
هذا ابو بكر قال ان هذا الكلام لم يخرج
عن ال وحكى عن عبهلة واحسبه العنسي انه
قال الم تر كيف فعل ربك بالحبلى اخرج
من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف
وحشا وحكي عن آخر الفيل وما الفيل له
ذنب وثيل ومشفر طويل وان ذلك من
خلق ربنا القليل وحكى الحكم عن عكرمه ان
النضر بن الحرث وكان من فصحاء قريش

عارض القران فقال والزارعات زرعا والحاصدات
حصدا والطاحنات طحنا فالعاجنات عجنا
فالخابزات خبزا فاللاقمات لقما وقال آخر
قد افلح من هيم في صلاته واطعم المسكين
من مخلاته واخرج الواجب من زكاته وقال
آخر في معارضة سورة النجم والنجم اذا
سمى والبحر اذا طمى ما زاغ منذ ركم وما طغى
وما كذب بها وعوى فبما نطق به ورى
فانزل الله تعالى في ذلك ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا اوقال اوحي الي ولم يوح
اليه شيء فهذه المعارضة وقد احتذوا
فيها مثالا عدلوا بها عن طويل السور الى
قصارها فأتوا بسقيم الكلام دون سليمه
وبسخيفه دون جميله فكيف يقابل به غايته
القصوى وتوازى به طبقته العليا وهل
ذلك الا كمن عارض فصاحة سحبان بعي
باقل اوتخليط مجنون بحزم عاقل اوقاس الشذر
بالمدر وشاكل بين الصفو والكدر من تعاطى
ماليس في طبعه افتضح تخرصا وهوى
سريعا

فصل

والوجه العشرون من اعجازه الصرفة عن

معارضة

معارضته واختلف من قال بها هل صرفوا عن
القدرة على معارضته او صرفوا عن معارضته
مع دخوله في مقدورهم على قولين احدهما انهم
صرفوا عن القدرة ولو قدروا لعارضوا والقول
الثاني انهم صرفوا عن المعارضة مع دخوله
في مقدورهم والصرفة اعجاز على القولين
معا في قول من نفاها واثبتها لخرقها العادة
فيما دخل في القدرة فان قيل فان عجزوا عن
معارضته بمثله لم يعجزوا عن معارضته بما
يقاربه وان نقص عن رتبته والمعجز
ما لم يمكن مقاربته كما لم يمكن مماثلته فعنه
جوابان احدهما ان مقاربته تكون بما في
مثل اسلوبه اذا قصر عن كماله والأسلوب
ممتنع فبطلت المقاربة وثبت الأعجاز والثاني
ان المقاربة تمنع من المماثلة والتحدي انما كان
بالمثل دون المقاربة فصل
فاذا ثبت اعجاز القرآن من هذه الوجوه
كلها صح ان تكون كل واحد منها معجزا فاذا
جمع القرآن سائرها كان اعجازه اقهر وحجاجه
اظهر وصار كفلق البحر لموسى واحياء الموتى
لعيسى لأن مدار الحجة في المعجزة ايجاد ما لا

يستطيع الخلق مثله سواء كان جسما مخترعا
او جرما مبتدعا او عرضا متوهما فان قيل
افتعتبرون عجز العرب العاربة عنه دون عجز
المولدين او عجز الجميع قيل فيه خلاف بين
اهل العلم على وجهين احدهما ان المعتبر
فيه عجز الجميع ليكون اعم والوجه الثانى
يعتبر فيه عجز العرب العاربة دون المولدين
ليكون معتبرا بمن يلجاء الى طبعه ولا يعول
على تكلفه وتعلمه ولذلك اختلفوا اهل يعتبر فيه
عجز اهل عصره او فى جميع دهره على هذين
الوجهين احدهما انه يعتبر فيه عجز اهل عصره
لانهم حجة على اهل كل عصر والثانى انه
يعتبر فيه عجز اهل كل عصر لعموم التحدى
فيه لاهل كل عصر فان قيل فليس بعجز
كل الالسن عن مثله موجبا لاضافته الى
الله تعالى لجواز ان تكون الشياطين اعانت
عليه حتى خرج عن مقدور الانس كما اعانت
سليمان على ما عجز عنه الانس فعنه
ثلثة اجوبة احدها ان هذا يتوجه على
موسى عليه السلام فى فلق البحر وعلى عيسى فى
احيا الموتى ويتقدم فى جميع النبوات فلم يجز
لمن ابتها

لمن اشتهاان يخص بعض المعجزات والجواب
الثانى ان الشياطين لم يعرفوا الامن الرسل
ولولاهم لما علم الناس فى الدنيا شيطانا ولا
جنا ولا اجانا وقد جهروا بلعنتهم ودعوا
الى معصيتهم ولو كانوا اعوانا لدعوا الى طاعتهم
وموالاتهم لان معونة من المطيع وولى احق
من معونة من عصى وعودى والجواب
الثالث ان الشياطين لا يقدرون على ذلك
الا بمعونة الله تعالى لهم وهو لا يعين كاذبا
عليه فان كان عن امره كان معجزا لانه من
فضله وعلى هذا كان يسخر سليمان
عليه السلام الجن والله تعالى عنى عن الشياطين
ان يكونوا سفرا الى رسوله واعوانا لانبيائه
وهم ينهون عن طاعته ويدعون الى معصية
هذا القرآن وقد تحدا به الجن كما تحدى به
الانس لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وحكى
عنهم عجزهم بقوله انا سمعنا قرآنا عجبا
يهدى الى الرشد فامنا به فصل
فاذا تقررت هذه الجملة فى اعجاز القرآن

فبإعجازه يعلم انه من غير كلام البشر ولا يعلم انه من عند الله تعالى الا بقول الرسول فلو اراد الرسول ان يقول مثله لم يقدر عليه لأنه من البشر الا ان يمده الله تعالى بعون منه فيصير قادرا عليه ومعجزا له لو لم يضف القران الى الله تعالى فاما مع اضافته اليه فلا يكون معجزا له ويكون مصروفا عنه لأن ما اضيف الى الله تعالى يمتنع ان يكون من غيره لدخوله في جملة الكذب ثم يصير القرآن اصلا للشرع ومعجزا للرسول فيجب على الأمة التزام احكامه وطاعة الرسول واختلف في لزوم طاعته هل وجبت بعد ثبوت رسالته بالعقل او بالشرع على وجهين احدهما بالعقل لأن طاعة الرسول طاعة المرسل والوجه الثاني بالشرع لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم لأن الرسول مبلغ فاذا كان القران اصلا للشرع فقد اختلف العلماء في حد الأصل والفرع على وجهين احدهما ان حد الأصل ما دل على غيره وحد الفرع ما دل عليه غيره فعلى هذا يكون

القرآن فرعا

القرآن فرعا للعلم الحس لأنه الدال على
صحته والوجه الثاني ان الأصل ما تفرع
عنه غيره فعلى هذا يمتنع ان يكون القرآن
فرعا للعلم الحس لأن الله تعالى تولاه
وجعله اصلا دل العقل عليه واختلف العلما
في ابلاغ الرسول هل يكون امرا ام اعلاما
فقال بعضهم يكون امرا لا يلزم الأمة
احكامه ولو عرفوه قبل ابلاغه والوجه الثاني
يكون اعلاما ويلزمهم احكامه لو عرفوه قبل
ابلاغه فيجوز ان يعلم جميع الأحكام الشرعية
من القرآن ولا يجوز ان يعلم جميعها من
الأجماع ولا من القياس لانهما ينعقدان
عن اصل مسموع واختلف في جواز العلم
بجميعها من سنة الرسول فجوزه بعضهم
لقوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا وامتنع منه بعضهم لقوله
تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى والله سبحانه وتعالى اعلم

الباب الثامن

في معجزات عصمته اظهر الله تعالى لرسوله
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من اعلام نبوته

بعد ثبوتها بمعجز القران واستغنائه عما
سواه من البرهان ما جعله زيادة استبصار
يحج بها من قلت فطنته ويذعن لها من
ضعفت بصيرته ليكون اعجاز القران مدركا
بالخواطر الثاقبة تفكرا واستدلالا واعجاز
العيان معلوما ببداية الحواس احتياطا
واستظهارا فيكون البليد مقهورا بوهمه
وعيانه واللبيب محجوجا بفهمه وبيانه لان
لكل فريق من الناس طريقا هي عليهم اقرب
ولهم اجذب فكان ما جمع انقيا د الفريق
اوضح سبيلا واعم دليلا فمن معجزات عصمته
من عدائه وهم الجم الغفير والعدد الكثير
وهم على اتم حنق عليه واشد طلبا لنفسه
وهو بينهم مسترسل قاهر ولهم مخالط
ومكاثر ترمقه ابصارهم شذرا وترتد
عنه ايديهم ذعرا وقد هاجر عنه اصحابه
عنه حذرا حتى استكمل مدته فيهم ثلثة
عشر سنة ثم خرج عنهم سليما لم يكلم في
نفسه ولا جسد وما كان ذلك الا بعصمة
الاهية وعده الله تعالى بها فحققها حيث
يقول والله يعصمك من الناس فعصمه منهم

فصل

فصل

وان قريشا اجتمعت في دار الندوة وكان
فيهم النضر بن الحرث بن كنانة وكان زعيم
القوم وساعده عبد الله بن الزبعرى
وكان شاعر القوم فحضهم على قتل محمد
صلى الله عليه وسلم وقال لهم الموت خير
لكم من الحيوة فقال بعضهم كيف نصنع فقال
ابو جهل هل محمد الا رجل واحد وهل بنوا
هاشم الا قبيلة واحدة من قبايل قريش
فليس فيكم من يزهد في الحيوة فيقتل محمدا
ويريح قومه واطرق مليا وقالوا لو من فعل
هذا ساد فقال ابو جهل ما محمد باقوى
من بطل منا واني اقوم اليه فاشدخ راسه
بحجر فان قتلت ارحت قومي وان بقيت فذاك
الذي اوثر فخرجوا على ذلك فلما اجتمعوا في
الحطيم خرج عليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا قد جاء فتقدم من الركن
فقام يصلي فنظروا اليه يطيل الركوع والسجود
فقال لهم ابو جهل فاني اقوم فاريحكم منه واخذ
مهرا شاغطيما ودنا من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو ساجد لا يلتفت ولا

بهابه وهو يراه فلما دنا منه ان يقعد وان يرسل
الحجر على رجله فرجع وقد شددت اصابعه
وهو يرتقد وقد روحت اوداجه ورسول
الله صلى الله عليه وسلم ساجد فقال ابو
جهل لاصحابه خذوني اليكم فالتزموه وقد
غشي عليه ساعة فلما افاق قال له اصحابه
ما الذي اصابك قال لما دنوت منه اقبل على
من راسه فحل فاغرٌ فاه فحمل على فصلك
اسنانه فلم اتمالك واني اري محمدا محجوبا
فقال له بعض اصحابه يا ابا الحكم رعبت
واحببت الحيوة فلذا فرجعت فقال ما تغروني
عن نفسي قال النضر بن الحرث فان رجع
غدا فانا له قالوا له يا ابا سهم لئن فعلت
هذا لتسودن فلما كان من الغد اجتمعوا
في الحطيم منتظرين رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما اشرف عليهم قاموا باجمعهم
فوا ثبوه فاخذ حفنة من تراب وقال شاهت
الوجوه وقال حم لا يبصرون فتفرقوا عنه
وهذا ادفع الادهى وثق به من الله تعالى
فصبر عليه حتى وقاه الله تعالى وكان من
اقوى شاهد على صدقه ومن اعلامه

ان

ان معمر بن يزيد وكان اشجع قومه استغاثت
به قريش وشكوا اليه امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكانت بنى كنانه تصدر
عن رايه وتطيع امره فلما شكوا اليه قال لهم
انى قادم الى ثلث واريحكم منه وعندى
عشرون الف مدجج فلا ارى هذا الحي من
بنى هاشم يقدر على حربى وان سألونى
الدية اعطيتهم عشر ديات ففى مالى
سعة وكان يتقلد بسيف طوله سبعة
اشبار فى عرض شبر وقصته فى العرب
مشهورة بالشجاعة والباس فلبس يوما
وعده قريشا سلاحه وظاهر بين درعين
فوافقهم بالحطيم ورسول الله صلى الله عليه
وسلم فى الحجر يصلى وقد عرف ذلك فما
التفت ولا تزعزع ولا قصر فى صلوة فقيل
له هذا محمد ساجدا فهوى اليه وقد سل
سيفه واقبل نحوه فلما دنا منه رمى بسيفه
وعدا فلما صار الى باب الصفا عثر فى درعه
فسقط فقام وقد ادمى وجهه بالحجارة
يعدو كاشد العدو حتى بلغ البطحاء ما
مايلتفت الى خلفى فاجتمعوا وغسلوا عن

وجهه الدم وقالوا ماذا اصابك قال ويحكم
المغرور من غررتموه قالوا ما شأنك قال
ما رأيت كاليوم دعوني نرجع الى نفسي فتركوه
ساعة وقالوا ما اصابك يا ابا ليث قال اني
لما دنوت منه من محمد فأردت ان اهوى
بسيفي اليه اهوى الي من عند رأسه
شجاعان اقرعان ينفخان بالنيران
وتلمع من ابصارهما فعدوت فما كنت لأعود
في شيء من مساءة محمد **ومن اعلامه**
ان كلدة ابن اسد ابو الأشد وكان من
القوة بمكان خاطر قريشا يوما في قتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعظموا له
الخطر ان هو كفاهم فرأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الطريق يريد المسجد ما بين
دار عقيل وعقال فجاءه كلدة ومعه مزراق
فأهوى نحوه ومعه المزراق فرجع المزراق
في صدره فرجع فزعا فقالت له قريش مالك
يا ابا الأسد فقال ويحكم ما ترون الفحل
خلفي قالوا ما نرى شيئا قال ويحكم فاني اراه
فلم يزل يعدوا حتى بلغ الطائف فاستهزأت
به ثقيف فقال انا اعذركم لو رأيتم ما رأيت
لهلكتم

قريش

لهلكتم ومن اعلامه ان ابا لهب
خرج يوما وقد اجتمعت قريش فقالوا له،
يا ابا عتبه انك سيدنا وانت اولى بمحمد منا
وان ابا طالب هو الحايل بيننا وبينه ولو
قتلته لم ينكر ابو طالب ولا حمزه منك شيا
وانت بري من دمه ونؤدي نحن الديه
وتسود قومك فقال فاني اكفيكم ففرحوا
بذلك ومدحته خطباؤهم فلما كان في
تلك الليلة وكان مشرفا عليه نزل ابو لهب
وهو يصلي وتسلقت امراته ام جميل الحائط
حتى وقفت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو ساجد فصاح به ابو لهب فلم
يلتفت اليه وهما كانا لا ينقلان قدما ولا
يقدران على شيء حتى ينفجر الصبح وفرغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابو
لهب يا محمد اطلق عنا فقال ما كنت لاطلق
عنكما او تضمنا لي انكما لا تؤذياني قالا قد
فعلنا فدعا ربه فرجعا ومن اعلامه م
ان قريشا اجتمعت في الحطيم فخطبهم عتبة
ابن ربيعة فقال هذا بن عبد المطلب
قد نغص علينا عيشنا وفرق جماعتنا

وبد دسثملنا وعاب دبننا وسفه احلامنا
وضلل اباءنا وكان فى القوم الوليد بن المغيرة
وابو جهل بن هشام وشيبه بن ربيعة
والنظر بن الحارث ومنبه وبنيه ابناء
الحجاج وامية والى ابناء خلف فى جماعة
من صناديد قريش وقالوا له قل ما شيت
فانا نطيعك قال ساقوم فاكلمه فان هو
رجع عن كلامه وعما يدعوا اليه والا رأينا
فيه رأينا فقالوا له شأنك يا ابا عبد
شمس فقام فقدم الى النبي صلى الله
عليه وسلم وهو جالس وحده فقال انعم
صباحا يا محمد قال يا عبد شمس ان الله
قد ابدلنا بهذا السلام تحية اهل الجنة
قال يا ابن اخى انى جيتك من عند صناديد
قريش لأعرض عليك امورهم ان انت قبلتها
فلك الحظ فيها ولنا فيها الفسحة ثم قال
يا ابن عبد المطلب انا زعيم قريش فيما
قالت قال قل قال يا ابن عبد المطلب
انك دعوت العرب الى أمر ما يعرفونه فاقبل
منى ما اقول لك قال قل قال ان كان ما تدعوا
اليه تطلب به ملكا فانا نملكك علينا من غير
تعب

تعب ونتوجك فارجع عن ذلك فسكت
ثم قال له وان كان ماتدعوا اليه امرا تريد
به امراءة حسناء فنحن نزوجك فقال لاقوة
الا بالله ثم قال له وان كان ماتتكلم به
تريد مالا اعطيناك من الاموال حتى تكون
اغنى رجل في قريش فان ذلك اهون علينا
من تشتيت كلمتنا وتفريق جماعتنا وان
كان ماتدعوا اليه جنونا داويناك كما تداوى
به قيس بن ثعلبة مجنونهم فسكت النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ماتقول
وبما ارجع الى قريش فقال النبي صلى الله
عليه وسلم حم تنزيل من الرحمن الرحيم
كتاب فصلت اياته ~~من لدن~~ قرانا عربيا
لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم
فهم لا يسمعون حتى بلغ الى قوله فان اعرضوا
فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد
وثمود قال عتبة فلما تكلم بهذا الكلام
كانت كعبه مالت حتى خفت ان تمس
راسي من انجازها وقام فزعا يجر رداءه
فرجع الى قريش وهو ينتفض انتفاض
العصفور وقام النبي صلى الله عليه وسلم

يصلي فقالت قريش لقد ذهبت من
عندنا نشيطا ورجعت فزعا مرعوبا فما
وراءك فقال ويحكم دعوني انه كلمني بكلام
لا ادري منه شيئا ولقد وقعت على الرعدة
حتى خفت على نفسي وقلت الصاعقة
قد اخذتني فندموا على ذلك قال ابن عرفة
الصاعقة اسم للعذاب على اي حال كان
وانما اهلكت عاد بالريح وثمود بالرجف
فسما الله تعالى جده ذلك صاعقة قال
الأزهري الصاعقة صوت الرعد الشديد
الذي يصعق منه الأنسان اي يغشا عليه
ومن اعلامه انه لما اراد الهجرة
خرج من مكة ومعه ابو بكر فدخل غارا
في جبل ثور ليستخفي من قريش وقد
طلبته وبذلت لمن جاء به مائة ناقة
حمراء فاعانه الله تعالى باخفاء اثره وانبت
على باب الغار ثمامة وهي شجرة صغيرة
والهمت العنكبوت فنسجت على باب الغار
نسج سنين في طرفة عين ولسع ابو بكر هذه
الليلة عير لسعه فخرق ثيابه وجعله في
الشقوق وسد بعضها بقدمه اتقاء لرسول

الله صلى

الله صلى الله عليه وسلم واقاما فيه ثلاثة
ايام ثم خرجا منه فلقيه سراقة بن مالك
بن جعشم وهو من جملة من توجه لطلبه فقال
له ابو بكر هذا سراقة قد قرب فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنا سراقة
فأخذت الأرض قوايم فرسه الى اباطها فقال
سراقة يا محمد ادع الله ان يطلقني ولك
على ان ارد من جاء بطلبك ولا اعان عليك
ابدا فقال اللهم ان كان صادقا فاطلق عن
فرسه فاطلق الله عنه ثم اسلم
سراقة وحسن اسلامه **ومن اعلامه**
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انفرد
في غزوة ذي امر عن اصحابه واضطجع وحده
فوقف عليه ذو عثور فسل سيفه وقال
يا محمد من يمنعك مني فقال الله فسقط
السيف من يده فأخذه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال له من يمنعك مني قال
لا أحد اشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله وعاد الى قومه يدعوهم
الى الأسلام وفيه نزل قوله تعالى يا ايها
الذين اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم

ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم
ومن اعلامه ان الناس لما انهزموا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واله
وسلم يوم حنين وهو معتزل عنهم رآه شيبة
ابن عثمان بن ابي طلحة فقال اليوم ادرك
ثاري واقتل محمدا لأن اباه قتل يوم احد
في جماعة اخوته واعمامه قال شيبة فلما
اردت قتله اقبل شيئ تغشى فؤادي فلم اطق
ذلك علمت انه ممنوع ومن اعلامه
ان عامر بن الطفيل واربد بن قيس وهو اخو
لبيد بن ربيعة الشاعر لامه وفدا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قومهما
من بني عامر فقال عامر لاربد اذا قدمنا
على محمد فاني شاغل عنك وجهه فاعله
انت بالسيف حتى تقتله قال اربد افعل
ثم اقبل عامر يمشي وكان رجلا جميلا حتى قام
على راس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا محمد مالي ان اسلمت فقال لك ما للاسلام
وعليك ما على الاسلام قال الا تجعلني الوالي
من بعدك قال ليس ذلك لك ولا لقومك
ولكن لك اعنة الخيل تغزوا بها قال اوليست

لي اليوم

لى اليوم ولكن اجعل لى الوبر ولك المدر،
قال ليس ذلك لك فقال قم يا محمد الى
هاهنا فقام اليه فوضع عامر يده بين
منكبيه ثم اوما الى اربد ان اضرب فسل
اربد سيفه قريبا من ذراع ثم امسك
الله يده فلم يستطع ان يسله ولا يغمده
فالتفت رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى اربد فراه على ماهو عليه فقال
اللهم اكفيهما بما شئت اللهم اهد بنى
عامر واغن الدين عن عامر فانطلقا وعامر
يقول والله لاملأنها عليك خيلا دهما
وردا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يابى الله ذلك وابناء قيلة يعنى
الانصار ثم قال عامر لاربد ويلك لم
امسكت عنه فقال والله ما هممت به
مرة الا رايتك ولا ارى غيرك فاضربك بالسيف
وسار فاما عامر فطرح الله عليه الطاعون
فى عنقه فقتله فى بيت امراة من بنى
سلول فجعل يقول اغدة كغدة البكر فى
بيت امراة من بنى سلول وركب فرسه
فركضه حتى مات واما اربد فقدم على

قومه فقالوا ما وراءك يا اربد فقال والله
لقد دعانا الى عبادة شيء لوددت انه
عندي الآن فارميه بنبلي هذا حتى اقتله
ثم خرج بعد مقالته بيوم او يومين ومعه
جمال له تتبعه فارسل الله عليه وعلى
جماعته صاعقة احرقتهم وقيل نزلت في
صاعقته قول الله تعالى وهو الذي يريكم
البرق خوفا وطمعا يعني خوفا من الصواعق
وطمعا في المطر وفيه يقول لبيد بن ربيعة
وهو اخو اربد لأم

اخشى على اربد الحتوف ولا * ولا ارهب نوء السماك والأسد
فجعني الرعد والصواعق بالفارس يوم الكريهة النجد
كل بني حرة مصيرهم قل * وان اكثرت من العدد
ان يغبطوا يهبطوا وان امرؤ * يوما يصير للمهلك والنكد

فان قيل فهذه اخبار آحاد لا يقطع بمثلها
قيل العداوة ظاهرة والطلب معلوم والسلامة
موجودة فلم يدفع جملة الاخبار ولم يصح
في جميعها توهم الكذب وان جاز في آحادها
توهم الكذب كالمحكي من سخاء حاتم وشجاعة عنتر

الباب التاسع

فيما شوهد من معجزات افعاله

ان الله

ان الله تعالى قدر لعباده افعالا كما قدر
لهم اجساما واجالا انتهى الى غاية اعجزهم عن
تجاوزها لتكون افعالهم مقصورة على عرف
مالوف وحد معروف يتوصلون بها الى
مصالحهم فيعلموا ان ما تجاوزها وخرج عن
عرفها انه من افعال الله تعالى فيهم لامن
افعالهم فان اظهرها في احدهم دل على اختصاصه
بالله تعالى دونهم فكان بها ممتازا والله
تعالى مختار ليختص بطاعة الالهية كما اختص
بافعال لاهوتية فلذلك صارت الافعال
المعجزة شاهدة على صحة النبوة ومن اعلامه
ما رواه البخاري عن عبد الواحد بن ايمن عن
ابيه قال قلت لجابر بن عبد الله حدثني
بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
سمعته منه ارويه عنك فقال جابر كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق
نحفر فلبثنا ثلثة ايام لم نطعم طعاما ولا نقدر
عليه فعرضت في الخندق كدية قطعة غليظة
لا يعمل فيها الفاس كثيبا رملا سائلا فجئت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذه
كدية قد عرضت في الخندق ورششنا عليها

معنى الرحمن

الماء فقام وبطنه معصب بالحجر فاخذ المعول والمسحاة ثم سما ثلاثا ثم ضرب بها فعادت كثيبا فلما رأيت ذلك منه قلت يا رسول الله ائذن لي فاذن لي فجئت الى امرأتي فقلت ثكلتك امك اني رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لا اصبر لي عليه فما عندك قالت عندي صاع من شعير وعناق قال فطحنا الشعير وذبحنا العناق وطبخناها وجعلناها في البرمة وعجنا العجين ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبثت ساعة ثم استأذنت ثانية فاذن لي فجئت فاذا بالعجين قد امكن فامرتها بالخبز وجعلت القدر على الاثافي ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشاورته وقلت عندنا طعيم لنا فان رأيت ان تقوم معي انت ورجل او رجلان معك فقلت فقال ما هو وكم هو قلت صاع من شعير وعناق فقال ارجع الى اهلك فقل لها لا تنزع البرمة من الاثافي ولا تخرج الخبز من التنور حتى آتي ثم قال للناس قوموا الى بيت جابر فاستحيت حياء لا يعلمه الا الله تعالى فقلت لامرأتي قد جاء رسول الله صلى

الله عليه

الله عليه وسلم باصحابه اجمعين فقالت
اكان سألك كم الطعام قلت نعم قالت الله
ورسوله اعلم قد اخبرته بما كان عندنا
فذهب عني بعض ما اجده وقلت لها صدقت
وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل
ثم قال لأصحابه لا تضاغطوا ثم برك على التنور
والبرمة فجعلنا نأخذ من التنور الخبز ونأخذ
من البرمة اللحم فنثرد ونغرف ونقرب اليهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجلس
على الصحفة سبعة او ثمانية فلما اكلوا كشفنا
التنور والبرمة فاذا هما قد عادا الى املأ مما
كانا عليه حتى شبع المسلمون كلهم وبقيت
طائفة من الطعام فقال لنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الناس قد اصابهم مخمصة
فكلوا واطعموا فلم نزل يومنا نأكل ونطعم قال
فأخبرني انهم كانوا ثمان مائة او قال ميئين اقل
من الثمان مائة وهذا نظير معجزة عيسى
عليه السلام في المائدة ومن اعلامه
ما رواه مالك بن انس عن اسحق بن عبد الله
بن ابي طلحة انه سمع انس بن مالك يقول
قال ابو طلحة لأم سليم لقد سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا اعرف
فيه الجوع فهل عندك من شيء قالت نعم
فاخرجت اقراصا من شعير ثم اخرجت خمارا
لها فلفت الخبز ببعضه ثم ارسلتني الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته في
المسجد معه الناس فقمت عليهم فقال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلك
ابو طلحة قلت نعم قال للطعام قلت نعم فقال
لمن معه قوموا فانطلق وانطلقت بين ايديهم
حتى جئت ابا طلحة فاخبرته فقال ابو طلحة
يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليس عندنا من الطعام ما نطعمهم
فقالت الله ورسوله اعلم فانطلق ابو طلحة
حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبل
معه حتى دخلا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا ام سليم هلمي ما عندك فجاءت
بذلك الخبز فأمر به ففت وعصرت ام سليم
عكة لها ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم واله وسلم ما شاء ~~الله~~ ان يقول
ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا
ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم

فاكلوا حتى

فاكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة حتى اكل القوم وشبعوا وخرجوا والقوم سبعون او ثمانون رجلا والمعجز فيه مع اطعام العدد الكثير من الطعام اليسير ما اخبر به أنس بن مالك مما جاء فيه ومن اعلامه ما رواه انس بن ابي يحيى عن اسحق ابن سالم عن ابي هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي ادع لي اصحابك يعني اصحاب الصفه قال فجعلت اتبعهم رجلا رجلا واوقظهم حتى جمعتهم فجئنا باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذنا فاذن لنا ووضعت بين ايدينا صحفة اظن فيها صنيعا قدر مد من الشعير فوضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال خذوا بسم الله فأكلنا ما شئنا ثم رفعنا ايدينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضعت الصحفة والذي نفس محمد بيده ما امسى في آل محمد طعام غير شيء ترونه فقيل لأبي هريرة قدركم كانت حين فرغتم قال مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الأصابع ومن اعلامه

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حصل
بالحديبية وهي جافه قال للناس انزلوا
فقالوا يا رسول الله صلعم ما بالوادي ماء ننزل
عليه فاخرج سهما فدفعه الى البراء بن عازب
وقال اغرز هذا السهم في بعض قلب الحديبية
وهي جافة ففعل فجاش الماء ونادى الناس
بعضهم بعضا من اراد الماء فقال ابو سفيان قد
ظهر بالحديبية قليب فيه ماء قال لسهيل
ابن عمرو قم بنا الى ما فعل محمد فاشرفا
على القليب والعيون تنبع تحت السهم فقالا
ما رأينا كاليوم قط وهذا من سحر محمد
قليل فلما امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالرحيل فقال للناس خذوا حاجتكم
من الماء ثم قال للبرا اذهب فرد السهم فلما فرغوا
وارتحلوا اخذ البرا السهم فجف الماء كانه لم
يكن هناك ماء وهذا نظير ما اعطى موسى
من الحجر الذي انفجرت منه اثنتا عشرة عينا
ومثله ما روى انه في غزوة بني المصطلق
دعا بركوة جافة ثم تفل فيها ثم قلبها فتفجرت
من بين اصابعه عيون حتى شرب الخيل والابل
وملى كل سقاء ومن اعلامه

الاقوما

ان قوما شكوا اليه صلى الله عليه وسلم
ملوحة مائهم فقام باصحابه حتى اشرف
على بيرهم فتفل فيها ثم انصرف فانفجرت بالماء
الزلال وكانت غايرة وانها على حالها الى
اليوم ويتوارثها اهلها بعد وتعدها من اعظم
مفاخرهم ولما بلغ ذلك قوم مسيلمة سألوه
مثلها فتفل فيها فصار ماء وها اجاجا كبول
الحمار وهي الى اليوم على حالها وجاءته صلى
الله عليه وآله امراءة بصبي لها قد تمعط
شعره فمسح راسه بيده فاستوى شعره
فبلغ ذلك قوم مسيلمة فاتوه بصبي مثله
فمسح راسه فصلع وبقي نسله صلعا
الى وقتنا هذا

ومن اعلامه

ما رواه علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال لما غزونا خيبر ومعنا من يهود فدك
جماعة فلما اشرفنا على القاع اذا نحن بالوادي
والماء يقلع الأشجار هذه الجبال فقدرنا
الماء فاذا هو اربع عشرة قامة فقال بعض
الناس يا رسول الله العدو من ورائنا والوادي
قدامنا فنزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسجد ودعا ثم قال سيروا على اسم

الله فضربت الخيل والابل والرجال فكان
الفتح والغلبة له وهذا نظير فلق البحر
لموسى عليه السلام نوع آخر ومن اعلامه
روى الحسن ان رجلا جاء الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال انى قدمت من سفرلي
فبينا بنت خماسية تدرج حولي في وصيفها
وحليها اخذت بيدها فانطلقت بها
الى وادى فلان فطرحتها فيه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم انطلق معي فارني
الوادى فانطلق معه الى الوادى فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لابيها ما كان اسمها
فقال فلانة فقال النبي صلى الله وسلم
يا فلانه اجيبى باذن الله فخرجت الصبيه
وهي تقول لبيك يا رسول الله وسعديك
فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان
ان اردك عليهما فقالت لا حاجة لى فيهما
وجدت الله خيرا لى منهما وهذا نظير
ما فعله عيسى عليه السلام من احيا الموتى ومن اعلامه
ان طفيل العامرى جاء اليه صلى الله عليه وسلم
فشكا اليه الجذام فدعا بركوة ثم تفل فيها
وامره ان يغتسل بها فاغتسل فقام صحيحا
واتاه

واتاه حسان بن عمرو الخزاعي مجذوما فدعا
له بماء فتفل فيه ثم امره فصبه على نفسه
فخرج من علته كان لم تكن قط فرجع ودعا
قومه الى الأسلام فاسلموا عن آخرهم واتاه
قيس اللخمي وهو من سادات قومه وبه
برص فتفل عليه فما بقي عليه الا مقدار
الحبة وهذا نظير ما كان من عيسى عليه
ابن مريم عليه السلام في ابراء الأكمه والأبرص
ومن اعلامه ما رواه سعيد بن ابي
سعيد عن ابيه عن ابي هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم انصرف ليلة من العشاء
فاضاءت له برقة فنظر الى قتادة بن النعمان
فعرفه فقال يا نبي الله كانت ليلة مطيرة
فاحببت ان اصلي معك فأعطاه عرجونا
وقال خذ هذا يستضيء لك ليلتك فاذا
اتيت بيتك فان الشيطان قد خلفك
فانظر في الزاوية على يسارك. فدخلت
فنظرت حيث قال فاذا انا بسواد فعلوته حتى
سبقني وفي هذا الخبر معجزات من فعل
وقول ومن اعلامه
ان ابا قتادة بن ربعي جاء يوم احد وقد

انقطعت احدى عينيه وتعلقت على وجهه
فقال يا رسول الله صلى الله عليك ان
لى امراءة واخشى ان ينقصنى هذا عندها
فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى موضعها فكانت احسن عينيه ومثله
ما رواه عروة بن الزبير ان زبيرة اسلمت
فاُصيب بصرها فقالوا لها اصابتك اللات
والعزى فرد الله عليها بصرها فقال عظماء
قريش لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا
اليه زبيرة فانزل الله تعالى وقال الذين
كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا
أليه

ومن اعلامه

ان جرهدا اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبين يديه طبق فادنى يده الشمال
ليأكل وكانت اليمنى مصابة فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل باليمنى فقال
يا رسول الله انها مصابة فنفث عليها
فما اشتكاها بعد الى ساعته وابصر رجلا
يأكل بشماله فقال كل بيمينك فقال لا استطيع
فقال لا استطعت فما وصلت الى فيه بعد
كلما رفع اللقمة الى فيه ذهبت فى شق

آخر

شاة ام معبد الخزاعية وكانت مجهودة
عجفا وهزلا فمسح رسول الله صلى الله عليه
وسلم ضرعها فزدت لبنا وامتلأت سمنا
وبقيت على حالها الى ان وافاها اجلها
واهدت له ام شريك عكة فيها سمن
فأخذ منه شيئا ورد العكة عليها فلم تزل
العكة تصب سمنا مدة طويلة الى امثال
هذا ونظائره فان قيل لا يثبت اعجاز
النبوات بمثل هذا من اخبار الآحاد ففيه
جوابان احدهما ان رواة الآحاد قد اضافوه
اليه في جمع كثير قد شاهدوه وسمعوا
راويه فصدقوه ولم يكذبوه وفي الممتنع
امساك العدد الكثير عن رد الكذب كما يمتنع
افتعالهم الكذب ولئن جاز اتفاقهم على
الصدق مع الكثرة والافتراق وامتنع اتفاقهم
على الكذب ~~خاصة متنافرة ولذلك~~
فلأن دواعي الصدق عامة متناصرة ودواعي
الكذب خاصة متنافرة ولذلك كان
صدق ~~هم~~ اكذب الناس اكثر من كذبه
لأنه لا يجد من الصدق بدا ويجد من

الكذب بدا والثاني انها اخبار وردت من
طرق شتى وامور متغايرة فامتنع ان
يكون جميعها كذبا وان كان في احادها محوزا
فصار مجموعها من التواتر ومفترقها من
الأحاد فصار متواتر مجموعها حجة وان
قصر مفترق احادها عن الحجة والله اعلم

الباب العاشر
فيما سمع من معجزات اقواله

والمعجزات من القول هو الاخبار عن غائب
لا يعلم به غير مخبره فيكون على صدقه
دليلا لأن الخبر محتمل الصدق والكذب
وحقيقة الخبر ما كان عن ماض فاما المستقبل
الى فعل المخبر كان وعدا يصح من نبي وغير
نبي وان اضيف الى فعل غيره كان من
الغيوب المعجزة لا يصح الا من نبي
مبعوث وعن وحي منزل اذا تكرر عاريا عن
الأسباب المقدرة ولئن ظهر خبر من غير
نبي فهو بالاتفاق عن حدس ان صح في خبر
لم يصح في كل خبر ويصح من النبي صلى الله
عليه وسلم في كل خبر لانه من الله تعالى
المحيط بعلم الغيوب كما قال لنبيه قل لا اقول
لكم عندي

فيطلق اسم الخبر عليه مجازا لانه اضيف الى المستقبل الى فعل

لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا
اقول لكم اني ملك ان أتبع الا ما يوحى الي وفي
خزائن الله هاهنا تأويلان احدهما خزائن
الرزق فاغنى وافقر والثاني خزائن العذاب
فاعجل واوخر وفي قوله ولا اعلم الغيب
تأويلان احدهما علم الخزائن على ما مضى
من التاويلين والثاني علم ما غاب عن ماض
ومستقبل الذان المستقبل لا يعلمه الا الله
تعالى ومن اطلعه عليه من انبيائه واما
الماضي فقد يعلمه المخلوقون من احد
وجهين اما من مخلوق معاين او من خالق
مخبر فكانت الاخبار المستقبلة من ايات
الله تعالى المعجزة فاما الماضية فان علم
بها غير المخبر لم تكن معجزة وان لم يعلم بها
احد كانت ايته معجزة وفي قوله ولا اقول لعله آية
لكم اني ملك تأويلان احدهما انه لا يقدر
على ما يعجز عنه العباد وان قدرت عليه
الملائكة والثاني انه من البشر وليس
بملك لينفي عن نفسه غلو النصارى في
المسيح وفي نفسه ان يكون ملكا تأويلان
احدهما انه دفع عن نفسه منزلة الملائكة

تفضيلا لهم على الانبياء والثاني انى لست
ملكا فى السماء فاعلم غيب السما الذى
تشاهده الملائكة ويغيب عن البشر وان
كان الانبياء افضل من الملائكة مع غيبهم
عما يشهده الملائكة وفى قوله ان اتبع ما يوحى
الى تاويلان احدهما العالم والجاهل والثانى
المؤمن والكافر فثبت بما قررناه ان فى
الأقوال معجزة كالأفعال فكانت من اعلام
النبوة وايات الرسل ونحن نذكر منها ما اختص
بقول الرسول دون ما تضمنه القران لأن
القرآن معجز فى الخبر وغير الخبر

فصل

ومجيئ الأخبار ينقسم على اربعة اقسام
اخبار استفاضة واخبار تواتر واخبار احاد
بقرائن واخبار احاد مجردة فاما اخبار
الأستفاضة والتواتر فقد اطلق أهل
العلم ذكرهما ولم يفرقوا بينهما وهما عندى
مفترقان لأن اختلاف الأسما موضوع
لاختلاف المسمى فكان حملهما على حقيقة
الأختلاف اولى من حملها على مجاز الائتلاف
فاخبار الأستفاضة ما بدأت منتشرة عن كل

مخبر من

مخبر من بر وفاجر عن قصد وغير قصد ويتحققها كل سامع من عالم وجاهل فلا يختلف فيها مخبر ولا يتشكك فيها سامع ويستوى طرفاها ووسطها فتكون اوايلها كاواخرها وتناهيها وهو اقوى الاخبار لما وروداً وابلغها ثبوتاً واما اخبار التواتر فهو ما اخبر به الواحد بعد الواحد حتى كثروا وبلغوا عدداً ينتفى عن مثلهم المواطاة على الكذب والاتفاق على الغلط ولا يعرض فى خبرهم شك ولا توهم فيكون من اوله من اخبار الاحاد ومن آخره من اخبار التواتر فيصير مخالفا لاخبار الاستفاضة فى اوله وموافقا لها فى آخره ويكون الفرق بين خبر الاستفاضة وخبر التواتر من ثلثة اوجه احدها ما ذكرناه من اختلافهما فى الابتدا والانتها والثانى ان اخبار الاستفاضة قد تكون عن غير قصد واخبار التواتر لا تكون الا عن قصد والثالث ان اخبار الاستفاضة لا يعتبر فيها عدالة المخبرين ويعتبر فى اخبار التواتر عدالة المخبرين ثم يستوى الخبران فى انتفا الشك عنهما ووقوع العلم بهما بهما ومثال

ومثال الاستفاضة فى احكام الشرع اعداد
الصلوات ومثال التواتر فى احكام الشرع نصب
الزكواة واختلف فى وقوع العلم بهما هل
هو علم اضطرار او علم اكتساب على وجهين
احدهما انه علم اكتساب وقع عن الاستدلال
وهو قول بعض اصحاب الشافعى وبعض
المتكلمين لأن العلم بخبرهم يقترن بصفات
تختص بهم فصار طلب الصفات استدلالا
يوصل الى العلم بخبرهم واختلف القائلون
بهذا اهل اكتسب العلم به من الخبر او
المخبر على وجهين احدهما من الخبر لانه
المقصود والثانى من المخبر لانه المبلغ فهذا
قول من جمله علم استدلال والوجه الثالث
وهو قول الاكثرين من الفقهاء والمتكلمين
انه علم اضطرار ادرك ببداية العقول
لأن العلم به قد يسبق الى اليقين من
غير نظر ويستقر فى القلوب من غير انتقال
واختلف القائلون بهذا فى علمه بالاضطرار
هل هو من فعل المخبر[٧] لوصوله اليه بنفسه
وهو قول اكثر الفقهاء والوجه الثانى انه
من فعل الله تعالى لأنه الملجى اليه وهو
قول اكثر

[٧] او من فعل الله تعالى على معنى انه ... الله ... الذى

قول اكثر المتكلمين واختلف من قال بهذا
منهم على وجهين احدهما انه من فعل
الله تعالى في الخبر والثاني انه من فعله
في المخبر والذي اراه اولى ان اخبار الاستفاضة
توجب علم الاضطرار واخبار التواتر توجب
علم الاستدلال لاستغناء الافاضة عن
نظر واحتياج التواتر الى نظر مع وقوع العلم
بهما وزعمت الامامية انه لا يقع العلم
باخبار الاستفاضة والتواتر الا ان يكون
الخبر بين امام معصوم او يصدقهم عليه امام
معصوم وحكي عن ضرار بن عمرو ان حجة
الاستفاضة والتواتر لا تقوم بعد الرسل
بنقل اقواله وافعاله الا باجماع الامة
على صدقهم او صحة نقلهم وكلا القولين
مدفوع بقضايا العقول لانها تضطر الى العلم
بها كعلم الاضطرار بالمشاهدات ومدركات
الحواس لان الاخبار بالبلدان فيها مكة
والصين يعلم باضطرار كما نعلم بالمشاهدة
وكما يعلم الانسان ان تحته ارضا
وسما فوقه لوجودانفسنا عالمة بها على
سوا ولما في عزايز الفطر من ذلك قال

طفيل الغنوى وهو اعرابي بطبع سليم من التكلف وبديهية خلعت من التعمق وله والتعسف ما يدل على وقوع العلم باخبار الأستفاضة والتواتر بقول

* تأوبني هم من الليل منصب * وجاء من الاخبار ما لا يكذب
* تظاهرن حتى لم تكن لي ريبة * ولم يك فيما اخبر واتعقب

فصل

واما اخبار الآحاد فضربان احدهما ان يقترن بها ما يوجب العلم بمضمونها وقد تكون من خمسة اوجه احدها ان يصدقه عليه من يقطع بصدقه كالرسول اومن اخبر الرسول بصدقه فيعلم به صدق المخبر وصحة الخبر والثاني ان تجمع الأمة على صدقه فيعلم باجماعهم انه صادق في خبره والثالث أن يجمعوا على قبوله والعمل به فيكون دليلا على صدق خبره والرابع ان تكون الخبر مضافا الى حال قد شاهدها عدد كثير ها وسمعوا روايته الخبر فلم ينكروه على المخبر فيدل على صحة الخبر وصدق المخبر والخامس ان يقترن بالخبر دلائل العقول فان كان مضافا اليها كان صدقا لازما لأن ما وافقها لا يكون

الاصدقا

الا حقا وان كان مضافا الى غيرها لم تدل
موافقتها على صدق الخبر وان اوجب صحة
ما تضمنه الخبر والضرب الثالث ان ينفرد
خبر الواحد عن قرينة تدل على صدقه
فهو امارة توجب غلبة الظن ولا يقتضي
العلم ويقوى اذا تطاول به الزمان فلم يعارض
برد ولا مخالفة وان تكرر في معناها ما يوافقها
صار جميعها متواترا وان كان افرادها احادا
واذا استقر هذا الاصل في الاخبار لم
يخرج المروي من اعلام الرسول عنها وقد
ذكرنا ما روي من افعاله وسنذكر ما روي
من اقواله فمنها ما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال زويت لي الارض
فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك
امتي ما زوي لي منها فصدق الله خبره ما له
وحقق ما ذكره وملك امته اقطار الارض
حتى دان له بشرعه من في المغرب المشرق
والمغرب وقال عليه الصلاة والسلام لعدي
ابن حاتم لا يمنعك من هذا الدين ما ترى
من جهد اهله وضعف اصحابه فلكانهم
بيضاء المداين قد فتحت عليهم ولكانهم

بالظعينه تخرج من الحيرة حتى تأتي مكة بغير خفارة لا تخاف الا الله فابصر عدي ذلك كله وهذا لا يكون الا من اطلاع الله تعالى له على غيبه وتحقيقه لوعده في قوله ليظهره على الدين كله ومن اعلامه ما رواه البرا بن عازب قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق فعرضت لنا صخرة عظيمة لا ياخذ فيها المعول فاخذ المعول وقال بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثيها وقال الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر وقال الله اكبر اعطيت مفاتيح فارس ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر وقال الله اكبر اعطيت مفاتيح اليمن فصدق الله قوله واعطاه ما فتح له وروى كعب بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط فان لهم رحما وذمة يعني ان ام اسمعيل بن ابرهيم كانت منهم ومن اعلامه انه كتب الى كسرى كتابا يدعوه الى الاسلام وبدا باسمه قبل اسمه فلما قراه انف

لنفسه

لنفسه من ابتدائه باسمه فمزق كتابه
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال تمزق ملكه ثم كتب الى كسرى
في الوقت الى عامله باليمن باذان ويكنا
ابا مهران ان احمل الى هذا الذى يذكر انه
نبي وبدا باسمه قبل اسمى ودعاني
الى غير ديني فبعث اليه فيروز بن الديلمى
مع جماعة من اصحابه وكتب معهم كتابا
يذكر فيه ما كتب به كسرى فاتاه فيروز بمن
معه وقال له ان ربى يعنى كسرى امرنى
ان احملك اليه فاستنظره ليلة فلما كان
من الغد حضر فيروز مسرعا فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني
ربي انه قتل ربك البارحة سلط عليه
ابنه شيرويه على سبع ساعات من
الليل فامسك ريثما يأتيك من الخبر
فراع ذلك فيروز وهاله وعاد فيروز الى
باذان فاخبره فقال له باذان كيف وجدت
نفسك حين دخلت اليه فقال والله
ما هبت احدا قط كهيبة هذا الرجل فقال
باذان ان كان ما قاله حقا فهو نبي فلم

يرعه الاود وداخبر عليه بقتله في تلك
الليلة من تلك الساعة فاسلم باذان
وفيروز ومن معهم من الابناء وظهر له
العنسي بما افتراه من الكذب فارسل الى
فيروز ان اقتله قتله الله فقتله وفي هذا
الخبر من ايات الغيوب ما لا يعلمه الا الله أو
من اطلعه عليه **ومن اعلامه**
انه رأى ذراعي سراقه بن مالك بن جعشم
دقيقين اشعرين فقال كيف بك اذا
لبست بعدي سواري كسرى فلما فتحت فارس
دعاه عمر والبسه سواري كسرى وقال الحمد
لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز والبسهما
سراقة بن جعشم **ومن اعلامه**
ما رواه جابر بن عبد الله قال صلى بنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان
النجاشي اصحمه قد توفي هذه الساعة
فاخرجوا بنا الى المصلى فصلى عليه فصلى
عليه وكبر اربعا فقال المنافقون انظروا الى
هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط فانزل
الله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن
بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم الاية

ثم جاء

ثم جاء الخبر بموت النجاشي في تلك الساعة
وما علم هرقل بموت النجاشي الا من تجار
وردوا من المدينة ومثله ما روى ان ريحا
هبت بتبوك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا لموت منافق عظيم النفاق
فقدموا المدينة فوجدوا منافقا عظيم
النفاق قد مات في ذلك الوقت

ومن اعلامه

انه قال لأصحابه اليوم نصرت العرب على
العجم وبي نصروا فجاء خبر الوقعة بذي قار
وما اذال الله تعالى فيه العرب من العجم
حين قتلت فيه بنو شيبان وبكر بن
وائل من الفرس من قتلوا وكان اول يوم
انتصف فيه العرب من العجم وجاءهم الخبر
انه كان في الساعة من اليوم الذي اخبر به
رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن اعلامه

ان كشف الله تعالى له ما غاب عنه في جيش
موتة فقال لأصحابه اخذ الراية زيد بن
حارثة وتقدم فقتل ومضى شهيدا ثم
اخذ الراية بعده جعفر بن ابي طالب وتقدم

فقتل ومضى شهيدا ووقف وقفه ثم قال
واخذ الرايه بعده عبد الله بن رواحه
وتقدم فقتل ومضى شهيدا لأن عبد الله
بن رواحه توقف عن اخذ الرايه بعد
قتل جعفر زمانا ثم اخذها قال ثم ارتضى
المسلمون خالد بن الوليد فكشف العدو
عنهم حتى خلصوا ثم قال الى بيت جعفر
ابن ابى طالب فاستخرج ولده ودمعت عيناه
ونعى جعفرا الى اهله وجاءت الأخبار بأنهم
قتلوا فى ذلك اليوم على ما وصفه ومن اعلامه
قوله فى ليلة الأسرا حين اصبح مررت بعير بنى
فلان فوجدت القوم نياما واذا انا آنيه
ما وقد غطوا عليه فكشفت غطاءه وشربت
ما فيه ورددت الغطا كما كان وايه ذلك
ان عيرهم الان يقبل من موضع كذا يقدمها
جمل اورق عليه غرارتان احدهما سودا
والأخرى ورقا فابتدر القوم الثنيه فوجدوا
ما وصف وسالوهم عن الأناء فوجدوا
الأمر كما قال ومن اعلامه
انه رأى عليا عليه السلام فى غزاه العشيرة
على التراب ومعه عمار فقال لهما الا أخبركما بأشقى
الناس

الناس قالا بلى قال اشقى الناس احمر ثمود عاقر الناقة والذى يخضب يا علي هذه من هذه واشار الى لحيته من راسه وقال لعمار تقتلك الفئة الباغية واخر زادك من الدنيا صاع من لبن فكان من من قتل ابن ملجم لعنه الله لعلي عليه السلام ما كان وقتل عمار يوم صفين فلما ذكر الخبر لمعوية لم ينكره ودفعه عن نفسه بان قال انما قتله من جاء به ومثله ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر زيد ابن صوحان فقال زيد وما زيد يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده يوم نهاوند في سبيل الله وقال الخلافة بعدى ثلثون وما بعد ذلك ملك

نوع آخر من اعلامه

نوع آخر منهم

انه نزل بجيشه في غزوة تبوك على غير ماء وهم نحو من ثلثين الفا فعطشوا وشكوا ذلك اليه فبعث ابا قتادة وابا طلحة وسماك ابن خرشة وسعد بن عبادة يلتمسون الماء فغابوا الى قايم الظهيرة ثم رجعوا ولم يجدوا شيئا وبلغ العطش من الناس والخيل

والدواب فصلى باصحابه متيمما فلما فرغ شكوا
اليه العطش فبعث اسد بن حضر واسامة
يلتمسان الماء من الأعراب فقال المنافقون
ان محمدا يخبرنا باخبار السماء وهو لا يدري
الطريق الى الماء فاتاه جبريل فاخبره بقولهم
وسماهم له فشكا ذلك الى سعد بن عبادة
فقال سعد ان شئت ضربت اعناقهم فقال
لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه
ولكن نحسن صحبتهم ما اقاموا معنا ثم قال لأبي
الهيثم ابن التيهان وابى قتادة وسهيل
ابن البيضاء يستعرضون الطريق وتأخذون
على الكثيب لتقف ساعة فان عجوزا من
الأعراب تمر بكم على ناقة لها معها سقاء
من ماء فاطعموها واشتروا منها بما عز وهان
وجيئوا بها مع الماء فمضوا حتى بلغوا الموضع
الذى وصف لهم فاذا بالمرأة قالوا تبيعينا هذا
الماء فالت انا واهلي احوج الى الماء منكم
فطلبوا اليها ان تأتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع الماء فابت وقالت ان هذا الساحر
وخبر الأشياء ان لا أراه فشدوها وثاقا
حتى جاؤا بها مع الماء فلما وقعت بين يدي
رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلوا
عنها وقال لها بتبيعين هذا الماء قالت
ان اهلى احوج اليه منكم قال قال فاذنى لنا
فيه ولنضربن كما جيت به قالت شانكم فقال
لأبى قتادة هات الميضاة فقربت اليه فحل
السقا وتفل فيه وصب فى الميضاة ماقليلا
ظننا انه نصف الميضاه فوضع يده فيه ثم
قال ادنوا فخذوا فجعل الما يزيدوا الناس
ياخذون حتى ما بقى ما بقوا معهم شيئا الا
ملاوه ورواهم وخيلهم وابلهم والميضاه
ملا ثم رد رسول الله صلى الله عليه وسلم
السقا حتى ملاه وبقى فى الميضاه ثلثاه
ثم توضوا كلهم حتى اصبحوا وهو يزيد ولا
ينقص

ومن اعلامه

ان ناقته له ضلت فى توجهه لتبوك فتفرق
الناس فى طلبها وكان عنده عمارة بن حزم
وفى رحل عمارة زيد بن اللصيت وكان يهوديا
قد اسلم ونافق فقال زيد فى رحل عمارة
ابن حزم محمد انه نبى يوحى اليه يخبركم خبر السما
وهو لا يدرى اين ناقته فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان منافقا يقول

اليس محمد يزعم انه نبي ويخبركم بخبر السماء
ولا يدري اين ناقته والله لا اعلم الا ما
ما علمني ربي وقد اعلمني انها في الوادي
في شعب كذا حبسها سمرة بزمامها فبادر
الناس فوجدوها كذلك فاتوه بها فرجع
عمارة بن حزم الى رحله وقال لقد عجبت مما
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رجل كان في رحله مع زيد بن اللصيت ان
زيدا قال هذا قبل ان تطلع علينا فوجا عمارة
زيدا في عنقه وقال انك لداهية في رحلي
اخرج يا عدو الله منه ولاجل ما اصابه في
غزاة تبوك من الجهد قال لاصحابه الا ابشركم
قالوا بلى يا رسول الله صلى قال ان الله
اعطاني الليلة الكنزين فارس والروم وامدني
بالملوك ملوك حمير يجاهدون في سبيل الله
وياكلون في الله فكان ذلك ومن اعلامه
انه بعث خالد بن الوليد من تبوك في اربع
مايه وعشرين فارسا الى اكيدر بن عبد الملك
بدومة الجندل من كنده فقال خالد يا رسول
الله كيف لي به وسط بلاد كلب وانما انا
في عدد يسير فقال ستجده يصيد البقر

فتاخذه

فتاخذه فخرج خالد حتى اذا كان من حصنه بمنظر العين في ليلة قمرية صافية يقف وهو على سطح له من شدة الحر مع امرأته فاقبلت البقر تحك بقرونها باب الحصن فقال اكيدر والله ما رايت بقرا جاءتنا ليلا غير هذه الليلة لقد كنت اضمر لها الخيل اذا اردتها شهرا او اكثر ثم نزل فركب بالرجال والآلة فلما فصلوا من الحصن وخيل خالد تنظر اليهم لا يصهل منها فرس ولا يتحرك فساعة فصل اخذته الخيل فاستأسر اكيدر

ومن اعلامه

انه قاضى سهيل بن عمرو بالحديبية حتى صدته قريش عن العمره وكتب بينه وبينه القضيه قال لعلي عليه السلام اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهيل ابن عمرو فقال سهيل لو اعلم انك رسول الله ما صددتك ولكن اقدمك لشرفك اكتب محمد بن عبد الله فقال يا علي امح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لا استطيع ان امحوا اسمك من النبوة فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الى الموضع

فمياه وقال لعلي ستسام مثلها فتجيب
فقيل له مثلها يوم الحكمين حين ذكر في كتاب
التحكيم هذا ما تحاكم عليه علي امير المومنين
فقال له عمرو ولو سلمنا انك امير المومنين ما نازعناك
فما امير المومنين ولما قال سهيل ذلك قال
عمر يا رسول الله دعني انزع ثنيتي سهيل
ليدلع لسانه فلا يقوم علينا خطيبا ابدا
وكان سهيل اعلم الشفة السفلى وكان
خطيبا بينا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم دعه يا عمر فعسى ان يقوم لك
مقاما تحمده فكان من حسن قيامه بمكة حين
هاج اهلها بموت رسول الله صلى الله عليه
وسلم واستخفا عتاب بن اسيد ما حمد
امرهم

ومن اعلامه

ما حكى السدي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لأصحابه يدخل اليوم عليكم رجل
من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فاتاه
الحطيم بن هند البكري وحده وخلف خيله
خارجة عن المدينة فدعاه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال الى ما تدعوا فاخبره
فقال انظرني فلي من اشاوره فخرج من عنده فقال

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد
دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر فمر
بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق
مرتجزا يقول

قد لفها الليل بسواق حطم * ليس براعي ابل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم * باتوا نياما وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم * خدلج الساقين ممسوح القدم

ثم اقبل عام قابل حاجا قد قلد الهدي فاراد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث
اليه فانزل عليه لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر
الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين
البيت الحرام فقال له ناس من اصحابه هذا
صاحبنا خل بيننا وبينه فقال انه قد قلد

نوع آخر من اعلامه

ما روي عاصم بن عمرو بن قتادة قال لما رجع
المشركون الى مكة من بدر قال عمير بن وهب
الجمحي قبح الله العيش بعد قتلى بدر
والله لولا دين علي لا احد له قضا وعيال
لا ادع لهم شيئا لدخلت الى محمد حتى اقتله
ان ملأت عيني منه قتلته فانه بلغني انه
يطوف في الاسواق فقال له صفوان

دينك علي وعيالك اسوة عيالي فاعمد
لشانك فجهزه وحمله على بعير فشحذ
عمير سيفه وسمه وسار الى المدينة
فدخلها متقلدا سيفه فبصر به عمر فوثب
اليه ووضع حمايل سيفه في عنقه وادخله
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
هذا عدو الله عمير بن وهب فقال تأخر عنه
يا عمر وقال له ما اقدمك قال لفدا اسيري
عندكم فقال فما بال السيف فقال قبحها
الله وهل اغنت من شيء وانما نسيته
حين نزلت وهو في رقبتي فقال وما شرطت
لصفوان بن امية في الحجر ففزع عمير وقال
ماذا شرطت له قال تحملت له بقتلي على
ان يقضي دينك ويعول عيالك والله حائل
بينك وبين ذلك فقال عمير اشهد انك
لرسول الله وانك صادق واشهد ان لا اله
الا الله كنا نكذبك بالوحي من السماء
وهذا الحديث كان سرا بيني وبين صفوان
كما قلت لم يطلع عليه احد غيري وغيره فقال
عمر والله لخنزير كان احب الي منه حين طلع
وهو الساعة احب الي من بعض ولدي فقال
رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا
اخاكم القرآن واطلقوا له اسيره فقال عمير
انى كنت جاهدا فى اطفاء نور الله وقد
هدانى الله فله الحمد فاذن لى فالحق
قريشا فادعوهم الى الله والاسلام فاذن له
فلحق بمكة ودعاهم فاسلم معه بشر كثير
وحلف صفوان ان لا اكلمه ابدا ومنها علامة
ما حكاه شيبة بن عثمان بن ابى طلحة قال
ما كان احد ابغض الى من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكيف لا يكون كذلك
وقد قتل منا ثمنية كل منهم يحمل اللواء فلما
فتح الله مكة ايسيت مما كنت اتمناه من
قتله وقلت فى نفسى قد دخلت العرب
فى دينه فمتى ادرك ثارى منه فلما اجتمعت
هوازن بحنين قصدتهم لاجد منه
غرة فاقتله فلما انهزم الناس عنه وبقى
من ثبت معه جئت من ورائه فرفعت
السيف حتى اذا كدت احطه غشى فوادى
فرفع لى شواظ من نار فلم اطق ذلك وعلمت
انه ممنوع فالتفت الي وقال لى ادن ما شئت
فدنوت ووضع يده فى صدرى فصار احب الناس

الي وتقدمت وقابلت بين يديه ولو عرض
لي ابي لقتلته في نصرته فلما انقضى
القتال دخلت عليه فقال لي الذي اراد الله
بك خير مما اردته لنفسك وحدثني بجميع
ما دورته في نفسي فقلت ما اطلع
على هذا احد الا الله فاسلمت ومن اعلامه
ما رواه ابراهيم عن محمد بن شرحبيل عن ابيه
قال كان النضر بن الحارث ابن كلدة يصف
عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لقتله لاخيه نضر بن الحرث صبرا قال وكنت
شهدت بدرا فرأيت قلة المسلمين وكثرة
قريش فلما نشب القتال رأيت المسلمين
اضعاف قريش وانهزمت قريش ورأيت
يومئذ رجالا على خيل بلق بين السماء
والارض معلمين ياسرون ويقاتلون فهربت
مذعورا ثم خرجت معه يوم الفتح الى هوازن
لاصيب منه غره فلما انهزم المسلمون حمدت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو
في وجه العدو واقف على بغلة شهبا
حوله رجال بيض الوجوه فاقبلت عامدا اليه
فصاحوا الي اليك فرعب فوادي وارتعدت
جوارحي

جوارحي فقلت هذا مثل يوم بدر وان
الرجل لعلى حق وانه معصوم فادخل الله
في قلبي الاسلام ثم التقيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من
الطايف حين رآني قلت قال النصير قلت
لبيك قال هذا خير لك مما اردت يوم حنين
مما حال الله بينك وبينه ومن اعلامه
انه قال لعمه العباس وقد اسر يوم بدر
افد نفسك وابني اخيك عقيلا ونوفلا
وحليفك فانك ذو مال فقال يا رسول الله
اني كنت مسلما واخرجت مكرها فقال الله
اعلم باسلامك فاين المال الذي وضعته
بمكة عند ام الفضل حين خرجت وليس
معكما احد وقلت اني اصبت في سفري فللفضل
كذى ولعبد الله كذى ولقثم كذا فقال والذي
بعثك بالحق ما علم بهذا احد غيري وغيرها
واني لاعلم انك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ففدا نفسه واخيه وحليفه فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله سيعوضك خيرا ان كان ما قلته من

اسلامك حقا فعوضه الله مالا جما

ومن اعلامه

ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد الذهاب الى ام فروة الانصارية قال لاصحابه انطلقوا بنا الى الشهيدة نزورها وامران يوذن لها وتقام وان غلام لاهل دارها في الفرائض فقتلها في ايام عمر غلام وجارية كانا لها فصلبهما عمر فكانا اول من صلب في الاسلام فقال عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول انطلقوا نزور الشهيدة

ومن اعلامه

ما رواه عامر بن عبد الله بن الزبير عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم فلما فرغ قال يا عبد الله اذهب بهذا الدم فاهرقه حيث لا يراك احد فلما برزت عنه عمدا الى الدم فحسا ه فلما رجع قال يا عبد الله ما صنعت قال جعلته في اخفا مكان ظننت انه خاف عن الناس فقال لعلك شربت الدم قال نعم قال ويل للناس منك وويل لك من الناس الى امثال ذلك من نظائره التي

يطول الكتاب

يطول الكتاب بذكرها حتى كان المنافقون
لا يخوضون في شيء من امره الا اطلعه الله
عليه فكان يخبرهم به حتى كان بعضهم
يقول لصاحبه اسكت وكف فوالله لو لم يكن
عنده الا الحجارة لاخبرته حجارة البطحا فان
قيل فليس في ذكر ما كان ويكون اعجاز
نبوة تقهر ولا آية رسالة تظهر لان
المنجمين يخبرون بذلك ولا يكون من اعجاز
الانبيا وايات الرسل فمنه ثلثة اجوبة
احدها ان المنجم يعمل على حساب ويرجع
الى استدلال ولا يبتكر قولا الا بعدهما
واخبار الرسل عن بديهة تخلوا من سبب
وتعرى عن استدلال والثاني ان من خلا
من علم النجوم لم يصح منه الاخبار عنها
ولم يتعاط محمد علم النجوم ولا خالط اهلها
فيكون مخبرا عنها فبطل ان يخبر بها الا عن
علام الغيوب المطلع على ضماير القلوب
والثالث ان المنجم يصيب في الاقل ويخطى
في الاكثر ويستحسن منه الصواب ولا يستقبح
منه الخطا واخبار الرسل كلها صدق ولا
يتخلله كذب وصواب لا يعتوره زلل

الباب الحادى عشر

فيما اكرم به من اجابة ادعيته

ان الله تعالى لما فضل الأنبياء على جميع خلقه بما فوض اليهم من القيام بحقه تميزوا لطلب المصلحة فخصوا باجابة الأدعية ليكون عونا على ما كلفهم وانية على من انكرهم فدخل بهذا الامتياز فى اقسام الاعجاز

ومن اعلامه

ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تلا والنجم اذا هوى قال عتبة بن ابى لهب كفرت برب النجم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك يعنى الأسد فخرج عتبة مع اصحابه فى عير الى الشام حتى اذا كانوا فى طريقهم راى الأسد فجعلت فرايص عتبة ترعد فقال له اصحابه من اي شيء ترعد فوالله ما نحن وانت الا سواء فقال ان محمدا دعا علي وما ترد له دعوة ولا اصدق منه لهجة فوضعوا العشا فلم يدخل يده فيه وحاط القوم انفسهم بمتاعهم وجعلوه وسطهم وناموا فجاء الأسد يستثنى روسهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فهشمه هشمة كانت

اباها فقال

اياها فقال وهو بآخر رمق اللهم اقل لكم ان
محمدا اصدق الناس لهجة ومن اعلامه
ان المستهزئين به من قريش سبعة الوليد
ابن المغيرة والعاص بن وايل السهمي والاسود
ابن عبد يغوث الزهري وفكيهة بن عامر
الفهري والحرث بن الطلاطلة والاسود بن
الحرث وابن عيطلة كانوا يكثرون منه الاستهزا
ويواصلون عليه الاذا وكان لا يقرا الا مستترا
ولا يدعوا الا مستخفيا فنزل عليه قوله تعالى
ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين
ذلك سبيلا اي لا تجهر بها فيؤذون
ولا تخافت بها عن اصحابك فلا يسمعون
وابتغ بين الجهر والاسرار سبيلا فاذن
لاصحابه حين اشتد بهم الاذى في الهجرة
الى ارض الحبشة لان ملكها كان منصفا
ورغب الى الله تعالى ان يكفيه امرهم فنزل
عليه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض
عن المشركين فاصدع اي شق جماعاتهم
بالتوحيد والصدع الصبح في كلامهم انا
كفيناك المستهزئين وفي قوله فاصدع بما
تؤمر تاويلان احدهما امض لما تؤمر به من

الطال الشرك والثانى اظهر ما تؤمر به من
الحق وفى قوله واعرض عن المشركين تاويلان
احدهما استهن بهم والثانى لا تهتم
باستهزائهم انا كفيناك المستهزئين يعنى
بما عجله من هلاكهم اما الوليد بن المغيرة
فانه ارتدى فعلق بردائه شوك فذهب
يجلس عليه فقطع اكحله فنزف فمات لوقته
واما العاص بن وائل فوطئ على شوكه فتساقط
لحمه من عظامه فمات من يومه واما الاسود
ابن عبد يغوث فقد كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم دعا عليه بالعمى وثكل ولده
فاتى بغصن شوك فاصاب عينيه فسالت
حدقته على وجهه وقتل ولده زمعه يوم
بدر فاعمى الله بصره واثكله ولده واما
فكيهه بن عامر فخرج يريد الطائف ففقد
فلم يوجد واما الحرث بن الطلاطلة فانه
خرج لبعض حوايجه فضربه السموم فى
الطريق فاسود وجهه ومات واما الاسود
ابن الحرث فاكل حوتا مملوحا فاصابه عطش
فلم يتمالك من شرب الماء حتى انشق بطنه
ومات واما عيطلة فاستسقى فمات ومثله

ما رواه

ما رواه بن مسعود قال كنا مع النبي صلى الله
عليه وسلم نصلي في ظل الكعبة وناس
من قريش وابو جهل قد نحروا جزورا فقال
لشاة اللحم جزرة وللسعد جزور في ناحية
مكة فبعثوا فجاوا بسلاها فطرحوه بين
كتفيه فجاءت فاطمة فطرحته عنه فلما
انصرف قال اللهم عليك بقريش اللهم
عليك بابي جهل وعتبة وشيبة ووليد
ابن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن
ابي معيط قال عبد الله بن مسعود فلقد
رايتهم قتلا في قليب بدر **ومن اعلامه**
ان خباب بن الارت اتاه حين اشتد الاذى
من قريش فقال يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ادع لنا ربك يستنصر لنا على
مضر فقال انكم تعجلون لقد كان الرجل ممن
قبلكم يمشط بامشاط الحديد حتى يخلص
الى ما دون عظمه من لحم او عصب ويشق
بالمنشار ولا يرده ذلك عن دينه وانكم
لتعجلون والله ليمضي هذا الامر حتى يسير
الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا
الله تعالى والذيب على غنمه ثم دعا عليهم

فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعل
عليهم سنين كسني يوسف فقطع الله
عنهم المطر حتى مات الشجر وذهب الثمره
واجدبت الأرض وماتت المواشي واشتووا
القد واكلوا المليز فلما انتهت بهم الموعظة
استعطفوه فعطف ورغب الى الله تعالى
فمطروا ومن اعلامه
ما رواه ابن عباس قال قيل لعمر حدثنا عن شان
جيش العسرة فقال عمر خرجنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في قيظ شديد
فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش شديد
حتى خشينا ان تنقطع رقابنا فكان الرجل
يذهب ليلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان
رقبته ستنقطع حتى كان الرجل ينحر بعيره
فيعصر فرثه فيشربه ثم يجعل ما بقي على
صدره فقال ابو بكر يا رسول الله ان الله
قد عودك في الدعا خيرا فادع الله لنا قال
اتحب ذلك قال نعم فرفع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يده الى السماء فلم يرجعها
حتى قالت السحاب فاظلت وامطرت ثم مطرت
فحملوا ما معهم فذهبنا ننظر فلم نجدها ما
جاوزت

جاوزت العسكر ومن اعلامه م
ما رواه مسلم الملاك عن انس بن مالك ما
قال اتى اعرابي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله لقد اتيناك
ومالنا بعير سط ولا صبي يصطبح ثم انشد

اتيناك والعذرا يدمى لبانها * وقد شغلت ام الصبي عن الطفل
والقى بكفيه الصبي استكانة * من الجوع ضعفا ما يمر ولا يحلى
ولا شيء مما ياكل الناس عندنا * سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
وليس لنا الا اليك فرارنا * واين فرار الناس الا الى الرسل

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر
رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه
ثم قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا سحا طبقا
غير رايث ينبت به الزرع وتملا به الضرع
ويحيي به الارض بعد موتها وكذلك ما
تخرجون فما استتم الدعا حتى القت السما
بارواقها فجاء اهل البطانة يضجون يا رسول
الله الغرق فقال حوالينا ولا علينا فانجاب
السحاب عن المدينة كالاكليل فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت
نواجذه وقال لله در ابي طالب لو كان حيا
لقرت عيناه من الذي ينشدنا شعره فقام

علي بن ابى طالب عليه السلام فقال يا رسول الله كانك اردت قوله

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ربيع اليتامى عصمة للأرامل
تلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله نبزى محمد * ولما نقاتل دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن ابنائنا والحلائل

* فقام رجل من كنانة وانشد *

لك الحمد والحمد ممن شكر سقينا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة * واشخص منه اليه البصر
فلم يك الا كالقا الردا واسرع حتى راينا الدرر
دفاق العزالى جم البعاق * اغاث به الله علينا مضر
وكان كما قاله عمه ابو طالب * ابيضا ذا غرر
به الله يسقى صوب الغمام * وهذا العيان لذاك الخبر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يك شاعر احسن فقد احسنت

ومن اعلامه

٢ ما اظهره الله تعالى من كرامته فى عمه العباس حين استسقى به عمر توسلا اليه بعمه العباس فخرج يستسقى به وقد اجدب الناس فقال اللهم انا نتقرب اليك بعم النبي نبيك وبقية ابائه وكبير رجاله فاحفظ اللهم نبيك فى عمه

فقد دلونا

وقد دلونا اليك به مستشفعين اليك
مستغفرين فقال العباس وعيناه تنضحان
اللهم انت الراعي لا تهمل الضالة فقد ضرع
الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وانت
تعلم السر واخفى اللهم فاغثهم بغياثك من
قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من
روحك الا القوم الكافرون فنشأت السحابة
واهطلت السماء فطفق الناس بالعباس
يمسحون اردانه ويقولون هنيئا لك ساقي
الحرمين فقال حسان بن ثابت

سأل الامام وقد تتابع جدبنا * فسقى الغمام بغرة العباس
عم النبي وصنو والده الذي * ورث النبي بذاك دون الناس
احيا الاله به البلاد فاصبحت * مخضرة الاجناب بعد الياس

فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي
لهب يفتخر بذلك

بعمي سقا الله الحجاز واهلها * عشية يستسقي بشيبته عمر
توجه بالعباس في الجدب راغبا * فما كر حتى جاد بالديمة المطر

ومن اعلامه

ما روى ان اسما بنت عميس قالت
لفاطمة عليها السلام ان علي بن ابي طالب
رضي الله عنه كان عند النبي صلى الله

عليه وسلم وقد اوحى اليه فجلله بثوبه فلم
يزل كذلك حتى ادبرت الشمس او كادت
تغيب ثم انه صلعم سري عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اصليت يا علي قال
لا فقال اللهم رد على علي الشمس فرجعت
الشمس حتى بلغت نصف المسجد

ومن اعلامه م

ما روي عن علي بن ابي طالب عليه السلام قال
بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
اليمن فقلت يا رسول الله تبعثني وانا حدث
السن لا علم لي بالقضا قال انطلق فان الله
يهدي قلبك ويثبت لسانك قال علي
عليه السلام فما شككت في قضاء بين اثنين
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقضاكم علي ومثله قوله لابن عباس رضي
الله عنه وهو يومئذ غلام اللهم فقهه في
الدين وعلمه التأويل فخرج افقه الناس في
الدين واعلمهم بالتاويل حتى سمي البحر
لسعة علمه

ومن اعلامه م

ما رواه ابو العالية عن ابي هريرة قال اتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرات

فقلت ادع

فقالت ادع لي بالبركة فيهن فصفهن على يدى
ثم دعا بالبركة فيهن ثم قال اجعلهن في المزود
فاذا اردت شيئا فادخل يدك فيه ولا تنثره
قال ابو هريرة فلقد حملت من ذلك التمر
كذا وكذا وسقا في سبيل الله وكنا ناكل منه
ونطعم وكان لا يفارق حقوي فلما كان يوم قتل
عثمان انقطع وذهب **ومن اعلامه**
ما رواه جعيل الاشجعي قال غزوت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته
فقال سر يا صاحب الفرس فقلت يا رسول
الله هي عجفا ضعيفة فرفع مخفقة في يده
فضربها وقال اللهم بارك له فيها فلقد رايتني
ما امسك راسها ان تقدم الناس ولقد
بعت من بطنها باثني عشر الفا الف **ومن اعلامه**
ما روت عايشة قالت قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة وهي اوبى ارض
فيه فيقال اللهم حبب الينا المدينة كما
حببت الينا مكة وصححها لنا وبارك
لنا في صاعها ومدها وانقل حماها الى
الجحفة فصارت كذلك **ومن اعلامه**
انه اخذ يوم بدر كفا من حصا وتراب ورمى

به في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه
فتفرق الحصى في المشركين ولم يصب ذلك
الحصى والتراب احدًا الا قتل او اسر وفيه
نزل قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى

ومن اعلامه ٣

ان الطفيل بن عمرو الدوسي قدم مكة وكان
شاعرا لبيبا فقالت قريش له احذر محمدا
فان قوله كالسحر يفرق بين المرء وزوجه
فأتاه في بيته فقال يا محمد اعرض امرك
فعرض عليه الاسلام وتلا عليه القران
فاسلم وقال يا رسول الله اني امرؤ مطاع في
قومي واني راجع اليهم وداعيهم الى الاسلام
فادع الله ان يجعل لي اية تكون عونا عليهم
فقال اللهم اجعل له اية فخرجت حتى اذا كنت
بالثنية وقع نور بين عيني مثل المصباح
فقلت اللهم في غير وجهي اخشى ان يظنوا
بي انها مثلة فتحول فوقع في راس سوطي فجعل
الحاضرون يرون ذلك النور في سوطي
كالقنديل المعلق وانا اهبط من الثنية ثم
دعوت رؤساء قومي الى الاسلام فابطؤا

فجئت

فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة فقلت يا رسول الله انهم قد غلبوني
على دوس فادع الله عليهم فقال اللهم اهد
دوسا ارجع الى قومك فادعهم الى الله وارفق
بهم فرجعت اليهم فلم ازل بارض دوس
ادعوهم حتى اسلموا ومن اعلامه م
ما رواه ابو نهيك الازدي عن عمرو بن اخطب
قال استسقى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاتيته باناء فيه ما وفيه شعرة
فرفعتها فناولته ثم قال اللهم جمله قال فرايته
بعد ثلث وتسعين ما في راسه ولحيته
شعرة بيضا ونهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ينقي الرجل شعره في
الصلوة فراى رجلا ينقي شعره في الصلوة
فقال قبح الله شعرك فصلع مكانه فان
قيل فاجابة الادعية لا تكون معجزة للنبوة
لانه قد يجاب دعوة غير الانبيا قيل ادعية
الانبيا مجابة على العموم في جميعها وادعية
غيرهم ان اجيبت فهي على الخصوص في
بعضها لان الانبياء منطقون بالحق
وغيرهم منطقون بالحق ولغيره وان اجيبت

ادعيتهم فهي تفضل تقف على مشيئة الله تعالى

الباب الثاني عشر

في انذاره بما يستحدث بعده

روى فضاله بن ابي فضاله الانصاري قال خرجت مع ابي الى ينبع عايدا لعلي بن ابي طالب عليه السلام وكان بها مريضا فقال له ابي يا ابا الحسن ما يقيمك بهذا البلد لا امن ان يصيبك اجلك ولا يكن احد يليك الا اعراب جهينة فلو احتملت الى المدينة فان اصابك اجلك وليك اصحابك وصلوا عليك فقال يا فضاله اخبرني حبيبي وابن عمي رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا اموت حتى اوتمر ولا اموت حتى اقتل الفئة الباغية ولا اموت حتى تخضب هذه من هذه الدم وضرب على لحيته وهامته قضاء له مقضيا وعهدا معهودا وقد خاب من افترى

ومن انذاره

ما رواه ابو سلمة عن ابي هريرة قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمارية القبطية في بيت حفصة بنت عمر فوجدتها معه تضاحكه فقالت يا رسول الله ع في بيتي،

محذون

من دون بيوت نسائك قال فانها علي
حرام ان امسها ثم قال لها يا حفصة الا ابشرك
قالت بلى بابي انت وامي قال بلى هذا الامر
من بعدي ابو بكر ثم يليه من بعد ابي بكر
ابوك اكتمي هذا علي فخرجت حتى دخلت على
عائشة فقالت لها الا ابشرك يا ابنة
ابي بكر فقالت بماذا فذكرت ذلك لها وقالت
قد استكتمني فاكتميه فانزل الله تعالى
يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الايات

ومن انذاره

ما رواه معاذ بن جبل قال بعثني رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى اليمن فخرج معي
يوصيني فلما فرغ قال يا معاذ انك عسى
ان لا تلقاني بعد هذا ولعلك تمر بمسجدي
ومنبري فبكا معاذ ثم التفت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاقبل بوجهه نحو المدينة
وقال ان اهل بيتي هاولا يرون انفسهم
اولى الناس بي وليس كذلك ان اولى الناس
بي المتقون من كانوا وحيث كانوا اللهم اني
لا احل لهم فساد ما اصلحت **ومن انذاره**
ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال

كنت قاعدا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اقبل عثمان فلما دنا منه قال
يا عثمان تقتل وانت تقراء سورة البقرة تقع
قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله يغبطك
اهل المشرق والمغرب وتبعث يوم القيمة
اميرا على كل مخذول ومن انذاره
ما رواه جابر بن عبد الله قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من احب ان
ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض
فلينظر الى طلحة بن عبيد الله ومن انذاره
ما روى انه قال لفاطمة عليها السلام
انك اول اهل بيتي لحاقا بي ونعم السلف
انا لك فكانت اول من مات بعده من
اهل بيته ومن انذاره
ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لنسائه ليت شعري ايتكن راكبة الجمل
الادبب تخرج فينبحها كلاب الحوءب يقتل عن
يمينها ويسارها قتلى كثير وتنجوا بعد ما كادت
تقتل فقيل ان عايشه وصلت الى مياه
بني عامر ليلا فنبحتها الكلاب فقالت

ماهذا قالوا

مطلب الاخبار بقتل عثمان رضي الله عنه

ماهذا قالوا الحوب قالت ما اظنني الا راجعة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لنا ذات يوم كيف باحداكن اذا انبح عليها
كلاب الحوب ومن انذاره
ماروا ثابت عن الحسن البصري قال كان
الحسن بن علي عليهما السلام يجيئ ورسول
الله صلى الله عليه وسلم ساجد فيجلس
على عنقه فاذا اراد ان يرفع راسه اخذه
فوضعه في حجره ثم قال ان ابني هذا سيد
وان الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين
من المسلمين ومن انذاره
ماروا عروة عن عايشة قالت دخل الحسين
ابن علي عليهما السلام على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يوحى اليه فبرك
على ظهره وهو منكب ولعب على ظهره فقال
جبريل يا محمد ان امتك ستفتن بعدك
ويقتل ابنك هذا من بعدك ومد يده
فاتاه بتربة بيضا فقال في هذه الارض
يقتل ابنك هذا اسمها الطف فلما ذهب
جبريل خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى اصحابه والتربة في يده وفيهم

ابو بكر وعمر وعلي وخديجة وعمار وابو
ذر رضي الله عنهم وهو يبكي فقالوا ما
يبكيك يا رسول الله صلى الله عليك
فقال اخبرني جبريل ان ابني الحسين يقتل
بعدي بارض الطف فجائني بهذه التربة
واخبرني ان فيها مضجعه **ومن انذاره**
ان الحجاج لما قتل عبد الله بن الزبير دخل
على امه اسما بنت ابي بكر فقال لها
ان امير المؤمنين اوصاني بك فهل لك
من حاجة قالت ما لي من حاجة لكن انتظرني
حتى احدثك شيئا سمعته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول تخرج
من ثقيف كذاب ومبير اما الكذاب فقد
رايناه يعني المختار واما المبير فانت فقال
الحجاج انا مبير المنافقين **ومن انذاره**
ما رواه عبد الملك بن عمير قال قال معويه
والله ما حملني على الخلافة الا قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم لي يا معويه اذا
وليت فاحسن **ومن انذاره**
ما رواه عبد الله بن عباس عن ابيه رضي
الله عنهما ان النبي صلى الله عليه

وسلم نظر

وسلم نظر اليه مقبلا فقال هذا ابو
عمي ابو الخلفا الاربعين اجود قريش كفا
وان من ولده السفاح والمنصور والمهدى
ياعم بي فتح الله هذا الامر وبرجل من
ولدك يختم الى اكثر من نظاير هذا

الباب الثالث عشر

في معجزة ما ظهر من البهايم

اذا كان الاعجاز خارقا للعادة لم يمتنع فيه
ظهور ما خالفها واذا كانت البهايم مسلوبة
الافهام مفقودة الكلام فليس بمستنكر
اذا اراد الله بها اظهار معجزات يعطيها
من المعرفة ان تنطق بما الهمها وتخبر مما
علمها ثم يسلبها ذلك فتعود الى طبعها
كمعجزة موسى عليه السلام في العصا ان
صارت حية تسعى لتكون باهر الايات
قاهر المعجزات **فمن اياته**

ان رجلا كان في غنمه يرعاها فغفلها ساعة
من نهاره فجاءه ذيب فاخذ منها شاة
فاقبل يلهف فطرح الذيب الشاة ثم كلمه
بكلام فصيح فقال الرجل تالله ما رايت
كاليوم عجبا فكلمه الذيب وقال انتم اعجب

وفي شانكم عبرة هذا محمد يدعوا الى الحق ببطن مكة وانتم لاهون عنه فهدى الرجل لرشده واقبل حتى اسلم وحدث القوم بقصته وبقي لعقبه شرف يفخرون به على العرب ويقول مفتخرهم انا ابن مكلم الذيب

ومن اياته

ما رواه ابو سعيد الخدري قال بينا راع يرعى في الحيرة اذ جاء ذيب الى شاة من غنمه فانتهزها فحال الراعي بين الذيب والشاة فاقعى الذيب على ذنبه وقال للراعي الا تتقي الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله الي فقال الراعي العجب من ذيب يقعي على ذنبه يكلمني بكلام الانس فقال له الذيب الا احدثك باعجب من هذا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بانبا ما قد سبق فاخذ الراعي الشاة فاتى بها المدينة واتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فخرج الى الناس وقال للراعي قم وحدثهم فقام فحدثهم فقال صدق الراعي وكان اسمه عمير الطاي فسمي

مكلم الذيب

بتكلم الذيب ومن اياته ح ت
ماروى بن عمر عن ابيه عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان فى محفل من
اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا وجعله
فى كمه ليذهب به الى فيأكله فلما راى
الجماعة قال ما هذا قالوا النبي
صلى الله عليه وسلم فجاء يشق الناس
وقال واللات والعزى ما احد ابغض الي منك
ولولا ان تسميني قومي عجولا لعجلت فقتلتك
فقال عمر يا رسول الله دعني اقوم فاقتله
فقال يا عمر اما علمت ان الحليم كاد ان يكون
نبيا ثم قال للاعرابي ما حملك على ما قلت
فقال واللات والعزي لا اومن بك حتى يومن
بك هذا الضب فاخرج الضب من كمه
فطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا ضب فاجابه الضب بلسان عربي
مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك
يا زين من يوافى يوم القيمة قال من تعبد
قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض
سلطانه وفى الجنة رحمته وفى

النار عقابه قال فمن انا يا ضب قال رسول
الله صلى الله عليك انت رسول رب
العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك
وقد خاب من كذبك فقال الأعرابي لا اتبع
اثرا بعد عيني والله لقد جيئتك وما
على ظهر الأرض احد ابغض الى منك وانك
اليوم احب الى من نفسى ومن ولدى ووالدي
واني لأحبك بداخلي وخارجي وسرا وسري
وعلانيتي اشهد ان لا اله الا الله وانك
محمد رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم
الحمد لله الذى هداك بي ان هذا الدين
يعلوا ولا يعلى فرجع الأعرابي الى قومه
فاخبرهم بالقصة وكان من بني سليم
فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الف انسان منهم فامرهم ان يكونوا تحت
راية خالد بن الوليد ولم يؤمن من العرب
الف فى وقت واحد غيرهم ومن اياته
مارواه انس بن مالك قال دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم حايطا للأنصار ومعه
ابو بكر رضي الله عنه وعمر وفى الحايط
عنز فسجدت له فقال ابو بكر رضي الله عنه

يا رسول الله

يا رسول الله كنا نحن احق بالسجود لك
من هذه العنز فقال انه لا ينبغي ان
يسجد احد لأحد ولو كان ينبغي ان
يسجد احد لأحد لأمرت المرأة أن
تسجد لزوجها ومن اياته
ما رواه عبد الله بن ابي اوفى قال بينما نحن
قعود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ اتاه آت فقال يا رسول الله ناضح بني فلان
قد دبر عليهم قال فنهض ونهضنا معه فقلنا
يا رسول الله لا تقربه فانا نخافه عليك
فدنا من البعير فلما رآه البعير سجد له
فوضع يده على راس البعير وقال هات
السكان فوضعه في راسه واوصى به
خيرا ومن آياته
انه بينما هو جالس في اصحابه اذا هو بجمل
قد اقبل له رغا فوقف فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتدرون ما يقول هذا انه
ليقول اني لآل فلان لحي من الخزرج استعملوني
وكدوني حتى كبرت وضعفت فلما لم يجدوا
في حيلة يريدون ذبحي فانا استغيث بك
منهم فاوقفه رسول الله صلى الله عليه

و وسلم وبعث اليهم فاستوهبه منهم فوهبوه
له وخلاه فى الحي **ومن اياته**
ما روى جبير بن مطعم قال كنا جلوسا عند
صنم لنا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشهر فنحرنا جزورا فسمعنا صائحا
يصيح اسمعوا الى العجب ذهب استراق
السمع لنبي بمكة اسمه احمد مهاجرته الى
يثرب فكان هذا الأمر من الآيات المنذرة
والاثار المبشرة **ومن اياته**
ما رواه عن مكحول قال بينا اهل ذريح حي
من العرب عرب اليمن فى مجلسهم اذا اقبل عجل
فتبسم وقال اهل ذريح امر نجيح ببطن مكة
يصيح بلسان فصيح شهادة ان لا اله الا الله
فاجيبوه قال وفيه نزل قوله تعالى ربنا
اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان امنوا بربكم
فامنا فان قيل فيجوز ان يكون ما يسمع من
كلام البهايم كالصدى يحكى كلام المتكلم فيظنه
السامع كلام الصدى وهو كلام المتكلم ويكون
ذلك بقوة يحدثها الله تعالى فى المتهي لذلك
تخفى عن الاسماع والابصار ففيه جوابان
احدهما ان الصدى يحكى كلاما مسموعا اذا قابله

قبل صوته

فبل صوته فحكاه وليس كلام البهيمة مقابلا
لكلام يحكيه فامتنع التشاكل والثاني
ان القوة المهياءة لذلك ليست من جنس
قوى البشر فلا يكون في التفاضل اعجاز وانما
هي خارجة عن جنس قواهم تخرج عن قدرتهم
وما خرج عن قدرة البشر كان معجزا الوضح
هذا الاعتراض فبطل به الاعتراض

الباب الرابع عشر

فى ظهور معجزة من الشجر والجماد

ولئن كانت المعارف من الجمادات ابعد والكلام
منها اعزب فليس بمستبعد ولا مستغرب
ان يحدث الله تعالى فيها من الأيات الخارجة
عن العادة ما يجح الله من استبصر ويمد به
من استنصر **فمن اياته**
ماحكاه اهل النقل عن علي بن ابي طالب عليه
السلام انه لما خطب على الناس خطبته المعروفة
بالفاصعة فقال فيها الحمد لله الذى هو به
العالم بمضمرات القلوب ومحجوبات الغيوب
ايها الناس اتقوا الله ولا تكونوا لنعمه عليكم
اضدادا ولا لفضله عندكم حسادا ولا تطبعوا
اساس الفسوق واخلاس العقوق فان الله

يختبر عباده المستكبرين باوليائه المستضعفين في أنفسهم الاترون انه اختبر الأولين من لدن آدم الى الآخرين من هذا العالم بانواع الشدائد وتعبيدهم بالوان المجاهد ليجعل ذلك ابوابا فتحا الى فضله واسبابا ذللا لعفوه فاحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات سوء الأفعال وذميم الأعمال إن تكونوا امثالهم فلقد كانوا على احوال مفطرية وافعال وايدي مختلفة وجماعة متفرقة في بلاد ازل واطباق جهل من بنات موؤدة واصنام معبوده وارحام مقطوعه وعارات مشونه فانظروا مواقع نعم الله عليهم حين بعث اليهم رسولا كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها واسالت لهم جداول نعيمها فهم حكام على العالمين وملوك في اطراف الأرضين يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم ويمضون الأحكام على من كان يمضيها فيهم ولقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد لقاه الملأ من قريش فقالوا يا محمد انك قد ادعيت عظيما لم يدعه اباؤك ولا احد من اهل بيتك ونحن نسألك امرا ان اجبتنا اليه واريتناه علمنا انك نبي

ورسول وان

ورسول وان لم تفعل علمنا انك ساحر كذاب
قال لهم وما تسالون قالوا تدعوا لنا هذه
الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين
يديك فقال صلى الله عليه وسلم ان الله
على كل شيء قدير فان فعل الله لكم ذلك
اتؤمنون وتشهدون بالحق قالوا نعم قال فاني
ساريكم ما تطلبون واني اعلم انكم لا تفيئون
الى خير وان منكم من يطرح في القليب
ومن يحزب الاحزاب ثم قال يا ايتها الشجرة
ان كنت تؤمنين بالله واليوم الاخر وتعلمين
اني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي
بين يدي باذن الله قال علي عليه السلام
والذي بعثه بالحق لقد انقلعت بعروقها
وجاءت ولها دوي شديد حتى وقفت بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فوقه والتف بعضها الاعلى عليه وبعض
اغصانها على منكبي وكنت عن يمينه فلما
نظر القوم الى ذلك قالوا علوا واستكبارا
فمرها فلياتك نصفها ولبيقى نصفها فامرها
بذلك فاقبل نصفها كاعجب ما يكون اقبالا
واشده دويا فكادت تلتف برسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال لو اكفرا وعتوا فمر
هذا النصف فليرجع الى نصفه كما كان فامره
فرجع فقلت لا اله الا الله وانا اول مؤمن
بك يا رسول الله واول من آمن بان الشجرة
فعلت بامر الله تصديقا لنبوتك واجلالا
لكلمتك فقال القوم كلهم بل ساحر كذاب
عجيب السحر وهل يصدقك في امرك الا مثل
هذا يعنوني وهذا احكاه خطيبا على الاشهاد
وقل ان يخلوا اجمع مثله ممن يعرف حق ذلك من
باطله فكانوا بالموافقة اجمعين على صحته
ولولاه لظهر الرد وان ندروا وهذا من ابلغ
آية واظهر اعجاز **ومن اياته**
ما رواه عبد الله بن بريدة عن ابيه قال جاء
اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا محمد هل من آية فيما تدعوا اليه قال
نعم آية تلك الشجرة فقل لها رسول الله يدعوك
فمالت عن يمينها وشمالها وبين يديها
فتقطعت عروقها ثم جات تخد الارض حتى
وقفت بين يديه فقال الاعرابي ائذن لي
اسجد لك قال لو امرت لاحد ان يسجد
لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قال

فقال الاعرابي مرها ان ترجع الى منبتها فرجعت الى منبتها صح

قال فاذن

قال فأذن لي اقبل يديك ورجليك فأذن له

ومن اياته

ما رواه يعلى بن شبابة قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأراد ان يقضي حاجته فأمر وديتين فانضمت احدهما الى الأخرى ثم امرهما بعد قضاء حاجته ان يرجعا الى منبتهما فرجعتا

ومن آياته

ما رواه علي بن ابي طالب عليه السلام قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا قال السلام عليك يا رسول الله

ومن اياته

انه مر في غزوة الطائف في كثير من طلح فمشى وهو وسن من النوم فاعترضته سدرة فانفرجت السدرة له بنصفين فمر بين نصفيها وبقيت السدرة منفرجة على ساقين الى قريب من اعصارنا هذه وكانت معروفة بذلك في مكانها يتبرك بها كل مار ويسمونها سدرة النبي عليه الصلاة والسلام

ومن اياته

ما رواه سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة قال صعد النبي صلى الله عليه وسلم حرآ ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن

والزبير وطلحة وسعيد فتحرك الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اسكن حرا فليس عليك الا نبي او صديق او شهيد فسكن الجبل

ومن اياته

ما رواه جابر بن عبد الله قال كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال لم يكن يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه قد سلكه من طيب عرفه ولم يكن يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا سجد له

ومن اياته

ما رواه ثابت عن انس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ كفا من حصى فسبحن في كفه حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في ايدينا فما سبحن في ايدينا

ومن اياته

ما رواه جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي

ومن اياته

ان عكاشة بن محصن انقطع سيفه بيده يوم بدر فدفع اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة من خشب وقال قاتل بها الكفار يا عكاشة فتحولت سيفا في يده فكان يقاتل

بها من

بها حتى قتله لطلحة فى الرده **ومن اياته**
انه كان يخطب الى جذع كان يستند اليه
فلما اتخذ منبرا تحول عن الجذع فحن اليه
الجذع حتى ضمه اليه فسكن **ومن اياته**
ان مكرز العامري اتاه فقال هل عندك من برهان
يعرف به انك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدعا بتسع حصيات فسبحن فى يده من
جمودها فسمع نغماتها وهذا ابلغ من احيا
عيسى عليه السلام الموتى **ومن اياته**
انه لما حاصر الطايف سموا له جذعة فكلمه
منها الذراع وقال لا تاكلني فانى مسمومة
وهذا نظير احياء الموتى ايضا **ومن اياته**
انه اول ما اوحي اليه لم يمر بحجر ولا مدر الا
سلم عليه بالنبوة وهذا نظير قول الله
تعالى لداود يا جبال اوبي معه والطير
ومن اياته ما رواه حمزه بن عمرو
الأسلمي قال نفرنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى ليله ظلما فاضات اصابعه
ومن اياته
ما رواه ابراهيم عن علقمة عن عبد الله بن
مسعود قال انكم تعدون الأيات عذابا

وانا كنا نعدها على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بركة لقد كنا
ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الطعام فنحن نسمع تسبيح الطعام فان قيل
فقد يجوز ان يتخيل ذلك للناظر كما يتخيل
لراكب السفينة سير النخل والشجر فعنه
جوابان احدهما انه وان تخيل ذلك لراكب
السفينه فهو غير متخيل لغيره من قايم
وقاعد وهذا متحقق عند كل مشاهد
على اختلاف احواله والثاني ان راكب السفينة
يعلم انه تخيل غير معلوم وهذا معلوم
غير متخيل فان قيل فقد يجوز ان يكون
في خواص الجواهر ما يجذب النخل والشجر
كما في خاص حجر المغناطيس ان يجذب
الحديد فعنه جوابان احدهما انه قد
علم خاصه حجر المغناطيس فظهر ولم يعلم
ذلك في غيره فلم يوجد ولو كان ذلك
موجودا لكان الملوك عليه اقدر ولكان
مدخورا في خزاينهم كادخار كل شيئ مستغرب
ومستظرف ولجاز ادعا مثله في قلب الأعيان
وابطال الحقايق والثاني انه لو كان ذلك

خاصيه

لخاصية الجوهر ما دنا وكان بظهوره جاذبا
وبملاقاته للنخل والشجر فاعلا ولا ينقل
اليه من غيره وعنه الى غيره وكل هذا فيه
معدوم وان كان في حجر المغناطيس موجودا

الباب الخامس عشر

في بشائر الأنبياء بنبوته

ان الله تعالى عوننا على اوامره واغنانا عن
نواهيه وكان انبياء الله تعالى معانين على
تاسيس النبوة بما تقدمه من بشائرها
وبديه من اعلامها وشعائرها ليكون
السابق مبشرا ونذيرا واللاحق مصدقا وظهيرا
فيدوم بهم طاعة الخلق وينتظم بهم
استمرار الحق وقد تقدمت بشائر من
سلف من الأنبياء بنبوة محمد صلى الله عليه
وسلم بما هو حجة على اممهم ومعجزة تدل على
صدقه عند غيرهم بما اطلعهم الله تعالى
على غيبه ليكون عونا للرسول وحثا على
القبول

فمن ذلك

بشائر موسى عليه السلام في التوراة فاولها
في الفصل السابع من السفر الأول لما هربت
هاجر من سارة تراايا لها ملك وقال يا هاجر

امة سارة ارجعي الى سيدتك فاخضعي
لها فان الله سيكثر زرعك وذريتك
حتى لا يحصوا كثرة وها انت تحبلين وتلدين
ابنا وتسمينه اسمعيل لان الله تعالى
قد سمع خشوعك وهو يكون عين الناس
وتكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة
اليه بالخضوع وهذا لم يكن في ولد اسمعيل
الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لانهم كانوا قبله مقهورين فصاروا به
قاهرين ومنها
قوله في هذا السفر لابراهيم حين دعاه
في اسمعيل وباركت عليه وكثرته وعظمته
جدا جدا وسيلد اثنى عشر عظيما واجعله
لامة عظيمة وليس في مولد اسمعيل من
جعله لامة عظيمة غير محمد صلى
الله عليه وسلم ومنها
في الفصل الحادي عشر من السفر الخامس عن
موسى عليه السلام ان الرب الهكم قال
اني اقيم لهم نبيا مثلك من بين اخوتهم
اجعل كلامي على فمه وايما رجل لم يسمع
كلماتي التي يؤديها عني ذلك الرجل باسمي

فانا انتقم

فانا انتقم منه ومعلوم ان اخا بنى اسرائيل
هم بنوا اسمعيل وليس منهم من ظهر كلام
الله على فمه غير محمد صلى الله عليه وسلم

ومنها فى الفصل العشرين

من هذا السفر ان الرب جاء من طور سينا
واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران
ومعه وعن يمينه ربوات القديسين
فمنعهم العز وحببهم الى الشعوب ودعا
لجميع قديسيه بالبركة فمجيئ الله من
طور سينا هو انزاله التوراة على موسى
واشراقه من ساعير انزاله الانجيل على
عيسى لانه كان سكن فى ساعير ارض
الخليل فى قرية ناصرة واستعلانه من
جبال فاران انزاله القران على محمد صلى الله
عليه وسلم وفاران هي جبال مكة فى قول
الجميع فان نكروا كان دفعا لما فى التوراة لانه
لم يستعل الدين كاستعلانه منها فاندفع
الانكار بالعيان

فصل فى البشائر

كان بين موسى وعيسى من الانبياء
الذين اوتوا الكتب باتفاق اهل الكتابين
عليهم ستة عشر نبيا ظهرت كتبهم فى

بني اسرائيل فبشر كثير منهم بنبوة محمد
صلى الله عليه وسلم فمنهم

شعيا بن أموص

قال في الفصل الثاني والعشرين قومي فازهري
مصباحك يعني مكة فقد دنا وقتك
وكرامة الله طالعة عليك وقد تجلل
الأرض الظلام وغطا على الأمم الضباب
والرب يشرق عليك اشراقا ويظهر كرامته
عليك تسير الأمم الى نورك والملوك الى
ضوء طلوعك ارفعي بصرك الى ما حولك وتأملي
فانهم يتجمعون عندك ويحجونك وياتيك
ولدك من بلد بعيد وتسرين وتبتهجين
من اجل انه يميل اليك ذخاير البحر ويحج
اليك عساكر الأمم حتى تعمرك الإبل المؤبلة
وتضيق ارضك عن القطرات التي تجتمع اليك
تساق اليك كباش مدين وياتيك أهل
سبا يحدثون بنعم الله ويمجدونه وتسير
اليك اغنام قيدار يعني غنم العرب لأنهم
من ولد قيدار بن اسمعيل ويرتفع الى
مذبحي ما يرضيني واحدث حينئذ لبيت
محمد لي حمدا وهذه الصفات كلها موجودة

بمكة

بمكة فكان ما ادعى اليها هو الحق ومن قام
فيها هو المحق ومن فصل آخر من كلامه
قال لي الرب امض فاقم على المنظرة تخبرك
بما ترى فرأى راكبين احدهما راكب حمار يعني
عيسى والآخر راكب جمل يعني محمد فبينا
هو كذلك اذا اقبل احد الراكبين وهو يقول
هوت بابل وتكسرت الهتها المنجورة على
الأرض فهذا الذي سمعت الرب اله
بني اسرائيل قد انباتكم

وفي الفصل السادس عشر

لتفرح له البادية العطشى ولتبتهج البراري
والفلوات ولتسر وتزهر مثل الوعل فانها
ستعطى باحمد محاسن الشان وتحمل حسن
الدساكر والرياض وسيرون جلال الله
بها الأنبيا قال شعيا وسلطانه على كتفه
يريد علامة نبوته على كتفه وهذه
صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبادية الحجاز

وفي الفصل السابع عشر منه

هتف هاتف من البدو فقال خلو الطريق
للرب وسهلوا الطريق لالاهنا فيمتلى الأودية
مياها وتفيض فيضا وتنخفض الجبال انخفاضا

وتصير الاكام دكال والأرض الوعرة مذ لله
ملسا ونظهر كرامات الرب ويراها كل احد

وفي الفصل العشرين منه

وهو مذكور في الثالث وخمسين ومايه من
مزامير داود ليرتاح البوادي وقراها ولتصير
ارض قيدار مروجا وتسبح سكان الكهوف
وليهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب وليرفعوا
تسابيحه فان الرب يأتي كالجبال المتلظي
للتكبر فهو يزجر ويقتل اعداءه وارض قيدار
هي ارض العرب لانهم ولد قيدار والمروج
ما صار حول مكة من النخل والشجر والعيون

وفي الفصل العشرين منه ايضا

ان الضعفاء والمساكين يستسقون ماء ولا
ماء لهم فقد جفت السنتهم من الظمأ وانا
الرب اجيب يومئذ دعوتهم ولن أهملهم بل
افجر لهم في الجبال الأنهار واجري بين القفار
العيون واحدث في البد واجاما واجري في
الأرض العطشى ماء معينا وانبت في البلاقع
القفار الصنوبر والآس والزيتون وأغرس
في القاع الصفصف البر ليروها جميعا ثم
يتدبروا ويعلموا ان يد الله صنعت ذلك

وقدوس

وقدوس اسرائيل ابتدعته وهذه
صفات بلاد العرب فيما احدث الله لهم
فيها باسلامهم والله اعلم

فصل من كتاب يوبال بن يوثال

ومن بشائر يوبال بن يوثال من انبياء بني يوثال
اسرائيل مثل الصبح المتسلط على الجبال
شعب عظيم عزيز لم يكن مثله الى ابد الأبد
امامه نار تاجج وخلفه لهيب وتلتهب
الأرض بين يديه مثل فردوس عدن فاذا
جاز فيها وعبرها تركها خاويه برويته
كرويه الخيل رجالته سراع مثل الفرسان
اصواتهم كصوت لهب النار الذي تحرق الهشيم
رجفت الأرض امامهم وتزعزعت السماء
واظلمت الشمس وغاب نور النجوم والرب
اسمع صوتا بين يدي اجناده لأن عسكره
كثير جدا وعمل قوله عزيز لأن نور الرب
عظيم مرهوب جدا وهذا نعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فصل
من بشائر عويديا من انبياء بني اسرائيل
وفي كتابه قد سمعنا خبرا من قبل الرب
وارسل رسولا الى الشعوب قم فنقوم اليه

بالحرب ايها الساكن في مجرى الكهف ومحله
في الموضع الأعلى لأن يوم الرب قريب
من جميع الشعوب كما صنعت كذلك يصنع
بك وهذا مرموز في نبوته **فصل**
من بشائر ميخا من انبيا بني اسرائيل في
كتابه فاما الآن فيسلمهم الى الوقت الذي
يلد فيه الوالدة ويقوم في يرعاهم بعين الرب
وبكرامة اسم الله ربه ويقبلون بهم
الى من سيعظم سلطانه الى اقطار الأرض
ويكون على محمدة الأسلام **فصل**
من بشائر حنقوق من انبيا بني اسرائيل
في كتابه جاء الله من طور سينا واستعلن
القدوس من جبال فاران وانكسفت اليها
محمد وانخسفت من شعاع المحمود وامتلأت
الأرض من محامده ~~لارتفاع~~ لأن شعاع
منظره مثل النور ~~بها~~ يحفظ بلده بصره
تسير المنايا امامه ويصحب سباع الطير
اجناده قام فمسح الأرض وتامل الأمم بحث
عنها فتضعضعت الجبال القديمة واتضعت
الروابي الدهرية وتزعزع سور ارض مدين
ولقد حاز المساعي القديمة قطع الراس من

بلبت الأثيم

بيت الأثيم ودمعت روس سلاطينه
بغضبه ومعلوم ان محمدا ومحمود صريح في
اسمه وهما يتوجهان الى من انطلق عليه
اسم الحمد وهو بالسريانية مشيحا اي
محمد ومحمود ولهذا اذا اراد السرياني ان
يحمد الله تعالى قال شريحا لاهيا فصل
من بشائر حزقيال من انبياء بني اسرائيل
في كتابه ان الذي يظهر من البادية فيكون
فيه صنف اليهود كالكرمه اخرجت ثمارها
واغصانها عن مياه كثيره وتفرعت منها
اغصان مشرفة على اغصان الأكابر
والسادات وبسقت فلم تلبث تلك
الكرمة ان خلعت بالسخطه وضرب بها
على الأرض فاحرقت السماء ثم ثمارها
واتت نار فاكلتها ولذلك غرس في
البدو وفي الأرض المهمله المعطله العطشى
وخرج من اغصانه الفاضلة نار فاكلت
ثمار تلك حتى لم يبق منها غصنا قوية ولا
قضيب ينهض بامر السلطان فصل
من بشائر صفنيا من انبياء بني اسرائيل
في كتابه ايها الناس رجوا اليوم الذي اقوم

فيه للشهادة فقد حان ان اظهر حكمي بحشر
الأمم وجميع الملوك لأصب عليهم سخطي ونكيري
هناك احدد للأمم اللغة المختارة ليدعوا اسم
الرب جميعا وليعبدوه في ربقة واحدة معاً
وليأتون بالذبائح من مغاراتها ركوس ومعلوم ان
اللغة العربية هي المختارة لأنها قد طبقت
الأرض واستقلت أكثر اللغات اليها حتى صار
ماعداها نادرا

فصل

من بشائر زكريا بن يوحنا من انبيا بني اسرائيل
في كتابه رجع الملك الذي ينطق على لساني
وانقظني كالرجل الذي يستيقظ من نومه وقال
لي ما الذي رأيت فقلت رأيت منارة من ذهب
وكفه على راسها ورأيت على الكفه سبعة
سرج لكل سراج منها سبعة افواه وفوق الكفة
شجرتا زيتون احداهما عن يمين الكفة والأخرى
عن يسارها فقلت للملك الذي ينطق على لساني
ما هذا يا سيدي فرد الملك علي وقال لي اما تعلم
ما هذه فقلت ما اعلم فقال لي هذا قول الرب
في زربابال يعني محمدا وهو يدعوا باسمي وأنا
أستجيب له للنصح والتطهير واصرف عن الأرض
انبيا الزور والأرواح النجسة لا بقوة ولا بعز

ولكن بروحي

ولكن بروحي يقول الرب القوى ويعنى شجرتي
الزيتون الذين والملك وزريا بال وهو محمد
صلى الله عليه وسلم فصل
من بشاير دانيال من انبياء بنى اسرائيل
فى كتابه رأيت على سحاب السماء كهيئه
انسان حيا فانتهى الى عتيق الأيام وقدموه
بين يديه فخول الملك والسلطان والكرامة
أن تتعبد له جميع الشعوب والأمم واللغات
سلطانه دايم الى الأبد له يتعبد كل سلطان
بمضى الفان وثلثمايه تنقضى عقاب الديون
يقوم ملك منيع الوجه فى سلطانه عزيز
القوة لاتكون عزته تلك بقوة نفسه وينجح
فيما يريد ويجور فى شعب الأطهار ويهلك
الأعزا وثوبا بالحق الذى لم يزل قبل العالمين
وفى هذا دليل على امرين احدهما صدق الخبر
لوجوده على حقه والثانى صحة نبوته لظهور
الخبر فى صفته فصل
ومن بشايره فى رؤيا بختنصر وهو ان بختنصر
رأى فى السنة الثانية من ملكه رؤيا ارتاع
منها ونسيها فأحضر من فى ممالكه من الكهنة
والمنجمين وكان قد ملك الأقاليم السبعة

وسالهم عن الرؤيا وتاويلها فقالوا له اذكرها
لنا حتى نذكر تاويلها فامر بقتلهم ان لم يذكروها
وتاويلها وكان دانيال النبي قد سباه من اليهود
فاستمهل في امرهم ورغب الى الله تعالى في اطلاعه
على الرؤيا وتاويلها فاطلعه الله تعالى على
ذلك فاتى بختنصر فقال ايها الملك انك كلفت
هولا مالا يعلمه الا الله وقد رغبت اليه فاطلعني
عليه ورؤياك التي رايتها ان قلبك جاش
واختلج بما يحدث بعدك في آخر الزمان فعرفك
مبدى السراير ما يكون انك ايها الملك رأيت
صنما عظيما قايمًا قبالتك له منظر رايع راسه
من الذهب الأبريز وصدره وذراعاه من فضة
وفخذاه من نحاس وساقاه من حديد وبعض
رجليه من حديد وبعضها من خزف ورأيت
حجرا انقطع من جبل عظيم بغير يد انسان وضرب
ذلك الصنم فهشمه حتى صار كالرماد الوت به
ريح عاصف امتلأت منه الأرض كلها فهذه
الرؤيا وانا معبرها اما الصنم فهم الملوك فأنت
الرأس الذهب ويقوم من بعدك من هو دونك
البن منك فاما المملكه الثالثة التي هي مثل
النحاس فتسلط على الأرض واما المملكة الرابعة

التي هي

التي هي مثل الحديد فتكون عزيزة كما ان الحديد
يهشم الجميع فكذلك هذه تسحق وتغلب
الكل واما الأرجل والأصابع التي رأيت ان
منها من خزف الفخار ومنها من حديد فان المملكة
تكون مختلفة متفرقة يكون منها اصل من جوهر
الحديد وخلط من خزف الفخار فيكون بعض
المملكة قويا وبعضها واهيا كسيرا لا يأتلف
بعضها ببعض كما لا يختلط الحديد بالخزف فاما
الحجر الواقع من الجبل فان اله السماء يرسل
مملكة من عنده لانه لم يقطع الحجر يد انسان
في زمان هذه الممالك يهلكها ويبقى الى آخر
الدهر ولا يكون لأمة أخرى مملكة ولا سلطان
الا وقته كما يدق الحجر الحديد والنحاس والفضة
والذهب فعرفك الله العظيم ما يكون بعدك
آخر الأيام وهذه رؤياك وتأويلها فخر بختنصر
ساجدا على وجهه لدانيال وقال ان الهكم هذا
اله الالهة ورب الأملاك حقا وهو مبدي
السرائر وجعل دانيال رأسا مؤمرا على ارض
بابل ومعلوم انه لم يرسل سلطانا ازال به
الممالك وملا به الأرض ودام له الأمر الا نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم فصل

من بشاير ارميا بن برحيا من انبيا بني اسرائيل
فى ايام بختنصر لما قتل اهل الرس بينهم قال بن
عباس رضي الله عنه امر الله تعالى ان يامر ها
بختنصر ان يغزوا العرب الذى لا اعلاق لبيوتهم
فيقتلهم بما صنعوا بنبيهم فأمره بذلك فدخل
بختنصر بلاد العرب فقتل وسبا حتى انتهى
الى تهامه فأتى بمعد بن عدنان فأمر بقتله
فقال له النبي لا تفعل فأن فى صلب هذا نبيا
يبعث فى آخر الزمان يختم الله به الأنبياء
فخلى سبيله وحمله معه حتى اتى حصونا باليمن
فهدمها وقتل اهلها وزوج معدا باجمل
امراءة منهم فى زمانها وخلفه بتهامة حتى
نسل بها قال بن عباس رضي الله عنه وفى
ذلك نزل قوله تعالى وكم قصمنا من قرية
كانت ظالمة وانشأنا بعدها قوما آخرين

فصل

من بشاير داود فى الزبور فسبحان الله الذى
هياكله الصالحون لفرح اسرائيل بخالقه وبيوت
صيلون من اجل ان الله اصطفى له امة واعطاه
النصر وسدد الصالحين منه بالكرامة ليسبحونه
على مضاجعهم فيكبرون الله باصوات مرتفعة
بايديهم

بأيديهم سيوف ذوات شفرتين لينتقموا من
الأمم الذي الذين لا يعبدونه يوثقون ملوكهم
بالقيود واشرافهم بالأغلال ومعلوم أن
سيوف العرب هي ذوات الشفرتين ومحمد عليه
السلام هو المنتقم بها من الأمم وفيه ان الله
اظهر من صيفون اكليلا محمودا وصيفون العرب
والأكليل النبوة ومحمود هو محمد صلى الله عليه
وسلم وفي مزمور آخر منه أنه يجوز من بحر الى
البحر ومن لدن الأنهار الى الأنهار الى منقطع
الأرض وان بحر اهل الجزاير بين يديه على
ركبهم وتلحس اعداءه التراب تاتيه الملوك
بالقرابين وتسجد له وتدين له الأمم
بالطاعة والأنقياد لأنه يخلص المضطهد
البايس ممن هو اقوى منه وينقذ الضعيف
الذي لا ناصر له ويرأف بالضعفاء والمساكين
وانه يعطى من ذهب بلاد سبا ويصلى عليه
في كل وقت ويبارك عليه في كل يوم ويدوم
ذكره الى الأبد ومعلوم انه لم يكن هذا الا
لمحمد صلى الله عليه وسلم وفي مزمور آخر منه
قال داود اللهم ابعث جاعل السنة حتى يعلم
الناس انه بشر اي ابعث نبيا يعلم الناس أن

المسيح بشر ليعلم داود ان قوما سيدعون للمسيح
ما ادعوه وهذا هو محمد صلى الله عليه
وسلم

فصل

من بشاير المسيح به في الأنجيل قال المسيح
للحواريين اني انا ذاهب وسيأتيكم البارقليط
روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه الا كما يقال
له وهو يشهد علي وانتم تشهدون لأنكم معي من
قبل الناس فكل شيء اعده الله لكم يخبركم به
وفي نقل يوحنا عنه ان البارقليط لا يجيئكم
ما لم اذهب فاذا جاء وبخ العالم على الخطية ولا
يقول من تلقاء نفسه شيا ولكنه مما يسمع به
يكلمكم ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث
والغيوب وفي نقل آخر عنه ان البارقليط
روح الحق الذي يرسله ابي باسمي وهو يعلمكم
كل شيء اني سائل ابي ان يبعث اليكم بارقليطا
آخر يكون معكم الى الأبد وهو يعلمكم كل شيء
وفي نقل آخر عنه ان البشر ذاهب والبارقليط
بعده يجيء لكم الأسرار ويفسر لكم كل شيء وهو ويقسم
يشهد لي كما شهدت له فأني لا جيئكم بالأمثال
ويأتيكم بالتاويل والبارقليط بلغتهم لفظ من الحمد
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا احمد وأنا

محمود

محمود وانا محمد فهذه من بشاير الأنبيا عن
الكتب الألهية المساصرة بصحة نبوته المتواترة
الأخبار بانتشار دعوته وتأبيد شريعته
ولعل مالم يصل الينا منها اكثر فمنهم من عينه
باسمه ومنهم من ذكره بصفته ومنهم من عزاه
الى قومه ومنهم من اضافه الى بلده ومنهم من
خصه بافعاله ومنهم من ميزه بظهوره وانتشاره
وقد حقق الله جميعها فيه حتى صار جليا
بعد الأحتمال ويقينا بعد الأرتياب فان
قيل مجيئ الأنبياء موضوع لمصالح العالم وهم
مأمورون بالرافة والرحمة ومحمد جاء بالسيف
وسفك الدماء وقتل النفوس وصار منافيا
لما جاء به موسى وعيسى عليهما السلام فزال
عن حكمهما في النبوة بمخالفتهما في السيرة فعنه
ثلاثة اجوبة احدها ان الله تعالى يبعث كل
نبي بحسب زمانه فمنهم من بعثه بالسيف لأن
السيف انجع ومنهم من بعثه باللطف لأن
اللطف انفع كما خالف بين معجزاتهم بحسب ما كا
ازمانهم فبعث موسى بالعصا في زمان السحرة
وبعث عيسى باحياء الموتى في زمان الطب
وبعث محمدا بالقرآن في زمان الفصاحة لأن

الناس فى بدو امرهم يتعاطفون مع القلة ثم يتنافرون
ويتحاسدون مع الكثرة ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نجا اول هذه الأمة
باليقين والزهد ويهلك آخرها بالبخل والأمل
والجواب الثانى ان السيف اذا كان لطلب الحق كان
خيرا واللطف اذا كان مع اقرار الباطل كان شرا
لأن الشرع موضوع لاقرار الفضايل الألهية
والحقوق الدينية ولذلك جاء الشرع بالقتل
فى الحدود ليستقر به الخير وينتفى به الشر لأن
النفوس الأشرة لا يكفيها الا الرهبة فكان
القهر لها ابلغ فى انقيادها من الرغبة وكانت
العرب اكثر الناس شرا وعتوا لكثرة عددهم
وقوة شجاعتهم فلذلك كان السيف فيهم انفع
من اللطف والجواب الثالث انه لم يكن فى
جهاده بالسيف بدعا من الرسل ولا اول من
اثخن فى اعداء الله وقتل هذا ابراهيم جاهد
الملوك الأربعة الذين ساروا الى بلاد الجزيرة
للغارة على اهلها وحاربهم حتى هزمهم باحزابه
واتباعه وهذا يوشع بن نون قتل نيفا
وثلثين ملكا من ملوك الشام واباد من مدنها
مالم يبق له اثر ولا من اهلها صافر من عيران

يدعوهم

يدعوهم الى الدين او يطلب منهم امارة ويساق الغنائم
وغزا داود من بلاد الشام مالم يدع رجلا ولا
امراة الا قتلهم وهو موجود في كتبهم ومحمد
صلى الله عليه وسلم بدا بالاستدعا وحارب
بعد الاباروي بن شهاب عن عروة عن عايشة
رضي الله عنها قالت ما رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط مالم
ينتهك من محارم الله شيء فاذا انتهك من
محارم الله شيا كان اشدهم في ذلك غضبا وما
خير بين امرين الا اختار ايسرهما مالم يكن
ماثما وقد كان صلى الله عليه وسلم احث
الناس على الصفح والتعاطف روى اسيد بن
عبد الرحمن عن فروة بن مجاهد عن عقبة بن
عامر قال لقيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال لي يا عقبة صل من قطعك واعط
من حرمك واعف عمن ظلمك فهل يكون احنى
على الخلق ممن يامرهم بمثل هذا وانما تتطلب
الملحدة بمثل هذا الاعتراض القدح في النبوات
فانهم لم يعفوا نبيا من القدح في معجزته والطعن
على سيرته حتى قال منهم في عصرنا ما طعن
به على موسى وعيسى ومحمد صلى الله

عليه وسلم وعليهم بشعر نظمه فقال

لم فالق البحر لم يفلق جوانبه * اذ ضاع فيه صياع الحر في السفل
ومدع يدعى الأشيا خلقته * ما باله زال والأشيا لم تزل
وآمر يدعى بالسيف حجته * هل حجة السيف الا حجة البطل

فخضري حين وردت هذه الأبيات الى بعض اهل العلم فأجاب عنها فقال

قل للذى جا بالتكذيب للرسل — ورد معجزهم بالزيغ والزلل
وقال فيه ابياتا مزخرفة — ليوقع الناس فى شك من الملل
صياع موسى دليل من ادلته — من بعد ما صار فرق البحر كالجبل
ليعلم الناس ان الله فالقه — وان موسى ضعيف تاه فى السبل
والمعجز الحق فى فلق المياه له — وجعله البر ما يمشى بالجبل
وابن البتول فأن الله نزهه — عما ذكرت من الدعوى على الجمل
ما كان منه سوى طير بعد رته — طينا وربى احياه ولم يزل
وقال انى باذن الله فاعله — واذن ربى يحيى الخلق لا عملى
وصاحب السيف كان السيف حجته — بعد البيان عن الأعجاز والمثل
وجا مبتديا بالنصح مجتهدا — بمعجزات لها مارت اولوا النحل
منها كتاب مبين نظمه عجب — فيه من الغيب ما اوحى الى الرسل
فأفحم الشعرا المفلقين به — لما تحداهم بالرفق فى مهل
وانبع الما عذبا من انامله من — غير ما صخرة كانت ولا وشل
وشارف القوم وافاه وكلمه — وقال انى من قتلى على وجل
والذيب قد اخبر الراعى بمبعثه — فجا يشهد بالاسلام فى عجل

والجذع

والجذع حن اليه حين فارقه ... حنين ذات حوار ساعة الهل
واخبر الناس عما في ضمايرهم ... مفصلا بجواب غير محتمل
والفرس اخبرها عن قتل صاحبها ... برويزا دجاه فيروز في شغل
ونبأ الروم عن نصر يكون لها ... من بعد تسعة اعوام على جدل
وان تقصيت ما جا النبي به ... لطال النشيد ولم امن من الملل

الباب السادس عشر
في هتوف الجن بنبوته عليه السلام

والجن من العالم الناطق المميز يأكلون ويتناكحون ويتناسلون ويموتون واشخاصهم محجوبة عن الأبصار وان تميزوا بافعال واثار الا ان يخص الله تعالى برؤيتهم من يشا، وانما عرفهم الأنس من الكتب الألهية وما تخيلوه من اثارهم الخفية قال الله تعالى فيما وصفه من انشا، الخلق ولقد خلقنا الأنسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم يريد بقوله ولقد خلقنا الأنسان من صلصال آدم ابا البشر عليه السلام وفي الصلصال وجهان احدهما انه الطين النابت والثاني انه الطين الذي لم تمسه النار والحما جمع حماة وفيها وجهان احدهما انه المنصوب القايم فيكون صفة للأنسان والثاني انه ~~المنصوب~~ المنسوب

فيكون تمييز الجنس وقوله والجان خلقناه من
قبل يعني من قبل آدم لأن آدم خلق آخر الخلق
وفي الجان وجهان احدهما انه ابليس والثاني انه
ابن الجن فآدم ابو البشر والجان ابو الجن وابليس
ابو الشياطين وفي قوله من نار السموم وجهان
احدهما من نار الشمس والثاني من نار الصواعق
بين السماء وبين حجاب دونها فلم يختلفوا في ان
الجن يتناسلون ويموتون ومنهم مؤمن ومنهم
كافر واختلف في الشياطين فزعم قوم انهم كفار
الجن يتناسلون ويموتون وزعم آخرون انهم غير
الجن وانهم من ولد ابليس واختلف من قال
بهذا في تناسلهم وموتهم فذهب فريق
الى انهم يتناسلون ويموتون وذهب آخرون
الى انهم كابليس لا يموتون الا معه وان
تناسلهم انقطع بانظار ابليس الى يوم يبعثون
فان انكر قوم خلق الجن ولم يؤمنوا بالكتب الالهية
قهرتهم براهين العقول وحجج القياس لأن الله
تعالى انشاء خلق العالم من اربعة اجرام جعلها
اصولا لما خلق من العالم الحي وهي الأرض والماء
والهواء والنار والعالم نوعان اتفاقا علوي وسفلي
فالعالم السفلي نوعان خلقهما من جرمين احدهما

من الارض

من الأرض وهو ما عليها من الحيوان والثاني من
الماء وهو ما فيه من السموك وهما هابطان
لهبوط الأرض والماء وظاهران لظهور اصلهما
واستمر القياس فيهما وبقي العالم العلوي جرمان
الهواء والنار وقد استقر خلق الملائكة من الهواء
فاقتضى معقول القياس ان يكون خلق الجن من
النار لتكون الأجرام الأربعة اصولا لخلق اجناس
اربعة ولعلو الهواء ما كان عالمه من الملائكة
علويا ولخفائه ما كان خفيا لا يهبط الا عن امر
الاهي ولا يعاين الا بمعونة الاهية ولعلو النار
في اصل هابطة ما كان لعالمه من الجن علوا وهبوطا
ولخفا لكونها خفي عالمها عن العيان الا بمعونة الاهية
فصار اصلان من الأربعة محسوسين بالعيان
وهما على الأرض وفي الماء واصلان معقولين بالقياس
وهما الملائكة والجن ولولا ان دافع ذلك عادل عن
الدلايل الشرعية لما عدلنا عنها الى هذا الاستدلال
الاستدلال الخارج عن البراهين الشرعية

فصل

فاذا ثبت خلق الجن بما دللنا عليه من شرع
ومعقول فهم مكلفون لأن رسول الله صلى الله
عليه وسلم تحداهم بالقرآن بقوله تعالى قل

لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل
هذا القران لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا وقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا
من الجن يستمعون القران وفي صرفهم وجهان
احدهما انهم صرفوا عن استراق سمع السماء
برجوم الشهب ولم يصرفوا عنه بعد عيسى
الا بعد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا ما هذا الحادث في السماء الا لحادث
في الارض وتخيلوا به تجديد النبوة فجابوا الارض
حتى وقفوا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ببطن مكة عامدا الى عكاظ وهو يصلي الفجر
فاستمعوا القران وراوه كيف يصلي ويقتدي
به اصحابه فعلموا ان لهذا الحادث صرفوا عن
استراق السمع برجوم الشهب وهذا قول ابن
عباس رضي الله عنه وحكى عكرمة ان السورة
التي كان يقراؤها اقرا باسم ربك الذي خلق
والوجه الثاني انهم صرفوا عن بلادهم بالتوفيق
هداية من الله تعالى حتى اتوا نبي الله
ببطن مكة نخلة فنزل عليه جبريل بهذه الاية
واخبره بوفد الجن وامره بالخروج اليهم فخرج ومعه
بن مسعود حتى جاء الحجون عند شعب ابى ذر قال

ابن مسعود

ابن مسعود فخط عليه خطا وقال لا تجاوزه ومضى
الى الجحون فانحدروا عليه امثال الحجل العج حتى
لم اره فعلى الوجه الأول لم يعلم بهم حتى أتوه
وعلى الوجه الثاني اعلمه جبريل قبل اتيانهم
واختلف أهل العلم في رؤيته لهم وقرأته
عليهم فحكى سعيد بن جبير عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرهم
ولم يقرا عليهم وانما سمعوا قرأته حين مروا به
مصليا وحكى عن ابن مسعود انه رآهم وقرا
عليهم القرآن وفي قوله فلما حضروه قالوا انصتوا
وجهان احدهما فلما حضروا قراءة القرآن قالوا بعضهم
انصتوا لسماعه والوجه الثاني فلما حضروا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالوا انصتوا لسماع
قوله فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين فيه وجهان
احدهما فلما فرغ من الصلوة ولوا الى قومهم بهم
منذرين به والثاني لما فرغ من قراءة القرآن
ولوا الى قومهم منذرين به وقالوا ما حكاه الله
عنهم انا سمعنا قرآنا عجبا ~~يهدى~~ في فصاحته
وبلاغته والثاني عجبا في حسن مواعظه وفي
قوله يهدى الى الرشد فآمنا به وجهان احدهما
الى مراشد الأمور والثاني الى معرفة الله

تعالى فثبت ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان عام الرسالة الى الانس والجن
فلم يختلف اهل العلم انه يجوز ان يبعث اليهم
رسولا من الانس واختلفوا في جواز بعثة
رسول منهم فجوزه قوم لقول الله تعالى يا معشر
الجن والانس الم ياتكم رسل منكم ومنع آخرون
منه وهذا قول من جعلهم من ولد ابليس وحملوا
قوله الم ياتكم رسل منكم على الذين لما سمعوا
القرآن ولوا الى قومهم منذرين فاما كفارهم
فيدخلون النار واما مؤمنوهم فقد اختلفوا في
دخولهم الجنة ثوابا على ايمانهم فقال الضحاك
ومن جوز ان يكون رسلهم منهم يدخلون الجنة
وحكى سفين عن ليث انهم يثابون على الايمان
بان يجازوا على النار خلاصا منها ثم يقال لهم
كونوا ترابا كالبهايم فاما استراقهم للسمع فقد
كانوا في الجاهلية قبل بعث الرسول يسترقونه
ولذلك كانت في الانس لالقاء الجن اليهم ما — الكهانة صح
ما استرقوه من السمع في مقاعد كانت لهم يقربون
فيها من السماء كما قال الله تعالى وانا كنا نقعد
منها مقاعد للسمع ليستمعوا من الملائكة اخبار
السماء فيلقوها الى الكهنة فمن يستمع الان

يجد له شهابا

يجد له شهابا رصدا يعنى بالشهاب الكواكب المحرقة وبالرصد الملائكة فاما استراقهم للسمع بعد بعث الرسول فقد اختلف فيه اهل العلم على قولين احدهما انه زال استراقهم للسمع ولذلك زالت الكهانة والثاني ان استراقهم للسمع باق بعد بعث الرسول وكان قبل الرسول لا تاخذهم الشهب لقول الله تعالى فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا والذى يستمعونه اخبار الأرض دون الوحي لأن الله تعالى قد حفظ وحيه منهم لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون واختلف على هذا في اخذ الشهب لهم هل يكون قبل استراقهم للسمع او بعده فذهب بعض اهل العلم الى أن الشهب تاخذهم قبل استراق السمع حتى لا يصل اليهم لانقطاع الكهانة بهم وتكون الشهب منعا عن استراقه وذهب آخرون منهم الى ان الشهب تاخذهم بعد استراقهم قه ويكون الشهب عقابا على استراقه وفيها اذا اخذتهم قولان احدهما انها تقتلهم ولذلك انقطعت الكهانة بهم والثاني انها تجرح وتحرق ولا تقتل ولذلك عادوا الاستراقة بعد الاحتراق ولولا

بقاؤهم لانقطع الاستراق بعد الاحتراق ويكون ما يلقونه من السمع الى الجن دون الانس لانقطاع الكهانة عن الانس وفي الشهاب الذي يأخذهم قولان احدهما انه نور يمتد لشدة ضيائه ثم يعود والقول الثاني انه نار تحرقهم ولا تعود فهذا خطب الجن فيما هم عليه من نعت وحكم

فصل

فاما هتوفهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من آيات نبوته فان كان قبل مبعثه حمل على استراق السمع وان كان بعد مبعثه كان من نذر آياته الصادرة عن الهام

فمن هتوفهم

بنبوته ما حكاه ابراهيم بن سلامة عن اسمعيل بن زياد عن بن جريج عن بن عباس رضي الله عنه انه كان يحدث عن رجل من خثعم قال كانت خثعم لا تحل حلالا ولا تحرم حراما وكانت تعبد اصناما فبينا نحن عند صنم منها ذات ليلة نتقاضى اليه في امر قد شجر بيننا اذ صاح من جوف الصنم صايح يقول

يا ايها الركب ذوو الاحكام ما انتم وطايش الاحلام

ومسندو الحكم الى الاصنام هذا نبي يتلوه يصدع بالحق وبالاسلام

هذا نبي

بتلوه يصدع بالحق

هذا نبي سيد الأنام ... اعدل ذي حكم من الأحكام
ويتبع النور على الأظلام ... سيظلف في البلد الحرام
قد طهر الناس من الأثام

قال الخثعمي ففزعنا منه وخرجت الى مكة واسلمت مع النبي صلى الله عليه وسلم

ومن بشائر هتوفهم

ما رواه عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن كعب قال بينما عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ذات يوم جالسا اذ مر به رجل فقيل له اتعرف هذا المار يا امير المومنين قال ومن هو ما قالوا هذا سواد بن قارب رجل من أهل اليمن وكان له رئي من الجن فارسل اليه عمر فقال انت الذي سواد بن قارب قال نعم يا امير المؤمنين فقال انت الذي اتاك رئك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم يا امير المؤمنين بينا انا ذات ليلة بين النائم واليقظان اذ اتاني رئي من الجن فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالي واعقل ان كنت تعقل أنه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لوى بن غالب يدعوا الى الله والى عبادته وأنشأ يقول

عجبت للجن وتطلابها　وشدها العيس باقتابها
تهوى الى مكة تبغي الهدى　ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم　ليس قداماها كاذنابها

فقلت له دعني انام فاني امسيت ناعسا ولم ارفع بما قال راسا فلما كان الليلة الثانية اتاني فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لوى بن غالب يدعو الى الله والى عبادته وانشا يقول

عجبت للجن وتخبارها　وشدها العيس باكوارها
تهوى الى مكة تبغي الهدى　ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم　بين روابيها واحجارها

فقلت دعني فقد امسيت ناعسا ولم ارفع بما قال راسا فلما كانت الليلة الثالثة اتاني فضربني برجله فقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لوى بن غالب يدعو الى الله تعالى والى عبادته وانشا يقول

عجبت للجن وتحساسها　وشدها العيس باحلاسها
تهوى الى مكة تبغي الهدى　ما خير الجن كانجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم　واسم بعينيك الى راسها

قال فاصبحت وقد امتحن الله قلبي للاسلام

فرحلت

فرحلت ناقتي واتيت المدينة فاذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه فقلت اسمع
مقالي يا رسول الله قال هات فانشأت اقول

اتاني نجي بين هدو ورقدة ولم اك فيما قد تخوت بكاذب
ثلاث ليالي قوله كل ليلة اتاك رسول من لوي بن غالب
فشمرت من ذيل الازار ووسطت بي الذعلب الوجنا بين السباسب
فأشهد ان الله لا شيء غيره وانك مامون على كل غايب
وانك ادنى المرسلين وسيلة الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما ياتيك يا خير مرسل وان كان فيما جا شيب الذوايب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب

ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
بمقالتي فرحا شديدا حتى رأى الفرح في وجوههم
قال فوثب اليه عمر فالتزمه وقال قد كنت احب
ان اسمع منك هذا الحديث فهل ياتيك رئيك
اليوم فقال مذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض
كتاب الله من الجن ومن بشائر هتوفهم
ما رواه ابراهيم بن سلامه عن اسمعيل بن
زياد عن ابن جريج عن ابن عباس ان عمر بن الخطاب
حدث يوما في مجلس بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال خرجنا قبل مظهر النبي صلى
الله عليه وسلم بشهرين الى الابطح بمكة معنا

عجل نريد ذبحه ونحن نفر فلما ذبحناه وتصابب
دمه ومات اذ صاح من جوفه صائح يقول يا ذريح
يا ذريح صائح يصيح بصوت فصيح بني يظهر الحق
يفيح يقول لا اله الا الله فصاح كذلك ثلث
مرات ثم هدا صوته وتفرقنا ورعبنا منه فلم يلبث
النبي صلى الله عليه وسلم ان ظهر فقال رجل من
القوم ما تعجب يا امير المومنين خرجت واصحاب لي في
تجارة لنا ونحن اربعة نفر نريد الشام حتى اذا كنا
ببعض اودية الشام قدمنا الى اللحم قرما شديدا
قبل مظهر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا بظبية
قد عرضت لنا مكسورة القرن فلم نزل نختلها حتى
اخذناها قال فوالله انا نتوامر بذبحها اذ هتف هاتف
فقال يا ايها الركب السراع الاربعه خلوا سبيل الظبية المروعه
فانها لطفلة ذات دعه خلوا عن العضبا وذاتي سعه
ثم قال خلوا عنها فوالله لقد رايت هذا الوادي
وما يمر فيه اقل من خمسين رجلا حتى كنتم به قال
فارسلناها فلما امسينا اخذ بازمة رواحلنا حتى
اتى بنا الى حاضر لجب كثير الاهل فاطعمنا من الثريد
ما اذهب قرمنا ثم خرجنا حتى قضى الله تجارتنا
فصحبنا رجل من اليهود لهود فلما كنا بذلك الوادي
هتف هاتف فقال

اياك لا تعجل

اياك لا تعجل وخذها موثقه   فان شر السير سير الحقفقه
قد لاح نجم فاستوى في مشرقه   يكشف عن ظلما عبوس موبقه
يدعوا الى ظل جنان مذهقه

فقال اليهودي تدرون ما يقول هذا الصارخ قلنا ما يقول قال يخبران نبيا قد ظهر خلافكم بمكة فقدمنا فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم بمكة

ومن بشائرهتوفهم

ما حكاه ابو عبس قال سمعت قريش في الليل هاتفا على ابي قبيس يقول

ان يسلم السعدان يصبح بمكة   محمد لا يخشى خلاف المخالف

فلما اصبحوا قال ابو سفين من السعدان سعد بكر سعد تميم فلما كان في الليلة الثانية سمعوه يقول

يا سعد سعد الاوس كن انت ناظرا   ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
أجيبا الى داعي الهدى وتمنيا   على الله في الفردوس منية عارف
فان ثواب الله للطالب الهدى   جنات من الفردوس ذات زخارف

فلما اصبحوا قال ابو سفين هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة

ومن بشائرهتوفهم

ما رواه ابن عباس رضي الله عنه عن اسما بنت ابي بكر قالت ما علم المشركون من اهل مكة أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر الى المدينة حتى هتف هاتف بعد ذلك

بأبيام فقال جزا الله خيرا والجزا بكفه رفيقين حلا خيمتي ام معبد
هما دخلاها بالهدى واهتدى به فافلح من امسى رفيق محمد
ليهن بني كعب محل فتاتهم ومقعد للمسلمين بمرصد

وقال التاسع ما علم المشركون من اهل مكة بوقعة بدر حتى هتف هاتف من جبال مكة وفتيان يسمرون بمكة فقال

ادال الحنيفيون بدرا بوقعة سينقض منها ملك كسرى وقيصرا
اصاب رجالا من لوى وجردت حرايب يضربن الترايب حسرا
الا ويح من امسى عدو محمد لقد ذاق حزنا في الحياة وحسرا
واصبح في هامي العجاجه معفرا تناوبه الطير الجياع وتنفرا

فعلموا بذلك وظهر الخبر من الغد ولئن كانت هذه الهتوف اخبارا احاد عمن لا يرى شخصه ولا يحج قوله فخروجه عن العادة نذير وما اثره في النفوس بشير وقد قبلها السامعون وقبول الاخبار يؤكد صحتها ويوليد ويؤيد حجتها فان قيل ان كانت هتوف الجن من دلايل النبوة جاز ان تكون دليلا على صحة الكهانة ففيه جوابان احدهما ان دلايل النبوة غيرها وانما هي من البشاير بها وفرق بين الدلالة والبشارة لان الدلالة برهان والبشارة اخبار والثاني ان الكهانة عن مغيب والبشارة عن معاين فالعيان معلوم والغايب موهوم

الباب السابع عشر

الباب السابع عشر

فيما هجست به النفوس من الهام العقول بنبوته.
العقل الالهي ركبه الله تعالى في النفوس الناطقة
فهو ينذر بالخواص الكاينة حدسا ويعلم بعد
الوجود حسا فقل حادث الا تقدم نذيره وبحسب
خاطره يكون تأثيره ولا حادث اعظم مما جدده الله
بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فاقتضى أن
يكون بشاير نبوته اشهر وشواهد اياته اظهر

فمن الهواجس بنبوته

ان كعب بن لوي بن غالب كان يجتمع اليه الناس
في كل جمعة وكان يوم الجمعة يسمى في الجاهلية
يوم العروبة فسماه كعب يوم الجمعة وكان يخطب
فيه الناس ويقول بعد خطبته حرمكم عظموه
وتمسكوا به فسيأتي نبأ عظيم وسيخرج به نبي
كريم والله لو كنت فيه ذا سمع وبصر ويد ورجل
لتنصبت تنصب الجمل ولارقلت ارقال الفحل ثم يقول

يا ليتني شاهدا نجوى دعوته حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

ومن هواجس الالهام

ما حكاه ابن قتيبة ان ابا كرب بن اسعد الحميري
آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث
بسبعماية سنة وقال

شهدت على احمد انه رسول من الله بارئ النسم
فلو مد عمري الى عمره لكنت وزيرا له وابن عم

ومن هواجس الالهام

ماحكاه عبيد الجرهمي وكان كبير السن عالما باخبار الأمم ان تبع الأصغر وهو تبع بن حسان بن تبع ساير بيثرب فنزل في سفح احد وذهب الى اليهود فقتل منهم ثلثمايه وخمسين رجلا صبرا واراد خرابها فقام اليه رجل من اليهود كبير السن فقال ايها الملك مثلك لا يقتل على الغضب ولا يقبل قول الزور امرك اعظم من ان يطير بك برق او يسرع بك لجاج فانك لا يستطيع ان تخرب هذه القرية قال ولم قال لأنها مهاجر نبي من ولد اسمعيل يخرج من هذه الثنيه يعني البيت الحرام فكف تبع ومضى الى مكة ومعه هذا اليهودي ورجل آخر عالم من اليهود فكسا البيت ونحر عنده ستة الف جزور واطعم الناس وقال

قد كسونا البيت الذي حرم الله ملآ معضدا وبرودا

وقيل انه ملك ثلثماية وعشرين سنة

ومن هواجس الالهام

ماروى هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت كان يهودي يسكن مكة فلما كانت الليلة التي

ولد فيها

ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر مجلس قريش فقال يا معاشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقال القوم والله ما نعلم قال الله اكبر اما اذا اخطأكم فلا باس انظروا معا واحفظوا ما اقول لكم ولد في هذه الليلة نبي بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كانها عرف وثن فتصارع القوم عن مجلسهم وهم متعجبون من قوله فلما ساروا الى منازلهم اخبر كل انسان منهم أهله فقالوا قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فانطلق القوم الى اليهودي فاخبروه فقال اذهبوا بي حتى انظر اليه فادخلوه على آمنة وقالوا اخرجي الينا ابنك فاخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى اليهودي تلك الشامة فوقع مغشيا عليه فلما أفاق قالوا له ما لك قال ذهبت والله النبوة من بني اسرائيل يا معشر قريش معا والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب وكان في القوم الذي اخبرهم اليهودي بذلك هشام بن المغيرة والوليد بن المغيرة وعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وعتبة بن ربيعة فعصمه الله تعالى منهم

ومثله معا

انه كان لقريش في الجاهلية عيد يجتمع فيه النسا

دون الرجال فاجتمعن فيه فوقف عليهن يهودى
وفيهن خديجة فقال لهن يا معشر نساء قريش
يوشك ان يبعث ملا فيكن بني فا يتكن استطاعت
ان تكون له ارضا فلتفعل فحصبنه ووقر ذلك
فى نفس خديجة حتى حققه الله تعالى لها فكانت
اول من امن به **ومثله** مطلب
ان جماعة من النصارى قدموا الى من الشام تجارا
الى مكة فنزلوا بين الصفا والمروة فراؤه وهو ابن
سبع سنين فعرفه بعضهم بصفته فى كتبهم وسمته
فى فراستهم فقال له من انت وابن من انت فقال
له انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال له
من رب هذه واشار الى الجبال فقال الله ربها
لا شريك له فقال له من رب هذه واشار الى
الأرض فقال الله ربها لا شريك له فقال
من رب هذه واشار الى السما فقال الله ربها
لا شريك له فقال له النصرانى فهل له رب غيره
فقال لا اتشككنى فى الله ماله شريك ولا ضد
ففهم بالتوحيد فى صغره وصح النصرانى بخبره
وانذر بنبوته **ومثله** مطلب
انه كان فى كفالة جده عبد المطلب وكان احب
اليه من جميع اولاده فلما حضرته الوفاة وصى به

الى عمه

الى عمه ابى طالب لأنه كان اخا عبد الله لأبيه وامه وانشأ يقول

وصيت من كنيته بطالب ‎꞉‎ عبد مناف وهو ذو تجارب
يا ابن الحبيب أكرم الأقارب ‎ يا ابن الذى قد غاب غير آيب

فتقبل ابو طالب الوصية وكان قد سمع من راهب انذارا به فانشأ يقول

لا توصنى بلازم وواجب ‎ فلست بالآيس غير الراغب
بأن تحمد الله قول الراهب ‎ انى سمعت اعجب العجائب
من كل حبر عالم وكاتب

ومات عبد المطلب بعد ثمان سنين من مولده فتكفله عمه ابو طالب وخرج به الى الشام فى تجارة له وهو ابن تسع سنين فنزل تحت صومعة بالشام عند بصرى وكان فى الصومعة راهب يقال له بحيرا قراء كتب اهل الكتاب وعرف ما فيها من الأنباء والأمارات فرأى بحيرا من صومعته غمامة قد أظلت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشمس فنزل اليه وجعل يتفقد جسده حتى رأى خاتم النبوة بين كتفيه وسأله عن حاله فى منامه ويقظته فاخبره بها فوافقت ما عنده فى الكتب وسأل ابا طالب عنه فقال ابنى فقال كلا فقال ابن اخى مات ابوه وهو حمل قال صدقت

وعمل لهم ولمن معهم طعاما لم يكن يعمله لهم من
قبل وقال احفظوا هذا من اليهود والنصارى
فانه سيد العالمين وسيبعث نبيا اليهم اجمعين
وان عرفوه معكم قتلوه فقالوا كيف عرفت هذا
قال السحابة التي اظلته ورايت خاتم النبوة
اسفل من غضروف كتفه له ولا يسجد الا لنبي
وجا رسول الله صلى الله وسلم وكان في رعيه
الابل قد سبقه القوم الى ظل شجرة فلما جلس مال
ظل الشجرة عليه فقال لهم هذا من آيات نبوته
وان الروم ان راوه عرفوه بصفته فقتلوه ثم
التفت فاذا هو بسبعة نفر قد اقبلوا من الروم
فاستقبلهم وقال ما جاءكم قالوا جينا لان هذا النبي
خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث فيه
ناس ونحن آخر من بعث الى طريقك هذا فقال
لهم هل خلفتم خلفكم احدا هو خير منكم قالوا لا
قال افرايتم امرا اراد الله ان يقضيه هل يستطيع
احد من الناس رده قالوا لا قال فارجعوا فتابعوه
على الرجوع وزودهم الراهب حتى اسرع به ابو طالب
فكانت هذه البشاير من برهان النصارى وما
تقدم من اخبار اليهود وقد تواتر دعليها جميعهم
مع اختلاف معتقدهم وتغاير كتبهم من اوايل

الشواهد

الشواهد على تعيين النبوة فيه اما عن كتب
نعت فيها فاصابوه على النعت فكان انذارهم
اليها تواترت عليه الخواطر لان ما هجست به
النفوس من امر كان وما تخيلته العقول ظهر وبان
لان القلوب طلايع الاقدار والعقول مرايا الاسرار

ومن هواجس الالهام

حدثنا ابو الحسن محمد بن على بن نخل رحمه
الله قال حدثنا عمر بن حماد الفقيه قال حدثنا
عمر بن محمد بن يحيى السمرقندي قال حدثنا
حمد بن عبد ربه الضبي قال اخبرنا عبد الرحمن
ابن نوح بن عبيد قال حدثنا عمر بن بكير قال
حدثني احمد بن القسم عن الكلبي عن ابي صالح
عن بن عباس رحمة الله عليه قال لما ظفر سيف
ابن ذي يزن بالحبشة ~~وكان~~ وذلك بعد مولد
النبي صلى الله عليه وسلم بسنين أتا وفود
العرب واشرافها وشعراها لتهنيه ومدحه وذكر
ماكان من بلايه وطلبه بثار قومه فاتاه وفد
قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم وامية بن
عبد شمس وعبد الله بن جدعان واسد بن
خويلد بن عبد العزى في ناس من اشراف قريش
~~وفيهم عبد المطلب بن هاشم~~ فلما قدموا عليه اذا

هو في راس قصر يقال له غمدان وهو الذي يقول فيه امية بن ابي الصلت

اشرب هنيا عليك التاج مرتفعا في راس غمدان دارمنك محلالا

قال فاستأذنوا عليه فاذن لهم فدخلوا عليه فاذا الملك مضمخ بالعنبر يرى وبيض الطيب من مفرقه عليه بردان متزر باحدهما مردا بالاخر سيفه بين يديه وعن يمينه وعن يساره الملوك وابناء الملوك والمقاول قال فدنا عبد المطلب واستأذن في الكلام فقال ان كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فتكلم فقد اذنا لك فقال عبد المطلب ان الله احلك ايها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا شامخا باذخا وانبتك منبتا طابت ارومته وعزت جرثومته وثبت اصله وبسق فرعه في اكرم موطن واطيب معدن وانت ابيت اللعن ملك العرب وربيعها الذي تخصب به وانت ايها الملك راس العرب الذي اليه تنقاد ~~والد~~ وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي تلجاء عليه العباد سلفك خير سلف وانت لنا منهم خير خلف فلن يخمد ذكر من انت سلفه ولن يهلك من انت خلفه ونحن ايها الملك اهل حرم الله وسدنة بيته اشخصنا اليك الذي ابهجنا لكشف الكرب

الذي فدحنا

الذى قد حنا فنحن وفد التهنية لا وفد المرزية
فقال بن ذى يزن فايهم انت ايها المتكلم فقال
انا عبد المطلب بن هاشم قال بن اختنا قال
نعم بن اختكم قال ادن فادناه ثم اقبل على القوم
وعليه فقال مرحبا واهلا وناقة ورحلا ومستناخا
سهلا وملكا ربحلا يعطى عطاء جزلا قد سمع
الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم
فانتم اهل الليل واهل النهار لكم الكرامة ما اقمتم
والحبا اذا ظعنتم قال ثم استنهضوا الى دار الضيافة
والوفود فأقاموا شهرا لا يصلون اليه ولا يأذن
لهم بالأنصراف قال ثم انتبه انتباهة فأرسل
الى عبد المطلب واخلاه وادنا مجلسه وقال يا عبد
المطلب انى مفوض اليك من سد علمى ما لو كان
غيرك لم ابح له ولكن رايتك معدنه واطلعتك
عليه فليكن عندك مطويا حتى ياذن الله فيه
فان الله بالغ فيه امره انى اجد فى الكتاب
المكنون والعلم المخزون الذى اخترناه لأنفسنا
واحتجبناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما
فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة
ولرهطك كافة ولك خاصة قال عبد المطلب
ايها الملك فمثلك من سر وبر فما هو فداك اهل

الوبر زمرا بعد زمر قال اذا ولد بتهامة غلام
بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به
الزعامه الى يوم القيمه فقال له عبد المطلب
ابيت اللعن لقد اتيت بخبر ما انا بمثله وافد
فلولا هيبة الملك واجلاله واعظامه لسألته
من بشارته اياي ما ازداد به سرورا قال بن ذي يزن
هذا حينه الذي يولد فيه او قد ولد اسمه احمد
يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه قد ولدناه
مرارا والله باعثه جهارا وجاعل منا له انصارا
يعز بهم اولياه ويذل بهم اعداه يضرب بهم
الناس عن عرض ويستفتح بهم كرايم الارض
يكسر الاوثان ويخمد النيران ويعبد الرحمن
ويدحر الشيطان قوله فصل وحكمه عدل يامر
بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله قال
عبد المطلب ايها الملك عز جدك وعلا عقبك
وطاب ملكك وطال عمرك فهل الملك سارى
بافصاح فقد اوضح بعض الايضاح فقال بن ذي يزن
والبيت ذى الحجب والعلامات على النصب انك
يا عبد المطلب لجده غير الكذب قال فخر عبد المطلب
ساجدا فقال بن ذي يزن ارفع ~~صدرك~~ راسك
ثلج صدرك وعلا امرك فهل احسست شيا مما ذكرت

لك فقال

لك فقال نعم ايها الملك كان لى ابن وكنت به
معجبا رفيقا او رقيقا فزوجته كريمة من كرايم
قومى آمنة بنت وهب بن عبد مناف فاتت
بغلام سميته محمدا مات ابوه وامه وكفلته
انا وعمه وبين كتفيه شامة وفيه كلما ذكرت
من علامة فقال بن ذى يزن ان الذى قلت لك
لكما قلت لك فاحتفظ بابنك واحذر عليه من
اليهود فانهم له اعداء ولن يجعل الله لهم عليه
عليه سبيلا فاطو ما ذكرته دون هولا الرهط
الذين معك فانى لست آمن ان يداخلهم النفاسة
من ان تكون لك الرياسة فيبغون له الغوايل
وينصبون له الحبايل وهم فاعلون وابناؤهم ولولا
انى اعلم ان الموت مجتاحى قبل مبعثه لسرت
بخيلى ورجلى حتى اصير بيثرب دار ملكى فانى
اجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق ان
يثرب استحكام امره واهل نصرته وموضع
قبره ولولا انى اقيه الآفات واحذر عليه العاهات
لأعلنت على حداثة سنه ذكره واوطيت اسنان
العرب عقبه ولكنى صارف ذلك اليك بغير تقصير
ممن معك ثم امر لكل رجل من القوم بعشرة
اعبد وعشرة اماء سود وحلتين من حلل البرود

[illegible] مائة من الابل
لكل واحد [illegible] وان الذهب عشرة ارطال
والفضة عشرة ارطال ولعبد المطلب
[illegible]

وخمسة ارطال ذهب وعشرة ارطال فضة وكرشا
مملوة عنبرا ولعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك
وقال له اذا حال الحول فأتني بامره وما يكون
من خبره قال فمات بن ذي يزن قبل ان يحول الحول
قال فكان عبد المطلب كثيرا يقول يا معشر قريش
لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك وان كثر
فأنه الى نفاد ولكن ليغبطني بما يبقى لي ولعقبي
ذكره وفخره وشرفه فاذا قيل له وما ذاك قال
ستعلمون ما اقول لكم ولو بعد حين

ومن هواجس الالهام

انه نشأ في قريش على احسن هدي وطريقة
واشرف خلق وطبيعة واصدق لسان ولهجة
حتى سمته قريش الاسمى في حداثته الامين
تأسيا لما سيكون فكانت خديجة بنت خويلد
ذات شرف ويسار وكان لها متاجر ومضاربات
فلما عرفت امانة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وصدق لهجته ابضعته مالا ليتجر به لها
الى الشام مضاربا وانفذت معه مولاها ميسرة
ليخدمه في طريقه فنزل ذات يوم تحت صومعة
راهب فرأى الراهب من ظهور كرامة الله تعالى
له ما علم انه لا يكون الا لنبي فقال لميسرة
هذا فقال

هذا فقال رجل من قريش من اهل الحرم
فقال انه نبي فكان ميسرة اذا ركب تظله غمامة
تقيه حر الشمس فلما قدم على خديجة قص ميسرة
عليها حديث الراهب وما شاهده من ظل الغمامة
وما تضاعف من ربح التجارة فتنبهت به على عظم
شأنه وشواهد برهانه فرغبت خديجة في
نكاحه وكان قد خطبها اشراف قريش
فامتنعت وسفر بينهما في النكاح ميسرة وقيل
مولاه بولده وخافت امتناع ابيها عليه فعقرت
له ذبيحة والبسته حبرة وعلقته بطيب وعبير
وسقته خمرا حتى سكر وحضر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومعه عمه حمزة بن عبد المطلب
واختلف في حضور عمه ابي طالب فقال الأكثرون
حضر مع حمزة وخطبها من ابيها فاجابه وزوجه
وهو ابن خمسة وعشرين سنة وخديجة ابنة
اربعين سنة ودخل بها من ليلته فلما أصبح
خويلد وصحا راى آثارما عليه فقال ماهذا العقير
والعبير والحبر فقيل زوجت خديجة بمحمد قال
مافعلت فقيل له قبيح بك هذا وقد دخل
بها فرضي ولاجل ذلك قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد ظهور الأسلام لا يرفع

الى نكاح نشوان الا اجرته وقامت خديجة رضي الله عنها بأمره حتى كفته امور دنياه فكان ذلك عونا من الله تعالى ولطفا تفضل به عليه منا واسعافا

ومن هواجس الالهام

ماحكاه عامر بن ربيعة قال سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول انا انتظر نبيا من ولد اسمعيل ثم من بني عبد المطلب ولا اراني ادركه وانا اومن به واصدقه واشهد انه نبي فان طالت بك مدة قرايته فاقرء مني السلام وساخبرك مانعته حتى لا يخفى عليك قلت هلم قال هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ولا بكثير الشعر ولا بقليله وليس يفارق عينيه حمرة وخاتم النبوة بين كتفيه واسمه احمد وهذا البلد مولده ومبعثه ثم يخرجه قومه منها ويكرهون ماجاء به حتى يهاجر الى يثرب فيظهر امره فاياك ان تخدع عنه فاني طفت البلاد كلها أطلب دين ابراهيم فكل من اسال عنه من اليهود والنصارى والمجوس يقولون هذا الدين وراك وينعتونه مثل ما نعت لك ويقولون لم يبق نبي غيره قال عامر فلما اسلمت اخبرت رسول

الله صلى

الله صلى الله عليه وسلم يقول زيد واقرأه
منه السلام فرد عليه السلام وترحم عليه
وقال قد رأيته في الجنة يسحب الذيول

ومن هواجس الألهام

ما رواه الزهري عن ابي سلمة بن عبد الرحمن
ابن عوف قال بعث الله تعالى الى كسرى ملكا
وهو في بيت ايوانه الذي لا يدخل عليه فيه فلم
يرعه الا به قايما على راسه في يده عصا بالها جرة
من ساعته التي كان يقيل فيها فقال يا كسرى
اتسلم او اكسر هذه العصا فقال بهل بهل
فانصرف عنه فدعا حراسه وحجابه فتغيظ
عليهم فقال من ادخل هذا الرجل فقالوا
ما دخل عليك أحد ولا رأيناه حتى اذا كان
العام القابل اتاه في الساعة التي اتاه فيها
فقال له كما قال ثم قال اتسلم او اكسر هذه
العصا فقال بهل بهل بهل ثلاثا فخرج عنه فدعا
كسرى حراسه وحجابه فتغيظ عليهم وقال
لهم كما قال لهم اول مرة فقالوا ما رأينا احدا
دخل عليك حتى اذا كان في العام الثالث اتاه
في الساعة التي اتاه فيها فقال له كما قال ثم قال
اتسلم او اكسر هذه العصا فقال بهل بهل

فكسرها ثم خرج فلم يكن الا تهور ملكه وانبعاث ابنه والفرس على قتله حتى قتلوه

ومن هواجس المنام

ماحكاه بن قتيبة ان كسرى ابرويز بن هرمز كان سايرا ذات يوم فهوم على مركبه وطال حتى استغفل فايقظه بعض قواده فانتبه مرعوبا لرؤيا رآها قطعها عليه الموقظ له فقال رأيت قائلا لى انكم غيرتم فغيرنا لكم ونقل الملك الى احمد وقيل له سلم ما بيدك الى صاحب الهراوة الى ان ورد عليه كتاب النعمان بن المنذر يخبر فيه ان خارجا نجم بتهامة يخبر ان رسول الله اله السما والأرض الى أهل الأرض كافة فارتاع لذلك واكبره وعلم انه الذى رآه فى منامه وكان يتوقعه

ومن هواجس المنام

ما رواه عروة بن مضرس عن مخرمه بن نوفل عن امه رقيقه بنت ابى صيفى بن هاشم قال تتابعت على قريش سنون امحلت الضرع وادقت العظم فبينا انا نايمة اللهم او مهمومة اذا هاتف يصرخ بصوت صحب يقول يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث فيكم قد اظلتكم

ايامه

ابامه وهذا ابان نجومه نحي هلا بالحيا والخصب
الا فانظروا رجلا منكم وسيطا جسيما ابيضا
بضا اوطف الاهداب سهل الحديث أشم
العرنين له فخر يكظم عليه وسنه يهدى اليه
فليخلص هو وولده وليهبط اليه من كل بطن
رجل فليستنوا من الماء وليمسوا من الطيب ثم ليستلموا
الركن ثم ليرقوا ابا قبيس فليستسق الرجل
وليومن القوم فغثتم ما شئتم فاصبحت علم الله
تعالى مذعوره قد اقشعر جلدي ووله عقلي واقتصصت
رؤياي في الحرمة والحرم ما بقي ابطحي الا قالوا هذا
شيبة الحمد يعنون عبد المطلب فتنامت اليه
رجالات قريش وهبط اليه من كل بطن رجل
فسنوا ومسوا واستلموا ثم ارتقوا ابا قبيس
وطبقوا جانبيه ما يبلغ سعيهم مهلة حتى
استووا بذروة الجبل فقام عبد المطلب ومعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام حين ايفع
او كرب فقال اللهم ساد الخله وكاشف
الكربه انت معلم غير معلم ومسؤول غير مبخل
وهذه عبادك واماؤك بعذرات حرمك
يشكون اليك سنتهم اذهبت الخف
والظلف اللهم فامطر علينا غيثا مغدقا مريعا

فوق الكعبة ما راحوا حتى تفجرت السما بمائها
واكتظ الوادي بثجيجه فسمعت شيخان من
قريش وجلتها عبد الله بن جدعان وحرب
ابن امية وهشام بن المغيرة يقولون لعبد المطلب
هنيا لك ابا البطحا اي عاش بك اهل البطحا
وفي ذلك يقول رقيقة

بشيبة الحمد اسقى الله بلدتنا لما فقدنا الحيا واجلوذ المطر
فجاد بالماء جوني له سبل سحا فعاشت به الأنعام والشجر
مبارك الأمر يستسقى الغمام به ما في الأنام له عدل ولا خطر

ومن هواجس الأنذار والالهام والمنام

ما رواه ابو ايوب يعلي بن عمران النخلي عن مخزوم
ابن هاني المخزومي عن ابيه وانت له مايه وخمسون
سنه قال لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم اوبعث ارتجس ايوان
كسري فسقطت منه اربعة عشر شرفه وخمدت
نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغارت
بحيرة طبريه ساوة فافزع ذلك كسري فلبس
تاجه وقعد على سريره وجمع وزراءه ومرازبته
واخبرهم برؤياه فقال الموبذان واانا اصلح الله
الملك قد رايت في هذه الليلة ابلا صعابا تقود
خيلا عرابا قد قطعت دجله وانتشرت في بلادنا

فقال اي

فقال اي شيء هذا فقال يا موبذان فقال
حادثة تكون من ناحية العرب فكتب الى النعمان
ابن المنذر ابعث الي برجل عالم اسله عما اريد
فوجه اليه عبد المسيح بن عمرو بن بقيله الغساني
فلما قدم عليه اخبره فقال ايها الملك علم ذلك
عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح
قال فاته فاساله عما اخبرتك به ثم ائتني بجوابه
فركب عبد المسيح راحلته حتى ورد علي سطيح
وقد اشفى على الموت ووضع على شفير قبره
فسلم عليه وحياه فلم يحر سطيح جوابا فانشاء
عبد المسيح يقول

اصم ام يسمع غطريف اليمن   يا فاصل الخطة اعيت من ومن
اتاك شيخ الحي من آل سنن   وامه من آل ذيب بن حجن   وامه
ابيض فضفاض الرداء والبدن   رسول قيل العجم يسري للوسن

فرفع سطيح راسه وقال عبد المسيح على جمل
مشيح وافى الى سطيح وقد اوفى به الى الضريح
بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان وخمود
النيران ورؤيا الموبذان راى ابلا صعابا تقود
خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها
ثم قال يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وبعث
من تهامه صاحب الهراوه وفاض وادي السماوه

وغاصت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليس
الشام لسطيح شاما يملك منهم ملك وملكات
بعدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضا سطيح
فثار عبد المسيح على راحلته وهو يقول

شمر فانك ماضي الهم شمير ولا يفزعنك تفريق وتغيير
ان يمس ملك بني ساسان افرطهم فان ذا الدهر اطوار دهارير
فربما اصبحوا يوما بمنزلة يهاب صولهم الاسد المهاصير
منهم اخو الصرح بهرام واخوته والهرمزان وسابور وسابور
والناس اولاد علات فمن علموا ان قد اقل فمهجور ومحقور
وهم بنو الام الا ان يروا نشبا فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان في قرن فالخير متبع والشر محذور

فلما قدم عبد المسيح على كسرى واخبره قال
كسرى الى ان يملك منا اربعة عشر ملكا قد كانت
امور فملك منهم عشرة ملوك اربع سنين وزال
ملكهم عن يزدجرد والرابع عشر بعد اثنى عشر
سنة فان قيل فهذا قول كاهن قد ابطلته
النبوة فلم يقبل قوله في اثبات النبوة فعنه
جوابان احدهما انه تأويل رويا تحققت خرج
بها عن حكم الكهانة والثاني انه علمها شغل
الجن فصار كهتوف الجن كما قال الله تعالى وان
الشياطين ليوحون الى اوليائهم فاذا سير ما

ما اختلفت

ما اختلفت طرقه وتغاير وصفه خرج عن القلة الى التكاثر وعن الآحاد الى التواتر فصار الظن معلوما والتوهم محتوما

الباب الثامن عشر

في مبادئ نسبه وطهارة مولده

لما كان انبياء الله صفوة عباده وخيرة خلقه لما كلفهم من القيام بحقه استخلصهم من اكرم العناصر وامدهم باوكد الاواصر حفظا لنسبهم من قدح ولمنصبهم من جرح لتكون النفوس لهم اوطا والقلوب لهم اصفا فيكون الناس الى اجابتهم اسرع ولاوامرهم اطوع ولما تفرعت الملك عن ابراهيم ﷺ واختصت النبوة بولده انحازت الى ولد اسحاق دون اسمعيل فصارت في بني اسرائيل لكثرتهم بعد القلة وقوتهم بعد الذلة فبدات النبوة بموسى واختتمت بعيسى ولما كثر ولد اسمعيل وانتشروا في الارض تميز بعض الكثرة ولد قحطان عن ولد عدنان واستولت قحطان على الملك انحازت النبوة الى ولد عدنان فاول من أسس لهم مجدا وشيد لهم ذكرا معد بن عدنان حين اصطفاه بختنصر وقد ملك اقاليم الأرض وكان قدهم بقتله حين غزا بلاد العرب

فانذره بني كان في وقته بأن النبوة في ولده فاستبقاه
وأكرمه ومكنه واستولى على تهامة بيد عالية
وامر مطاع وفيه يقول مهلهل الشاعر

غنت دارنا تهامة بالأمس وفيها بنو معد حلولا

ثم ازداد العز بولده نزار وانبسطت به اليد وتقدم
عند ملوك الفرس واحتباه شتاسف ملك الفرس
وكان اسمه خلدان وكان مهزول البدن فقال الملك
مالك يا نزار وتفسيره في لغتهم يا مهزول فغلب
عليه هذا الاسم فسمي نزارا وفيه يقول جمعة
ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

حديسا خلفناه وحمسا بارضه فاكرم بنا عند الفخار فخارا
فنحن بنو اعدنان خلدان حدنا فسماه تشتشف الهم نزارا
فسمي نزارا بعد ما كان اسمه لدى العرب خلدان بنوه خيارا

وكان لنزار اربعة اولاد مضر وربيعة واياد وانمار
فلما حضرته الوفاة وصاهم فقال يا بني هذه القبة
الحمرا وما اشبهها لمضر وهذا الخبا الأسود وما
اشبهه لربيعة وهذه الخادمة وما
اشبهها لأياد وهذه البدوة والمجلس وما اشبهه
لانمار فان اشكل عليكم واختلفتم فعليكم بالأفعى
الجرهمي بنجران فاختلفوا في القسمة فتوجهوا اليه
فبينا هم يسيرون اذ رأى مضر كلا قد رعي فقال أن

البعير الذي

البعير الذي رعى هذا الكلا لاعور وقال ربيعة هو ازور وقال اياد هو ابتر وقال انمار هو شرود.
فلم يسيروا قليلا حتى لقيهم رجل يوضع على راحلته فسألهم عن البعير فقال مضر هو اعور قال نعم وقال ربيعة هو ازور قال نعم وقال اياد هو ابتر قال نعم وقال انمار هو شرود قال نعم وهذه والله صفة بعيري فدلوني عليه فقال والله ما رأيناه قال قد وصفتموه بصفته فكيف لم تروه وسار معهم الى نجران حتى نزلوا بالأفعى الجرهمي فناداه يا صاحب البعير هاؤلاي اصحاب بعيري وصفوه لي بصفته وقالوا لم نره فقال لهم الأفعى الجرهمي كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيته يرعى جانبا ويدع جانبا فعرفت انه اعور وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر فعرفت انه ازور وقال اياد رأيت بعره مجتمعا فعرفت أنه ابتر وقال انمار رأيته يرعى المكان الملتف ثم يجوزه الى غيره فعرفت انه شرود فقال الجرهمي لصاحب البعير ليسوا اصحاب بعيرك فاطلب من غيرهم ثم سألهم من هم فاخبروه انهم بنوا نزار بن معد فقال اتحتاجون الي وانتم كما ارى فدعا لهم بطعام فاكلوا واكل وبشراب فشربوا وشرب فقال مضر لم

ار كاليوم خمرا اجود لولا انها نبتت على قبر وقال
ربيعة لم ار كاليوم لحما اطيب لولا انه ربي بلبن
كلب وقال اياد لم ار كاليوم رجلا اسرى لولا انه
يدعى لغير ابيه وقال انمار لم ار كاليوم كلاما انفع
في حاجتنا وسمع الجرهمي الكلام فتعجب لقولهم
واتى امه فسألها فاخبرته انها كانت تحت ملك
لا ولد له فكرهت ان يذهب الملك فامكنت رجلا من
نفسها كان نزل به فوطئها فحملت منه به وسأل
القهرمان عن الخمر فقال من كرمة غرستها على قبر
ابيك وسأل الراعي عن اللحم فقال شاة ارضعتها
بلبن كلبة لأن الشاة حين ولدت ماتت ولم يكن
ولد في الغنم شاة غيرها فقيل لمضر من اين عرفت
الخمر ونباتها على قبر قال لأنه اصابني عليها عطش
شديد وقيل لربيعة من اين عرفت ان الشاة
ارتضعت على لبن كلبة قال لأني شممت منه
رائحة الكلب وقيل لاياد من اين عرفت ان الرجل
يدعى لغير ابيه قال لأني رايته يتكلف ما يعمله
ثم اتاهم الجرهمي وقال صفوا لي صفتكم فقصوا عليه
ما اوصاهم به ابوهم نزار فقضى بالقبة الحمرا والدنانير
والأبل وهي حمر فسمي مضر الحمرا وقضى لربيعة بالخبا
الأسود والخيل الدهم فسمي ربيعة الفرس وقضى

لاياد بالخادمة

بالحاذمة الشمطا والماشية البلق وقضى لأنمار بالأرض
والدراهم وهذا الذى ظهر فى اولاد نزار من قوة
الذكا وحدة الفطنة تأسيسا لتميزهم بالفضل
واختصاصهم بوفور العقل مقدمة لما يراد بهم
ثم تفرقت القبايل منهم فاختص ولد مضر بن نزار
بالحرم فتميزوا بانسابهم وتناصروا بسيوفهم حتى
استولت قريش على الحرم بعد جرهم وخزاعة
لأن جرهم كانوا جبابرة فبغوا وتجبروا حتى بعث
الله تعالى عليهم الرعاف والنمل فافناهم وافضى
امرهم الى عامر بن الحرث وهم القايلون فى الحرم ولد
حرام وادحرم لطيره ووحشه نحن ولاته فلا نغشه
فاجتمعت خزاعة ورئيسهم عمرو بن ربيعة بن
حارثة على عامر بن ربيعة وبقية جرهم فاخرجوهم
من الحرم واستولت عليه خزاعة وولى البيت عمرو
ابن ربيعة فقال

نحن ولينا البيت بعد جرهم نعمره من كل باغ ملحد

ولما انحاز عامر بن الحرث مع بقية جرهم عن الحرم
عند استيلا خزاعة عليه خرج بنفر الى الكعبة
وحجر الركن يلتمس التوبة وهو يقول

لاهم ان جرهما عبادك الناس طرف وهم تلادك

فلم تقبل توبته فالقى غزالي الكعبة وحجر الركن

فى زمزم ودفنها وخرج ببقية جرهم وهو يقول

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا اهلها فابادنا صروف الليالى والدهور الغوابر

فلما راى عامر بن الحرث الجرهمى ما صاروا اليه بعد الكثرة والقوة قال

يا أيها الناس سيروا ان قصركم ان تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
كنا اناسا كما كنتم فغيرنا دهر فأنتم كما كنا تكونونا
خطوا المطي وارخوا من ازمتها قبل الممات وقضوا ما تقضونا

فوليت خزاعة البيت والحرم غير انه كان فى مضر من امره ثلث خلال احداهن الدفع من عرفة الى المزدلفة كان الى الغوث بن مر وهو صوفة لا الثانية الأفاضة من مزدلفة الى منى للنحر كان لزيد بن عدوان واخر من افضى اليه ابو سيارة والثالثة النسى لشهور الحج كان للقلمس من بنى كنانة واخر من افضى اليه حتى جاء الأسلام ثمامة بن عوف فشركة مضر خزاعة فى معالم الحج وان كانت زعامة الحرم لخزاعة وقريش فى اوزاع بنى كنانة من مضر وافضت معالم الحج من اوزاع مضر الى قريش فوليها منهم كعب بن لوى بن غالب وكان يجمع الناس فى كل يوم جمعة ويخطب فيه على قريش فيامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويقول حرمكم عظموه وتمسكوا

به فسياتى

به فيأتي له بنباء عظيم وسيخرج منه بني كريم
وهو اول من فصح بالنبوة حين شاهد اثارها
وعرف اسرارها من انقياد العرب اليهم تدينا بحرمهم
واعظاما لكعبتهم فكان ذلك الهاما هجست به
نفسه وتخيلا صدق فيه حدسه لأن لكل خطب
نذيرا ولكل مستقبل بشيرا وانتهضت خزاعة في
الحرم الى حليل بن الحبشية الخزاعي فكان يلي الكعبة
وامر مكة فتزوج اليه قصي بن كلاب فاشتد به
قصي وكان اسمه زيد فلما هلك حليل راى قصي
انه اولى بالولاية على الكعبة وامر مكة من خزاعة
فاستولى عليها واختلف في سبب استيلائه فقال
قوم لأن حليلا اوصى اليه بذلك وقال آخرون بل
اشتراه من آل حليل بزق من خمر وقال آخرون بل
استنصر على خزاعة بأخيه لأمه رزاح بن ربيعة
القضاعي حتى اجلا خزاعة عن مكة فخلصت الرياسة
لقصي فجمع قريشا وهم في اوزاع بني كنانة فمنعت
بنو كنانة منهم فحاربهم بمن اطاعه حتى حتى أفردهم
منهم وجمعهم بمكة فسمي مجمعا وفيه يقول شاعرهم

ابونا قصي كان يدعى مجمعا   به جمع الله القبائل من فهر

فلما اجتمعوا انزلهم بطحاء مكة في الشعاب ورؤس
الجبال وقسمها بينهم ارباعا بين قومه وانزل كل

قوم من قريش منازلهم من مكة التي اصبحوا عليها وكانت اليه الحجابة والنقابة والوفادة والندوة واللوا وصارت سنته في قريش كالدين الذي لا يعمل بغيره فزادت القوة بجمعهم حتى عقد الولاية وجدد بناء الكعبة وهو اول من بناها بعد ابراهيم واسمعيل واسمعيل وبنا دار الندوة للتحاكم والتشاجر والتشاور وهي اول دار بنيت بمكة وكانوا يجتمعون في خيالها ثم بنا القوم دفنهم بها فتمهدت لهم الرياسة لما وظهرت فيهم السياسة فصاروا بها زعما عبادة الذرية بطاعة الالهيه وديانة نبوة توطية لما جدده الله تعالى منها برسوله تاسيسا لمبادبها فقاموا بالكعبة ونزهوا الحرم وتكفلوا بالحج فصاروا ديانين العرب وولاة الحرم ووحاة وقادة الحجيج فدانت لهم العرب وتقدموا فيهم بالشرف لحلولهم في الحرم وتكفلهم بالكعبة ثم قيامهم بالحج وشاع ذلك في الأمم فحكى قوم من ديانين العرب ان جماعة من ملوك الفرس زاروا الكعبة بمكة وعظموها وحملوا اليها صنوف الثياب وانواع الطيب وزمزموا ومن معهم من الفرس عند بير زمزم فلذلك سميت زمزم واستشهد واستشهد قايل هذا بقول الشاعر

زمزمة الفرس على زمزم وذال في سالفه الاقدم

وقريش هم

وقريش هم ولد النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة
ابن الياس بن مضر وقيل بل هم بنو فهر بن مالك
ابن النضر فمن نسبهم الى النضر فلأنه تفرقت قبايل
بنى كنانة وقيل كان يسمى قريشا ومن نسبهم
الى فهر فلأن فهرا فى زمانه كان رئيس الناس بمكة
وقصدها حسان بن عبد كلال فى حمير وقبايل اليمن
ليهدم الكعبة وينقل حجارها الى اليمن ليبنيه بينا
باليمن يجعل حج الناس اليه فنزل بنخلة واغار على
شرح مكة فسار اليه فهر فى كنانة واحلافهم من
قبايل العرب مضر فانهزمت حمير واسر الحرث بن فهر
حسان بن عبد كلال فبقى فى يد فهر ثلث سنين
اسيرا بمكة حتى فدا نفسه وخرج فمات بين مكة واليمن
فعظم بهذه الحرب شأن فهر فاعتزت اليه قريش
حين حمى مكة ومنع من هدم الكعبة وكانت من
اشباه عام الفيل واختلف فى تسميتهم قريشا على
أربعة اقاويل احدها لتجمعهم بعد التفرق والتقرش
التجمع ومنه قول الشاعر

اخوة قرشوا الذنوب علينا فى حديث من دهرهم وقديم

والثانى لأنهم كانوا تجارا ياكلون من مكاسبهم والقرش
التكسب والثالث لأنهم كانوا يفتشون الحاجة عند
ذى الخلة فيسدون خلته والقرش التفتش ومنه

قول الشاعر

أيها الشامت المقرش عنا عند عمرو فهل له ابقاء

والرابع ان قريشا اسم دابة في البحر من اقوى دوابه سميت بها قريش لقوتها انها تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلا قاله ابن عباس واستشهد بقول الشاعر

وقريش هي التى تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو فى لجة البحر على ساكنى البحور حيوشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك يوما لذى الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش ياكلون البلاد اكلا كشيشا
ولهم آخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والخموشا
تملأ الأرض خيله ورجال يحشرون المطي حشرا كميشا

وهذا من هواجس النفوس المحيرة وابات العقول المنذرة فاما مكة فلها اسمان مكة وبكة وقد جاء القرآن بهما واختلف فى الأسمين هل هما لمسمى واحد او لمسميين على قولين احدهما انه لمسمى واحد لأن العرب تبدل الميم بالباء فيقولون ضربة لازم ولازب لقرب المخرجين والقول الثانى وهو أشبه انهما اسمان لمسميين واختلف من قال بهذا فى المسمى منهما على قولين احدهما ان مكة اسم البلد وبكة اسم البيت وهذا قول ابراهيم النخعى والقول الثانى ان مكة الحرم كله وبكة المسجد كله وهذا

قول زيد

قول زيد بن اسلم فأما مكة مأخوذة من قولهم مك
تمككت المخ اذا استخرجته لأنها تمك الفاجراي
تخرجه قال الشاعر

يا مكة الفاجر مكي مكا ولا تملى مذحجا وعكا

واما بكة قال الأصمعي سميت بذلك لأن الناس
يبك بعضهم بعضا اي يدفع وانشد قول الشاعر

اذا الشريب اخذته لكه فخله حتى يبك بكه

ثم افضت رياسة قريش بعد قصي الى ابنه عبد
مناف بن قصي فجاد وزاد وساد حتى قال فيه الشاعر

كانت قريش بيضة فتفقأت فالمح خالصة لعبد مناف

وكان اسمه المغيرة فدفعته امه الى مناف وكان
اعظم اصنام مكة تعظيما له فغلب عليه عبد مناف
وكان يسمى القمر لجماله فاستحكمت رياسته بعد
ابيه لجوده وسياسته ثم بنيه فولد له هاشم
وعبد شمس توأمان في بطن فقيل انه ابتدا خروج
احدهما واصبعه في ملصقة بجبهة الآخر فلما ازيلت
دمي موضعها فقيل يكون بينهما دم ثم ولد له بعدهما
نوفل ثم المطلب وكان اصغرهم فسادوا وتقدمهم
هاشم لسخائه وسودده وكان اسمه عمرا فسمي
هاشما لأنه اول من هشم الثريد لقومه بمكة في سنة
لزبة قحطة رحل فيها الى فلسطين فاشترى منها

الدقيق وقدم به الى مكة ونحر الجزور وحملها ثريدا عمر به اهل مكة حتى استقلوا فقال فيه الشاعر

يا ايها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبد مناف
الآخذون العهد من افاقها والراحلون لرحلة الايلاف
والرايشون وليس يوجد رايش والقايلون هلم الى الاضياف
والخالطون غنيهم بفقيرهم حتى يكون فقيرهم كالكافي
عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
وهاشم اول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتا ورحلة الصيف

واراد امية بن عبد شمس ان يتشبه بهاشم في صنيعه فعجز عنه فشمت به ناس كثير من قريش فقال فيه وهب بن عبد قصي

تحمل هاشم ما ضاق عنه واعيا ان يقوم به بن بيض
اتاهم بالغراير مثقلات من الشام بالبر النفيض
فاوسع اهل مكة من هشيم وشاب اللحم باللحم الغريض

ونشبت العداوة بين امية وهاشم واراد منافرته فكره هاشم ذلك لسنه وقدره فلم تدعه قريش حتى نافره الى الكاهن الخزاعي في خمسين ناقة سود الحدق ينحرها ببطن مكة والجلا من مكة عشر سنين فنفر الخزاعي هاشما وقال لامية تنافر رجلا هو اطول منك قامة واعظم منك هامة واحسن منك وسامة واقل منك لامة واكثر منك ولدا واجزل

منك صفدا

منك صفدا فقال امية من انتكاث الزمان أن
جعلناك حكما فأخذ هاشم الأبل فحزها واطعمها
من حضره وخرج أمية الى الشام فأقام بها عشر سنين
فكانت هذه اول عداوة وقعت بين هاشم وامية
وملك هاشم الوفادة والسقاية واستقرت له
الرياسة وصارت قريش له تابعه تنقاد لأمره
وتعمل برأيه وتنافرت قريش وخزاعة اليه فخطبهم
بما اذعن له الفريقان بالطاعة فقال في خطبته
أيها الناس نحن آل ابراهيم وذرية اسمعيل وبنوا
النضر بن كنانه وبنوا قصي بن كلاب وأرباب
مكه وسكان الحرم لنا ذروة الحسب ومعدن المجد
ولكل في كل حلف يجب عليه نصرته واجابة دعوته
الا ما دعا الى عقوق عشيرة وقطع رحم يا بني قصي
انتم كغصن شجرة ايهما كسر اوحش صاحبه
والسيف لايصان الا بغمده ورامي العشيرة يصيبه
سهمه ومن امحكه اللجاج اخرجه الى البغي ايها الناس
الحلم شرف والصبر ظفر والمعروف كنز والجود سودد
والجهل سفه والأيام دول والدهر غير والمرؤ منسوب
الى فعله ومأخوذ بعمله فاصطنعوا المعروف تكسبوا
الحمد ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء واكرموا
الجليس يعمر ناديكم وحاموا الخليط يرغب في جواركم

وانصفوا من انفسكم يوثق بكم وعليكم بمكارم الاخلاق
فانها رفعة واياكم والاخلاق الدنية فانها
تضع الشرف وتهدم المجد الاوان نهنهة الجاهل
اهون من جزيرته وراس العشيرة تحمل اثقالها
ومقام الحكيم عظة لمن انتفع به فقالت قريش
رضينا بك ابا نضلة وهي كنيته فانظروا الى ما امر
به من شريف الاخلاق ونهى عنه من مساوى
الافعال هل ضد الاعن غزارة فضل وجلالة قدر
وعلو همة وما ذاك الا لاصطفاء يراد وذكر يشاد
لان توالى ذلك فى الاباء يوجب تناهيه فى الابنا
ومات هاشم بغزة من ارض الشام وهو اول من مات
من ولد عبد مناف ثم مات عبد شمس بمكة فقبر
باجياد ثم مات نوفل بسلمان من طريق العراق ومات
المطلب بريمان من ارض اليمن وكان هاشم قد
تزوج بيثرب من الخزرج بسلمى بنت عمرو النجارية
فولدت له بيثرب عبد المطلب وكان اسمه شيبة
الحمد ونشا فيهم حتى مات ابوه هاشم وانتقلت
عنه الرياسة والوفادة والسقاية الى اخيه المطلب
ووصف له شيبة بيثرب فخرج اليها فاستترك امه
عنه حتى اخذه منها ودخل به مكة مردفا له فقالت
قريش من هذا فقال عبدى فسمى عبد المطلب

الى ان مر

الى ان مات فوثب عليه عمه نوفل بن عبد مناف
في ركح كان له فاغتصبه اياه والركح الساحة فسأل
عبد المطلب رجالات قومه النصرة على عمه فقالوا
لسنا داخلين بينك وبين عمك فلما راى عبد المطلب
ذلك كتب الى اخواله من بني النجار يقول

يا طول ليلي لاشجاني واشغالي	هل من رسول الى النجار اخوالي
ينبي عديا ودينارا ومازنها	ومالكا عصمة الجيران عن حالي
وكنت ما كنت حيا ناعما جزلا	امشي العضينة سحبا بالأذيالي
حتى ارتحلت الى قومي وازعجني	عن ذاك عمي مطلب بترحالي
فغاب مطلب في قعر مظلمة	وقام نوفل كي يعدوا على مالي
أأن راى رجلا غابت عمومته	وغاب اخواله عنه بلا والي
ابجي عليه ولم يحفظ له رحما	ما امنع المربيني العم والخال
فاستنفروا وامنعوا ضيم ابن اختكم	لا تخذلوه وما انتم بخذالي
ما مثلكم في بني قحطان قاطبة	حي لجار وانعام وافضال
أنتم ليان لمن لانت عريكته	سلما لكم وسمام الابلج العالي

فقدم عليه ثمانون راكبا من بني النجار ونصروه على
عمه نوفل وارجعوا منه الركح وعادوا وقد اشتد
بهم عبد المطلب فدعا ذلك نوفلا ان خالف بني
عبد شمس على عبد المطلب وبني هاشم ودعا
ذلك عبد المطلب الى ان خالف بني هاشم على نوفل
وبني عبد شمس فقوى عبد المطلب وضعف

نوفل وانتقلت السقاية والوفادة والرياسة الى
عبد المطلب واخذ نوفل عهدا من الاكاسرة العراق
وصارت رحلته اليها واخذ عبد المطلب عهدا من
ملوك الشام واقيال حمير باليمن وصارت رحلته اليها
وحفر عبد المطلب حين قوي واشتد بئر زمزم واخرج
واخرج منها ماكان القاه فيها عامر بن الحرث الجرهمي
من غزالى الكعبة وحجر الركن فضرب الغزالين صفايح
ذهب على باب الكعبة ووضع الحجر في الركن وصار
عبد المطلب سيدا عظيم القدر مطاع الامر نجيب النسل
حتى مر به اعرابي وهو جالس في الحجر وحوله بنوه
كالاسد فقال اذا احب الله انشاء دولة خلق لها
امثالها ولا فانشا الله لهم بالنبوة دولة خلد بها
ذكرهم ورفع بها قدرهم حتى سادوا الانام وصاروا
الاعلام وصار كل من قرب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اباته اعظم رياسة وبنوها واكثر
فضلا ونالها فحكى الزهري ويزيد بن رومان
وصالح بن كيسان ان عبد المطلب بن هاشم نذر
انه متى رزق عشرة اولاد ذكورا وراهم بين يديه
رجالا ان ينحر احدهم للكعبة شكرا لربه حين
علم ان ابراهيم امر بذبح ولده تصورا انه من افضل
قربه فلما استكمل ولده العدد وصاروا له من اظهر

وكانوا

العدد قال

العـدد قال لهم يا بنى كنت نذرت نذرا علمتموه قبل اليوم فما تقولون قالوا الأمر لك واليك ونحن ها بين يديك فقال لينطلق كل واحد منكم الى قدحه وليكتب عليه اسمه ففعلوا ثم اتوه بالقداح فاخذها وجعل يرتجز ويقول

عاهدته وانا موف عهده والله لا يحمد شيء حمده
اذ كان مولاي وكنت عبده نذرت نذرا لا احب رده
ولا احب ان اعيش بعده

ثم دعا بالأمين الذى يضرب بالقداح فدفع اليه قداحهم وقال حرك ولا تعجل وكان احب ولد عبد المطلب اليه عبد الله فضرب صاحب القداح ها السهم على عبد الله فأخذ عبد المطلب الشفرة واتى بعبد الله واضجعه بين أساف ونايله وانشا مرتجزا يقول

عاهدته وانا موف نذره والله لا يقدر شيء قدره
هذا بني قد اريد نحره وان يؤخره يقبل عذره

وهم بذبحه فوثب اليه ابنه ابو طالب وكان أخا عبد الله لأبيه وامه وامسك يد عبد المطلب عن اخيه وانشاء مرتجزا يقول

كلا ورب البيت ذى الانصاب ما ذبح عبد الله بالتلعاب
يا سبب ان الذبح ذو عقاب ان لنا ازجرت فى الخطاب

اخوال صدق كاسود الغاب

فلما سمعت بنوا مخزوم هذا من ابي طالب وكانوا اخواله قالوا صدق ابن اختنا ووثبوا الى عبد المطلب فقالوا يا أبا الحرث انا لا نسلم ابن اختنا للذبح فاذبح من شئت من ولدك غيره فقال اني نذرت نذرا وقد خرج القدح ولا بد من ذبحه قالوا كلا لا يكون ذلك ابدا وفينا ذو روح وانا لنفديه بجميع اموالنا من طارف وتالد وانشاء المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم مرتجزا يقول

يا عجبا من فعل عبد المطلب وذبحه ابنا كتمثال الذهب
كلا وبيت الله مستور الحجب ما ذبح عبد الله فينا باللعب
فدون ما تبغي خطوب تضطرب

ثم وثب السادات من قريش الى عبد المطلب فقالوا يا ابا الحرث ان هذا الذي عزمت عليه عظيم وانك ان ذبحت ابنك لم تتهن بالعيش من بعده ولكن لا عليك انت على رأس امرك تثبت حتى نصير معك الى كاهنة بني سعد فما امرتك من شيء فامتثله فقال عبد المطلب لكم ذلك وكانوا يرون الكهانة حقا ثم خرج في جماعة من بني مخزوم نحو الشام الى الكاهنة فلما دخلوا عليها خبرها عبد المطلب بما عزم عليه من ذبح ولده وارتجز يقول

يا رب اني

يارب انى فاعل لما ترد ان شئت الهمت الصواب والرشد
ياسابق الخير الى كل بلد قد زدت فى المال واكثرت العدد

فقالت الكاهنة انصرفوا عنى اليوم فانصرفوا وعادوا من الغد فقالت كم دية الرجل عندكم قالوا عشرة من الابل قالت فارجعوا الى بلدكم وقدموا هذا الغلام الذى عزمتم على ذبحه وقدموا معه عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعلى الابل القداح فان خرج القدح على الابل فانحروها وان خرج على صاحبكم فزيدوا فى الابل عشرة عشرة حتى يرضى ربكم فانصرف القوم الى مكة واقبلوا عليه يقولون يا ابا الحرث ان لك فى ابراهيم اسوة حسنة فقد علمت ما كان من عزمه فى ذبح ابنه اسمعيل وانت سيد ولد اسمعيل فقدم مالك دون ولدك فلما اصبح عبد المطلب غدا بابنه عبد الله الى الذبح وقرب معه عشرة من الابل ثم دعا بامين القداح وجعل لابنه قدحا وقال اضرب ولا تعجل فخرج القدح على عبد الله فجعلها عشرين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها ثلاثين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها اربعين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها خمسين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها ستين فضرب فخرج القدح على عبد

الله فجعلها سبعين وضرب فخرج القدح على عبد
الله فجعلها ثمانين وضرب فخرج القدح على عبد
الله فجعلها تسعين وضرب فخرج القدح على عبد
الله فجعلها مائة وضرب فخرج القدح على الأبل
فكبر عبد المطلب وكبرت قريش وقالت يا ابا الحرث
انه قد انتهى رضا ربك وقد نجا ابنك من الذبح
فقال لا والله حتى اضرب عليه ثلاثا فضرب الثانية
فخرج القدح على الأبل وضرب الثالثة فخرج على
الأبل فعلم عبد المطلب انه قد انتهى رضا ربه
في فداء ابنه فارتجز يقول

دعوت ربي مخلصا وجهرا | يارب لا تنحر بني نحرا
وفاد بالمال تجد لي وفرا | اعطيك من كل سوام عشرا
عفوا ولا تشمت عيونا حضرا | بالواضح الوجه المشابدرا
فالحمد لله الأجل شكرا | فلست والبيت المغطى سترا
مبدلا نعمة ربي كفرا | ما دمت حيا او ازور القبرا

ثم قربت الابل وهي مائة من جلة ابل عبد المطلب
فنحرت كلها فداء لعبد الله وتركت في مواضعها
لا يصد عنها احد ينتابها من دب ودرج فجرت
السنة في الدية بمائة من الأبل الى يومنا هذا
وانصرف عبد المطلب ابنه عبد الله فرحا فكان عبد
الله يعرف بالذبيح ولذلك قال النبي صلى الله عليه
وسلم انا ابن

وسلم انا ابن الذبيحين يعني اسمعيل بن ابراهيم
عليهما السلام واباه عبد الله بن عبد المطلب
وهذا من صنع الله لرسوله لما قدره من رسالته
وقضاه من ايات نبوته فما يخلوا نبي من بلوى منذرة
ولا ملك من بلية زاجرة هذا سليمان بن داود عليهما
السلام وقد اعطاه الله تعالى مع النبوة ملكا لا ينبغي
لأحد من بعده وسأل الله الحكمة فاعطاه قلبا عليما
وفهما سليما حتى وضع ثلثة الف مثل تهذيب بها
اخلاق قومه واستقامت بها سيرة ملكه بعد
ان سخرت له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب
والشياطين سخرت له يعملون له ما يشاء من محاريب
وتماثيل وجفان كالجواب وذكر في سيرته انه
كان نزله في كل يوم من دقيق السميد ثلثين
كرا ومن غير السميد ستين كرا وارتفاعه في كل
سنة ستة وثلثين الف الف وثلثة وثلثين
ألف الف وثلثماية ألف مثقال وكان له ألف
واربعماية فيل متفرقة في القرى وملك اربعين
سنه كابيه داود فابتلاه الله في اثناء ملكه بعد
عشرين سنة منه ما حكاه الله تعالى في كتابه
بقوله ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا
ثم اناب وفي فتنته قولان احدهما ان سليمان

سبا بنت ملك غزاه فى جزيرة من جزاير البحر فقال
لها صيدون فألقت عليه محبتها وهي معرضة
عنه تذكرا لأبيها لا تنظر اليه الا شزرا ولا تكلمه
الا نذرا ثم قالت أنها سائلته ان تصنع لها تمثالا على
صورته فامر به فصنع لها فعظمته وسجدت له وسجد
معها جوارها وصار صنما معبودا فى داره وهو لا يعلم
به حتى مضت اربعون يوما وفشا خبره فى بنى اسرائيل
وعلم به سليمان فكسره ثم حرقه ثم ذراه فى الريح
هذا قول شهر بن حوشب والثانى ان الله تعالى
قد جعل ملك سليمان فى خاتمه فقال لآصف وهو
شيطان اسمه اصف الشياطين كيف تضلون الناس
فقال له الشيطان اعطنى خاتمك حتى اخبرك فأعطاه
خاتمه فألقاه فى البحر حتى ذهب ملكه وهذا قول
مجاهد وفى الجسد الذى القي على كرسيه قولان احدهما
انه الشيطان الذى القا خاتم سليمان فى البحر جلس
على كرسي سليمان متشبها بصورته يقضى بغير
الحق ويأمر بغير الصواب والثانى اكثر من عشار
جواريه طلبا للولد فولد له نصف انسان فكان
هو الجسد الملقى على كرسيه وزال عن سليمان
الملك ملكه فخرج هاربا الى ساحل البحر يتضيف الناس
ويحمل سموك الصيادين بالأجر واذا اخبر الناس أنه

سليمان الذنوه

سليمان اكذبوه الى ان اخذ حوته من صياد وقيل انه
استطعمها وقيل بل اخذها اجرا فلما شق بطنها
وجد خاتمه في جوفها وذلك بعد اربعين يوما
من زوال ملكه عنه وهي عدة الأيام التي عبد فيها
الصنم في داره فسجد الناس له حين عاد الخاتم اليه
وقال يحيى بن ابي عمرو وجد خاتمه بعسقلان فمشى
منها الى بيت المقدس تواضعا لله وفي قوله ثم اناب
تأويلان احدهما ثم رجع الى ملكه قاله الضحاك
والثاني ثم اناب من ذنبه قاله قتادة وبقي في ملكه
بعد فتنته عشرين سنة استكمل بها الأربعين
وهي عدة الأيام الأربعين الذي زال [illegible] ملكه
فيها واما بلوى الملوك فان بختنصر كان ملكه طبق
عمارة الأرض حتى ملك الأقاليم السبعة ودانت
له ملوك الأمم وادوا اليه خراج بلادهم فطغى قلبه
وشمخ انفه فداخلته العزة واعتقد ان امم الخلق
قد صاروا عبيدا وخولا وان ملوك الأرض دانت
بطاعته خوفا ورهبا فغضب الله تعالى عليه
وسلبه عزة سلطانه وسطوته وزال عنه هيبته
وقدرته وجعل قلبه مثل قلوب الحيوان فانحط عن
سرير ملكه ونفاه اعوانه عنهم فسكن الفلوات
ياكل حشيشها وابتل جسمه من قطر السماء حتى

لهال شعره وصارت اظفاره كمخاليب الطير حتى حال
سبعة احوال وهو فى سكرة لا يرى الناس الا انه
كنوع من الحيوان الذى فى صورة البشر الى ان استنقذه
الله تعالى من كربه فثاب اليه عقله وراجعه تميزه
فرجع ببصره الى السماء معظما لله تعالى ومستجيرا
به ومعترفا ان لا سلطان الا له يؤتيه من يشاء
وينزعه ممن يشاء فطلبه قواده ليردوه الى سلطانه
حتى وجدوه فاعادوه الى دار عزه واجلسوه على سرير
ملكه فعاد الى خوف الله ومراقبته والى ما كان
عليه من جميل سيرته واستناب دانيال النبي فى خلافته
وتدبير ملكه الى ان مضى لسبيله بعد احدى وخمسين
سنة من ملكه ودانيال على خلافته ومنهم ملوك
الفرس كسرى ابرويز وبلغ فى الملك مبلغا عظيما وكان
فى قصره اثنى عشرة الف جاريه منهن للاستمتاع
ثلثة الف جاريه وباقيهن للغنا والخدمة وكان
فى داره ثلثة الف رجل يقومون بخدمته وكان له
ألف فيل الافيل ومن الخيل والبغال خمسون الف
راس منها لمركبه ثمنية الاف وخمس مايه
وأمر ان يحصى ما اجتبى من خراج بلاده ستة ثمانى
عشرة من ملكه فكان ستماية ألف الف درهم وعدد
على ابنه شيرويه بعد قبضه عليه انه قال امرنا

بخمسة

في سنة ثلثين من ملكنا باحصا ما في بيوت
أموالنا سوى ما امرنا بعزله لأرزاق الجند وكان
من الورق اربعمائة الف بدرة يكون فيها الف
ألف ألف مثقال وستماية الف الف مثقال سوى
ما افآه الله علينا وزادنا من اموال ملوك الروم في
سفن اقبلت بها الريح الينا فسميناه في الرياح ولم
تزل تزداد اموالنا الى سنتنا هذه وهي سنة ثمان
وثلثين من ملكنا وفيها قبض عليه ابنه حتى قتله
وقد ذكرله ما جمع لأنه استطال واحتقر الناس
فانظر ايها المعتبر في عقله في صنع الله تعالى ماثلا
وقدرته فيمن يبتليه اختبارا ويبلوه ازدجارا
هل لما قضاه الله من دافع وفيما ابتلاه من مانع
الا بلطف منه يؤتيه من يشاء وهو القوي العزيز

فصل

واما طهارة مولده فان الله تعالى استخص ما
رسوله من اطيب المناكح وحماه من ادنس الفواحش
ونقله من اصلاب طاهرة الى ارحام طاهرة وقد
قال بن عباس رضي الله عنه في تأويل قول الله
تعالى وتقلبك في الساجدين اي تقلبك من اصلاب
طاهرة من أب بعد اب الى ان جعلتك نبيا وقد
كان نور النبوة في ابائه ظاهرا فحكي أن كاهنة

بمكة يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية قرأت الكتب فمر بها عبد المطلب ومعه ابنه عبد الله يريد ان يزوجه آمنة بنت وهب فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت هل لك ان تغشاني وتاخذ مائة من الابل فعصمه الله من اجابتها وقال لها

اما الحرام فالحلال دونه والحل لا حل فاستبينه
فكيف بالامر الذى تبغينه

فلما تزوجت به آمنة وحملت منه برسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك فيما قلت فلم تر ذلك النور في وجهه فقالت له قد كان ذلك مرة فاليوم لا ماذا صنعت فقال زوجني ابي امنة بنت وهب الزهرية فقالت قد اخذت النور الذى كان في وجهك وانشأت تقول

الآن قد ضيعت ما كان ظاهرا عليك وفارقت الضيا المباركا
عدوت علي خاليا فبذلته لغيرى هنيئا فالحقن بنسائكا
ولا تحسبن اليوم امس وليتني رزقت غلاما منك في مثل حالكا

وداخلها الاسف على ما فاتها والحسرة على ما تولا عنها وحسدت امنة على ما صار لها فانشأت تقول

انى رأيت مخيلة نشأت فتلألأت كتلألؤ الفجر
ولما بها نور يضيء به ما حولها كاضاءة البدر

ورأيتها

وراتيها مبتينا شرفا ما كل قادح زنده يوري
لله ما زهرية سكبت ثوبيك ما استلبت وما نذري

واندرت به بنى هاشم فقالت

بنى هاشم قد غادرت من اخيكم امنة اذ للباه يعتركان
كما غادر المصباح عند خموده فتايل قد ميلت له بدهان
وما كل ما يحوى الفتى من تلاده لحزم ولا ما فاته لتوان
فاجمل اذا طالبت امرا فانه سيكفيكه جدان يعتلجان
ولما حوت منه امنة ما حوت حوت منه فخرا ما لذلك ثان
سيكفيكه اما يد مقفعله واما يد مبسوطة ببنان

وهذا من ايات الله تعالى فى رسوله ان عصم اباه حين كان فى ظهره ان يضعه من سفاح حتى وضعه من نكاح ثم زالت العصمة بعد وضعه حتى عرض بالطلب بعد ان كان مطلوبا ورغب فيه بعد ان كان مرغوبا ثم لم يشركه فى ولادته من ابويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتهما اليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله تعالى للنبوة غاية ولتفرده بها آية فيزول عنه ان يشارك فيه ويماثل به فلذلك مات ابواه عنه فى صغره فاما ابوه عبد الله فمات عنه بمكة وهو حمل واما آمنة فماتت عنه بالمدينة وهو ابن ست سنين لأنها قدمت اليها لزيارة اخوالها من بنى النجار فماتت بها عندهم

واذا خبرت حال نسبه وعرفت طهارة مولده
علمت انه سلالة اباء كرام سادوا وراسوا لانه
محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن
عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن لوي
بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن
خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن
معد بن عدنان ليس في ابائه خامل مسترذل
ولا مغمور مستبدل كلهم سادة قادة وهم اخص الناس
بالمناكح الطاهرة حتى تحرجوا من نكاح المحارم وان
استباحه غيرهم من العرب حتى حكى ان حاجب بن
زرارة وهو سيد بني تميم نكح بنته واولدها وقد
كان سماها دختنوس باسم بنت كسرى وقال
فيها حين نكحها مرتجزا

يا ليت شعري عنك دختنوس　　اذا اتاها الخبر المرموس
التسحب الذيلين ام تميس　　لا بل تميس انها عروس

وهذا في قريش من الفواحش وفي التورية ان
لوطا نكح بنتين له فولدتا غلامين ولهما ذرية كثيرة
ولوط هو ابن اخت ابراهيم الخليل وقد تزوج ابراهيم
بنت اخيه سارة بنت هاران بن تارح فتنزهت
قريش من هذه المناكح حفظا لحرمة الارحام الدانية
ان تنتهك بالمناكح العاهرة فتضعف الحمية وتقل

الغيرة فان

جزم الشيخ بهذا وقد نقله السهيلي في كتاب
التعريف والاعلام عن القتبي والنقاش وصنعه وفي
لو صح هذا القول لكانت بنت اخيه وقد كان
بنت الا على عطفه محرما الا درك الى قوله تعالى
الذي فاوصى به نوحا والذي اوحينا اليك الا

العترة فان قيل يشارك الأنبياء في شرف النسب وطهارة المولد غيرهم فلم يستحق بهما النبوة قيل هما من شروط النبوة وان استحقت بغيرهما فلم يمتنع ان يكون لهما في النبوة تأثير معتبر ووصف محبر

الباب التاسع عشر ١٩

في آيات مولده وظهور بركته

ايات الملك باهره وشواهد النبوة قاهره تشهد مباديها بالعواقب فلا يلتبس فيها كذب بصدق ولا منتحل بمحق وبحسب قوتها وانتشارها يكون بشايرها وانذارها ولما دنا مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم تظاهرت ايات نبوته وظهرت آيات بركته فكان من اعظمها شانا واظهرها برهانا واشهرها عيانا وبيانا اصحاب الفيل انفذهم النجاشي من ارض الحبشة في جمهور جيشه الى مكة لقتل رجالها وسبي ذراريها وهدم الكعبة واختلف في سببه فذكر قوم ابرهة بن الصباح استولى على اليمن معتزيا الى النجاشي فبنى بصنعا كنيسة للنصارى واستعان في بنيانها بقيصر والنجاشي حتى بناها في تشييدها وحسنها ليعدل بالعرب عن حج الكعبة اليها فانكرته العرب ودخل الى هيكلها بعض بني كنانة من قريش فاحدث فيها فكتب الى النجاشي

يستمده بالفيل والحبشة وجيش الحبشة ليغزوا قريشا ويهدم الكعبة فسار بهم واخذ ابا رغال من الطايف دليلا الى مكة حتى انزله بالمغمس ومات ابو رغال بالمغمس فدفن فيه فرجمت العرب قبره فهو القبر المرجوم بالمغمس وقال آخرون بل سببه ان نفرا من تجار قريش مروا ببيعة للنصارى على شاطئ البحر فنزلوا بفنايها واوقدوا نار العمل طعامهم فاحترقت البيعة فاقسم النجاشي ليسبين مكة وليهدمن الكعبة فانفذ جيشه والفيل مع ابرهة ابن الصباح وابن مكسوم ومحر بن شراحيل والاسود بن مقصود وكان النجاشي هو الملك وابرهة صاحب جيشه على اليمن وابو مكسوم وزبره ومحر والاسود من قواده فساروا بالجيش مع الفيل حتى نزلوا بذى المجاز وتقدمهم الاسود بن مقصود فاستاق سرح مكة فقال فيه عبد الله بن مخزوم

لاهم اخز الاسود بن مقصود　　الاخذ الهجمة بعد التقليد
ويهدم البيت الحرام المعبود　　والمروتين والمشاعر السود
اخزهم يا رب وانت معبود

وكان في السرح ما ينا بعير لعبد المطلب وقد قلد بعضها فخرج وكان وسيما جسيما الى ابرهة وساله في ابله فقال له ابرهة قد كنت اعجبتني حين رايتك وقد زهدت

الان فيك

الآن فيك قال ولم قال جئت لأهدم الكعبة بيتا هو دينك ودين ابائك فلم تسألني فيه وسألتني في ابلك فقال عبد المطلب انا رب ابلي وللبيت رب غيري سيمنعه منك فقال ابرهة ما كان ليمنعه مني ورد على عبد المطلب ابله مستهزيا ليعود فياخذها فاحرزها عبد المطلب في جبال مكة واتى الكعبة فأخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب ان المرء يمنع حله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم ابدا محالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك
اسمع يا رجس من ارادوا العرو وانتكروا حلالك
جروا جميع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا جمال بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك

فلئن فعلت فأمر يتم به فعالك

وتوجه الجيش الى مكة من طريق منى والفيل معهم اذا بعث على الحرم احجم واذا اعدل عنه اقدم فوقفوا بالمغمس فقال ابو الطيب بن مسعود في ذلك وقيل بل قاله عبد المطلب

ان ايات ربنا ساطعات ما يماري بهن الا الكفور بيناته
حبس الفيل بالمغمس حتى مر يعوي كانه معقور

وبصر اهل مكة بالطير قد اقبلت من ناحية البحر فقال عبد المطلب ان هذه غريبة بأرضنا ما هي

نجديه ولا تهامية ولا حجاريه وانها الاشباه ٢٨٠
اليعاسيب وكان في مناقيرها وارجلها حجارة فلما
اطلت على القوم القتها عليهم حتى هلكوا فافلت
من القوم ابرهة ورجع الى اليمن فمات في طريقه بعد
ان كان يسقط من جسده عضو عضو حتى هلك ولما
تأخر القوم عنهم واستعجم خبرهم عليهم فقال عبد المطلب

يارب لا يرجوا لهم سواكا يارب فامنع منهم حماكا
ان عدوا البيت من عاداكا امنعهم ان يخربوا قراكا

وبعث ابنه عبد الله ليأتيه بخبرهم فوجد جميعهم
قد شدختهم الاحجار حتى هلكوا فعاد راكضا الى
عبد المطلب واصحابه فاخبره فبادر عبد المطلب
واصحابه واخذوا اموالهم فكانت اول اموال بني
عبد المطلب فانشأ مرتجزا يقول

انت منعت الجيش والافيالا وقد رعوا بمكة الاجبالا
وقد خشينا منهم القتالا وكل امر لهم معضالا
شكرا وحمدا لك ذا الجلالا

وايه الرسول من قصة الفيل انه كان في زمانه حملا
في بطن امه بمكة لانه ولد بعد خمسين يوما من
الفيل وبعد موت ابيه في يوم الاثنين الثاني عشر
من شهر ربيع الاول ووافق من شهور الروم العشرين
من شباط في السنة الثانية عشر من ملك هرمز

ابن انوشروان

ابن انوشروان وحكى ابو جعفر الطبرى ان مولده كان لاثنتين واربعين سنة من ملك انوشروان فكانت اية فى ذلك من وجهين احدهما انهم لو ظفروا لسبوا واسترقوا فاهلكهم الله تعالى لصيانة رسوله ان يجرى عليه السبي حملا ووليدا والثانى انه لم يكن لقريش من التالة ما يستحقون به دفع اصحاب الفيل عنهم وما هم اهل كتاب لانهم كانوا من بين عابد صنم او متدين وثن او قايل بالزندقة ومانع من الرجعة ولكن لما اراده الله من ظهور الاسلام تاسيسا للنبوة وتعظيما للكعبة ان يجعلها قبلة للصلوة ومنسكا للحج فان قيل فكيف منع عن الكعبة قبل مصيرها قبلة ومنسكا ولم يمنع الحجاج من هدمها وقد صارت قبلة ومنسكا حتى احرقها ونصب المنجنيق عليها فقال فيها على ما حكى عنه

كيف تراه ساطعا غباره والله فيما يزعمون جاره

وقال راميها بالمنجنيق

قطاره مثل الفنيق المزبد ارمى بها اعواد هذا المسجد

قيل فعل الحجاج كان بعد استقرار الدين فاستغنى عن ايات تاسيسه واصحاب الفيل كانوا قبل ظهور النبوة فجعل المنع منها اية لتاسيس النبوة ومجى الرسالة على ان الرسول قد انذر بهدمها فصار

الهدم اية بعد ان كان المنع آية فلذلك ما اختلف حكمها في الحالين والله اعلم ولما انتشر في العرب ما صنع الله بجيش الفيل تهيبوا الحرم واعظموه وزادت حرمته في النفوس ودانت لقريش بالطاعة وقالوا اهل الله قاتل عنهم وكفاهم كيد عدوهم فزادوهم تشريفا وتعظيما وقامت قريش لهم بالوفادة والسدانة والسقاية والوفاده مال تخرجه قريش في كل عام من اموالهم يصنعون به طعاما للناس ايام منى فصاروا ائمة ديانين وقادة متبوعين وصار اصحاب الفيل مثلا في الغابرين وروى هشام بن محمد الكلبي عن ابيه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج في الجاهلية تاجرا الى الشام فمر بزنباع بن روح وكان عشارا فاسا اليه في اجتيازه واخذ مكسه فقال عمر بعد انفصاله

متى الق زنباع بن روح ببلدة … الى النصف منها يقرع السن بالندم
ويعلم انا من لوي بن غالب … مطاعين في الهيجا مضاريب في الهم

فبلغ ذلك زنباعا فجهز جيشا لغزو مكة فقيل له انها حرم الله ما ارادها احد بسوء الا اهلك كاصحاب الفيل فكف زنباع فقال

تمنى اخو فهر لقاي ودونه … قراطبة مثل الليوث الخواطر
فوالله لولا الله لا شيء غيره … وكعبته زفت اليكم معاشري

لاقتل منكم

لاقتل منكم كل كهل معمم　وأسبى نساء بين جميع الأباعر

فبلغ ذلك عمر رضوان الله عليه فاجابه وقال

الم تر ان الله اهلك من بغى علينا　قديما في قديم المعاشر

وارى ابا مكسوم ابرهة الذى　اتانا مغيرا كالفنيق المخاطر

بجمع كثير كبرج العيس وسطه　على راسه تاج على راس ناكر

فما راعنا من ذلك العبد كيده　وكنا له من بين لاه وساخر

وقال سابني البيت هدما ولا ارى　بمكة ماش بين تلك المشاعر

فرداه رب العرش عنا رداه　ولم ينجه اعظامه بالمزامر

فاهلكه والتابعين له معا　واسرته من ناصرين وسامر

وليس لنا فاعلم وليس لبيتنا　سوى الله من مولى عزيز وناصر

فدونك وردنا تلق مثل الذى　لقوا جميعهم من ذاعين وصاهر

فكان شأن الفيل ردعا لكل باغ ودافعا لكل طاغ وقد عاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زمن نبوته وبعد هجرته جماعة شاهدوا الفيل والطير الأبابيل منهم حكيم بن حزام وحويطب بن عبد العزى ونوفل بن معويه لأن كل واحد من هؤلاء عاش مائة وعشرين سنة منها ستين سنة فى الجاهلية وستين سنة فى الاسلام

فصل

ولما حملت آمنة بنت وهب برسول الله صلى الله عليه وسلم حدثت انها اتيت فقيل لها انك

قد حملت بسيد هذه الامه فاذا وقع على الارض فقولي
اعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه
محمدا ورأت به حين حملت انه خرج منها نور رأت
منه قصور بصرى من ارض الشام قالت ام عثمان
ابن العاص شهدت ولادة امنة برسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان ليلا فما شيئ انظر اليه من
البيت الا نور واني انظر الى النجوم تدنوا واني
اقول ليقعن علي ولما وضعته تركت عليه في ليله
ولادته جفنة فانفلقت عنه فكان من اياته ان
لم تحوه وارسلت الى جده عبد المطلب قد ولد لك
غلام فاته فانظر اليه فأتاه ونظر اليه وحدثته
بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما امرت
ان تسميه فقيل ان عبد المطلب اخذه فدخل
به على هبل في جوف الكعبة فقام عنده يدعوا
ويشكر بما اعطاه ثم خرج به الى امه فدفعه اليها
فقال قد رأى فيه سماة المجد وتوسم فيه امارات
السودد ان محمدا لن يموت حتى تسود العرب والعجم
والنساء يقول

الحمد لله الذي اعطاني ... هذا الغلام الطيب الاردان
اعيذه بالواحد المنان ... من كل ذي عيب وذي شنان
حتى اراه شامخ البنيان

ذ

فصل

ولم يزل موفور البركه على كل لايذ به وكافل له
فراى جهم بن ابي الجهم عن عبد الله بن جعفر
قال لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
قدمت حليمه بنت الحرث مكة في نسوة من بني
سعد بن بكر ومعها زوجها الحرث بن عبد العزى
تلتمس الرضاع في سنة شهبة قالت ومعنا شارف
لنا والله ما تبض لنا بقطرة من لبن ومعي
بني لي منه وما نجد في ثديي ما نعلله به الا انا
نرجوا الغيث وكانت لنا غنم فنحن نرجوها فلما
قدمنا مكة لم يبق منا امرأة الا عرض عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقبله
وكرهناه ليتمه فاخذ كل صواحبي رضيعا ولم اجد
غيره فاخذته واتيت به رحلي فوالله ان هو
الا ثبت في الرحل وامسيت فاقبل ثدياي باللبن
حتى ارويته وارويت اخاه وقام ابوه الى شارفنا
تلك ليمسها بيده فاذا هي حافل فحلبها ما
اروانى من لبنها وروى الغلمان فقال يا حليمة
والله لقد اصبنا نسمة مباركة ثم اغتدينا
راجعين الى بلادنا فركبت اتاني وحملته معي فوالذي
نفس حليمة بيده لقد طفت بالركب حتى ان

النسوة ليقلن يا حليمة امسكي عنا اهذه اتانك
الذي خرجت عليها قلت نعم فوالله اني لارجوا
ان اكون قد حملت عليها غلاما مباركا قالت فكان
الله يزيدنا به في كل يوم خيرا وان غنمنا لتعود
من الرعي بطانا حفلا وتعود غنم الناس خماصا
جياعا قالت فبينا هو يلعب خلف البيوت واخوه
في بهم لهم اذا اتاني اخوه يشتد فقال ان اخي
القرشي جاءه رجلان عليهما ثوبان ابيضان
فاخذاه فاضجعاه وشقا بطنه فخرجت انا وابوه
فوجدناه قائما قد امتقع لونه فلما رانا اجهش
الينا باكيا قالت فالتزمته انا وابوه وقلنا له ما
مالك فقال جائني رجلان فاضجعاني فشقا بطني
وصنعا بي شيئا ثم رداه كما هو قال انس بن
مالك جاء جبريل فصرعه فشق بطنه فاستخرج
بطنه القلب ثم شق القلب فاستخرج منه علقة
فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله ثم لامه
ثم اعاده مكانه قال انس قد كنت انظر الى اثر
المخيط في صدره ثم ان زوج حليمة قال لها يا حليمة
لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد اصيب
فالحقيه باهله قبل ان يظهر به ذلك فاحتملته
حليمة حتى قدمت به على امه امنة فقالت امه

ما اقدمك

ما اقدمك به يا ظئر قالت وقد قضيت الذي علي وتخوفت الاحداث عليه فاديته اليك كما تحبين قالت ما هذا شانك فاصدقيني
فاخبرتها حليمة بحاله وقالت تخوفت عليه الشيطان فقالت كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وان له لشانا واني رايت حين حملت به انه خرج مني نورا اضاءت منه قصور بصرى ووقع حين ولدته وانه لواضع يده بالارض رافعا راسه الى السما دعيه وانطلقي راشدة وفي هذا الخبر من اياته ما تذعن النفوس بصحة نبوته

فصل

وروى محمد بن اسحق قال حدثني بعض من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد رايتني وانا غلام يفعه بمكة مع غلمان قريش نحمل حجارة على اعناقنا وقد حملنا ازرنا فوطانا على رقابنا اذ دفعني دافع ما اراه وقال اشدد عليك ازارك فشددت ازاري وهذا من نذر الصيانة ليكون عليها ناشيا ولها الفا

وروى علي بن ابي طالب عليه السلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هممت بشيء مما كان في الجاهلية تعملون به غير مرتين

كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد فأني قلت
ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي بأعلى
مكة لو ابصرت الى غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها
ما يسمر الشباب فقال افعل فخرجت اريد ذلك
حتى اذا جئت اول دار من دور مكة
سمعت عزفا بالدفوف والمزامير فقلت ما هذا
قالوا فلان تزوج بن فلان تزوج فلانة ابنة
فلان فجلست انظر اليهم فضرب الله على اذني
فنمت فما ايقظني الامس الشمس قال فجئت
صاحبي فقال ما فعلت فقلت ما صنعت شيئا
واخبرته الخبر قال ثم قلت له ليلة اخرى مثل ذلك
فقال افعل فخرجت فسمعت حين اتيت حيث
مكة مثلما سمعت ودخلت مكة تلك الليلة
فجلست انظر فضرب الله على اذني فوالله ما ايقظني
الامس الشمس فرجعت الى صاحبي فاخبرته
الخبر ثم ما هممت بعدها بسوء حتى اكرمني الله
برسالته فهذه احوال عصمته قبل الرسالة
وصده عن دنس الجهالة فاقتضى ان يكون بعد
الرسالة اعصم ومن الادناس اسلم وكفى
بهذه الحالة ان يكون من الاصفياء الخيرة أن
اهمل ومن الاتقياء البررة ان اغفل ومن اكبر

الانبياء

الأنبياء عند الله من ارسل مستخلص الفطرة
ملي النظرة وقد ارسله الله بعد الاستخلاص
وطهره من الأدناس فانتفت عنه تهم الظنون
وسلم من ازدراء العيون ليكون الناس الى اجابته
اسرع والى الانقياد اليه الطوع فصل
ولما انشاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في
قريش على اجمل هدى وصيانه واكمل عفاف
وامانه سموه الأمين بعد اختياره وقدموه
لفضله ووقاره وتشاوروا في هدم الكعبة
وبنائها القصر سمكها وكان فوق القامة وتشعث
حيطانها وكان يتهافت فارادوا تجديدها
وتعليتها وخافوا من الأقدام على هدمها وكان
للكعبة كنز وجدوه عند دويل مولى لبني مليح
من خزاعة واخذته قريش منه وقطعت يده
واتهموا به الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف
ان يكون قد تولى اخذه واودعه عند
دويل فنافروه الى كاهنة من كهان العرب
فسجعت عليه من كهانتها ان لا يدخل مكة عشر
سنين بما استحل من حرمة الكعبة فكان يجول
حول مكة حتى استوفى العشر وكان يظهر
في الكعبة حية يخاف الناس منها لا يدنو امنها

احد الاخزالت وفتحت فاها فتوقوها الى ان
علت ذات يوم على جدار الكعبة فسقط طاير
فاختطفها فقالت قريش انا لنرجوا ان يكون
الله قد رضي ما اردنا وكان البحر قد قذف
سفينة على ساحل جدة لرجل من تجار الروم
وكان بمكة تجار من القبط فهياء لهم تسقيف
الكعبة بخشب السفينه فلما ازمعوا على هدمها
قام ابو وهب بن عمير وكان خال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذا اشرف وقدر فاخذ حجرا
من الكعبة فوثب الحجر من يده حتى عاد عاد الى
موضعه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها
من كسبكم الا طيبا ولا تدخلوا فيها مهر بغي ولا بيع
ربا ولا مظلمة احد من الناس وتصورت قريش
ان عود الحجر من يد ابي وهب الى موضعه ان الله
تعالى قد كره هدمها فهابوه وقال الوليد بن
المغيرة انا ابداكم في هدمها فاخذ المعول وقام
عليها وهو يقول اللهم لا نريد الا الخير ثم هدم
الركنين فتربص الناس به تلك الليلة وقالوا
ننتظر فان اصيب لم نهدم وان لم يصب
هدمناها وقد رضي ما صنعنا فاصبح الوليد من
ليلته وعاد الى عمله وتحاصت قريش الكعبة

فلما انتهى

فكان شق البيت لبني عبد مناف وزهرة وما
بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم
وتميم وقبايل انضمت اليه من قريش وكان
شق الحجر والحطيم لبني عبد الدار وبني عبد
العزى وبني عدي وكان ظهر الكعبة لبني جمح وبني
سهم حتى انتهوا الى الأساس فافضوا الى حجارة
خضر قيل انها كانت على قبر اسمعيل فضربوا
المعول بين حجرين فلما تحرك انتفضت مكة باسرها
فكفوا وانتهوا الى اصل الأساس وجمعت كل
قبيلة حجارة ما هدمت وبنوا حتى انتهوا الى اصل
الأساس ركن الحجر فتنازعت القبايل فيمن يضع
الحجر في موضعه من الركن فاقتتلوا حتى مكثوا اربعة
ليال او خمس ثم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا فقال
ابو امية بن المغيرة وكان امين قريش في وقته
يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه
اول رجل يدخل من باب هذا المسجد فكان
اول داخل عليهم منه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا هذا محمد وهو الأمين فقالوا
قد رضينا به لما قد استقر في نفوسهم من
فضله وامانته فلما وصل اليهم اخبروه فقال
ائتوني ثوبا فأتوه بثوب فأخذ الحجر ووضعه

فيه بيده وقال لتأخذ كل قبيلة بناحية من
الثوب وليرفعوه جميعا ففعلوا فلما بلغ الحجر الى
موضعه وضعه فيه بيده وكان هذا الفعل
من مستحسن افعاله واثاره والرضا به من امارات
طاعته وكان ذلك بعد عام الفجار بخمس عشرة
سنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ
ابن خمس وثلاثين سنة وكان ذلك تاسيسا
لما يريده الله تعالى به من كرامته وتوطية لقبول
ما تحمله من رسالته والله اعلم بغيب ما استأثر من علمه

الباب العشرون

في شرف اخلاقه وكمال فضايله

المهيا لأشرف الأخلاق واجمل الأفعال مؤهل
لأعلى لأعلى المنازل وافضل الأعمال لأنها اصول
تقود الى ما ناسبها ووافقها وتنفر مما باينها
وخالفها ولا منزلة في العالم اعلى من النبوة التي
هي سفارة بين الله وعباده تبعث على مصالح
الخلق وطاعة الخالق فكان افضل الخلق بها احض
واكملهم بشروطها احق بها وامس ولم يكن في
عصر الرسول وما دانا طرفيه من قاربه في فضله
ولا داناه في كماله خلقا وخلقا وقولا وفعلا
وبذلك وصفه الله تعالى في كتابه بقوله وانك

لعلى خلق

لعلى خلق عظيم فان قيل فليست فضائله دليلا
على نبوته ولم يسمع بنبي احتج بها على امته ولا عول
عليها في قبول رسالته لأنه قد يشارك فيها حتى يأتي
بمعجز يخرق العادة فيعلم بالمعجز انه نبي لا بالفضل قيل
الفضل من اماراتها وان لم يكن من معجزاتها ولأن تكامل
الفضل معوز فصار كالمعجز ولأن من كمال الفضل
اجتناب الكذب وليس من كذب في ادعاء النبوة بكامل
الفضل فصار كمال الفضل موجبا للصدق والصدق موجبا
لقبول القول فجاز ان يكون من دلائل الرسل فصل
فاذا وضح هذا فالكمال المعتبر في البشر يكون من
اربعة اوجه احدها كمال الخَلق والثاني كمال
الخُلق والثالث فضائل الأقوال والرابع فضائل
الأعمال فأما الوجه الأول في كمال خلقه بعد
اعتدال صورته فيكون باربعة اوصاف احدها
السكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم الداعية الى
التقديم والتسليم وكان اعظم مهاب في النفوس حتى
ارتاعت رسل كسرى من هيبته حين اتوه مع ارتياضهم
بصولة الأكاسرة ومكاثرة الملوك الجبابرة فكان في
نفوسهم اهيب وفي اعينهم اعظم وان لم يتعاظم باهبة
ولم يتطاول بسطوة بل كان بالتواضع موصوفا
وبالوطا معروفا فصل

والثانى الطلاقة الموجبة للأخلاص والمحبة
الباعثة على المصافاة والمودة وقدكان محبوبًا
ولقد استحكمت محبة لطلاقته فى النفوس حتى لم
يقله مصاحب ولا تباعد منه مقارب وكان
احب الى اصحابه من الآباء والأبناء وشرب
البارد على الظماء فصل

والثالث حسن القبول الجاذب لمماثلة القلوب حتى
تسرع الى طاعته وتذعن بموافقته وقدكان قبول
منظره مستوليا على القلوب ولذلك استحكمت
مصاحبته فى النفوس حتى لم ينفر منه معاند ولا
استوحش منه مباعد الامن ساقه الحسد الى
شقوته وقاده الحرمان الى مخالفته فصل

والرابع ميل النفوس الى متابعته وانقيادها الى
لموافقته وثباتها على شدائده ومصابرته فما
شذ عنه معها من اخلص ولا ندعنه فيها من
تخصص وهذه الأربعة من دواعى السعاده
وقوانين الرسالة وقدتكاملت فيه فكمل لما يوازنها
واستحق ما يقتضيها فصل

واما الوجه الثانى فى كمال اخلاقه فيكون بست
خصال احداهن رجاحة عقله وصحة وهمه وصدق
فراسته وقد دل على وفور ذلك فيه صحة رأيه

وصواب

وصواب تدبيره وحسن تألفه وانه ما استغفل في مكيدة ولا استعجز في شديدة بل كان يلحظ الاعجاز في المبادي فيكشف عيوبها ويحل خطوبها وهذا لا ينتظم الا باصدق وهم واوضح حزم

والخصلة الثانية ثباته في الشدائد وهو مطلوب وصبره على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب ونفسه في اختلاف الاحوال ساكنة لا يحوز في شديدة ولا يستكين لعظيمة او كبيرة ويقدر على الخلاص لو باشر وهو لا يزداد الا اشتدادا وصبرا وقد لقي بمكة من قريش ما يشيب النواصي ويهد الصياصي وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي ويثبت ثبات المستولي وروى حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد اخفت في الله وما يخاف احد ولقد اوذيت في الله وما يوذى احد ولقد اتت على ثلثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد الا شي يواريه ابط بلال وروى عبد الرحمن بن زيد عن عايشة رضي الله عنها قالت ما شبع آل محمد من الشعير يومين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صبر على هذه الشدايد في الدعا الى الله تعالى امتنع ان يريد

به الدنيا وقد زويت عنه وما ذاك الا لطلب
الآخرة ومستحيل ممن كذب في ادعائه اليها ان
يستوحشها او كذب على الله ان يثاب بها **فصل**
والخصلة الثالثة زهده في الدنيا واعراضه
عنها وقناعته بالبلغة منها فلم يمل الى غضارتها
ولم يله لحلاوتها روى سفين الثوري عن حبيب
ابن ابي ثابت عن خيثمة بن عبد الرحمن قال قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت اعطيت
خزاين الأرض ما لم يعطه احد قبلك ولا يعطاه
احد بعدك ولا ينقصك في الآخرة شيء قال
اجمعوها لي في الآخرة فنزلت تبارك الذي ان شاء
جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها
الأنهار ويجعل لك قصورا وروى هلال بن ابي
حباب عن عكرمة عن بن عباس رضي الله عنه
ان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه دخل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير
قد اثر في جسمه فقال له يا رسول الله لو اتخذت
فراشا اوطى من هذا فقال مالي و للدنيا مالي
وللدنيا مالي و للدنيا والذي نفسي بيده ما مثلي
ومثل الدنيا الا كراكب سار في يوم صايف فاستظل
تحت شجرة ساعة من النهار ثم راح وتركها

ولاي عهد

وروى حميد بن بلال بن ابى بردة قال اخرجت
الينا عايشه رضي الله عنها كسا ملبدا ملها
وازارا غليظا وقالت قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى هذين هذا وقد ملك من اقصى
الحجاز الى عدار العراق ومن اوقصى اليمن الى شجرة
عمان وهو ازهد الناس فيما يقتني ويدخره
واعرضهم عما يستفاد ويحتكر لم يخلف عينا ولا
ذنبا ولا حفر نهرا او لا شيد قصرا ولم يورث
ولده واهله متاعا ولا مالا ليصرفهم عن الرغبة
فى الدنيا كما صرف نفسه عنها فيكونوا على مثل حاله
فى الزهد فيها فروى ابو سلمة عن ابى هريرة
قال جائت فاطمة عليها السلم الى ابى بكر رضي الله
عنه تريد الميراث فمنعها فقالت من يرثك
قال ولدى واهلى فقالت فلا ترث رسول الله
بنته فقال ابو بكر رضي الله عنه سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول انا لا نورث
ما تركنا فهو صدقة فمن كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعوله فانا اعوله ومن كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ينفق عليه فانا انفق
عليه وحث رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الزهد فى الدنيا والاعراض عن التلبس بها ليكون

عونا على السلامة من نزغاتها وصرف النفوس عن
شهواتها وروى عبد المطلب بن حنطب عن ابى
موسى الأشعرى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من احب دنياه أضر بآخرته فاثروا
ما يبقى على ما يفنى وروى عوف عن الحسن قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا
رأس كل خطيئة وروى ابو حكيم عن ابى الدرداء قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا
الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وروى
عمرو بن مرة عن ابى جعفر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار
الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروى عوف عن
الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما مثل الدنيا كمثل الماشى على الماء هل يستطيع
الذى يمشى على الماء ان لا تبتل قدماه وهذه
الدواعى والوصايا ~~اقتضى~~ ما اقتدى به خلفاؤه فى
زهده واستقلوا بالأمور من بعده فكان أبو
بكر يتخلل عباءة له وهو خليفة فسمى ذا الخلال ليس
وكان عمر يلبس مرقعة من صوف فيها رقاع من
أدم ويطوف فى الأسواق على عاتقه درة يؤدب
بها الناس ويمر بالنوى فيلقطه ويلقيه فى منازل

الناس حتى

الناس حتى يشفعوا به ويطوف وحده فى الليل
عسسا ويتطلع عوامض الأمور تجسسا ليأمر
بالمعروف وينهى عن المنكر وكان عثمن يقوم الليل
كله يختم القرآن فى ركعة وجاد بماله وفدا الخلق
بنفسه وقال انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وشرب
كما يشرب العبد واشترى على عليه السلام وهو
خليفة قميصا بثلثة دراهم وقطع كمه من موضع
الرسغين وقال الحمد لله الذى هذا من رياشه
ولم يزل يأكل الجشب ويلبس الخشن وفرق الأموال
حتى رش بيت المال ونام فيه وقال يا صفرا يا بيضا
غرى غيرى وحقيق بمن كان فى الدنيا بهذه
الزهادة حتى اجتذب اصحابه اليها ان لا يتهم
بطلبها ويكذب على الله فى ادعاء الآخرة بها
ويقنع فى العاجل وقد سلب الأجل بالميسور
النزر ورضي بالعيش الكدر وقد روى الزهرى
عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى شهر
رمضان فدمى غداك المبارك وقالت ربما لم يكن
الا مرتين وروى عبد الله بن سلمة عن مالك
ابن انس انه بلغه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل المسجد فوجد ابا بكر وعمر عليهما

السلام فسألهما فقال ما اخرجكما فقالا اخرجنا الجوع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اخرجني الجوع فذهبوا الى ابي الهيثم بن التيهان فأمر له ما بحنطة او شعير عنده يعمل وقام فذبح لهم شاة فقال له نكب عن ذات الدر واستعذب لهم ماء علق على نخلة ثم اوتوا بذلك الطعام فاكلوا منه وشربوا من ذلك الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتسئلن عن نعيم هذا اليوم ثم ملكوا الدنيا فرفضوها واقتنعوا بالبلغة فيها

فصل

والخصلة الرابعة تواضعه للناس وهم أتباع وخفض جناحه لهم وهو مطاع يمشي في الأسواق ويجلس على التراب ويمتزج باصحابه وجلسائه فلا يتميز عنهم الا باطراقه وحيائه فصار بالتواضع متميزا وبالتذلل متعززا ولقد دخل عليه بعض الأعراب فارتاع من هيبته فقال خفض عليك فانما انا ابن امراة كانت تاكل القديد بمكة وهذا من شرف اخلاقه وكريم شيمه فهي غريزة فطر عليها وجبلة طبع بها لم تندر فتعد ولم تحصر فتحد

فصل

والخصلة الخامسة حلمه ووقاره عن طيش يهزه او خرق يستفزه فقد كان احلم في النفار من كل

حليم

حليم واسلم في الخصام من كل سليم وقد مني بجفوة
الأعراب فلم يوجد منه نادرة ولم يحفر عليه
بادرة ولا حليم غيره الا ذو عثرة ولا وقور سواه
الا ذو هفوة فان الله تعالى عصمه من نزغ الهوى
وطيش القدرة بهفوة او عثرة ليكون بأمته
رؤفا وعلى الخلق عطوفا قد تناولته قريش بكل
كبيرة وقصدته بكل جزيرة وهو صبور عليهم
ومعرض عنهم وما تفرد بذلك سفهاؤهم دون
حلمائهم ولا اراذلهم دون عظمائهم بل تمالأ عليه
الجلة والدون فكلما كانوا عليه الأم والح كان عنهم
اعرض واصفح قد قهر فعفا وقدر فغفر وقال
لهم حين ظفر بهم عام الفتح وقد اجتمعوا اليه
ما ظنكم بي قالوا ابن عم كريم فان تعف فذاك الظن
بك وان تنتقم فقد اسأنا فقال بل اقول كما
قال يوسف لأخوته لا تثريب عليكم اليوم
يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال صلى الله
عليه وسلم اللهم قد اذقت اول قريش نكالا فاذق
آخرهم نوالا وأتته هند بنت عتبة وقد بقرت
بطن عمه حمزه ولاكت كبده فصفح عنها واعطاها
يده لبيعتها فان قيل فقد ضرب رقاب بني قريظة
صبرا في يوم احد وهم نحو سبعمائة فأين موضع

العفو والصفح وقد انتقم انتقام من لم يعطفه
عليهم رحمة ولا داخلته لهم رقه قيل انما فعل
ذلك في حقوق الله تعالى وقد كانت بنو قريظة
رضوا بتحكيم سعد بن معاذ عليهم فحكم ان من
جرت عليه المواسى قتل ومن لم تجر عليه
استرق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا حكم الله فوق سبعة ارقعة فلم يجز ان
يعفو عن حق وجب لله تعالى عليهم وانما
يختص عفوه بحق نفسه فصل
والخصلة السادسة حفظه للعهد ووفاؤه
بالوعد فانه ما نقض لمحافظ عهدا ولا اخلف
لمراقب وعدا يرى الغدر من كبائر الذنوب والاخلاف
من مساوى الشيم ويلتزم فيهما الاغلظ ويرتكب
فيهما الاصعب حفظا لعهده ووفاء بوعده
حتى يبتدى معاهدوه بنقضه فيجعل الله له
مخرجا كفعل اليهود من بني قريظة وبني النضير
وكفعل قريش بصلح الحديبية فجعل الله له في
نكثهم الخيرة فهذه ست خصال تكاملت في
خلقه فضله الله بها على جميع خلقه فصل
واما الوجه الثالث في فضائل اقواله فمعتبر
بثمان خصال احداهن ما اوتي من الحكمة البالغة

واعطي من

واعطي من العلوم الجمة الباهرة وهو امي من امة
امية لم يقرأ كتابا ولا درس علما ولا صحب عالما
ولا معلما فأتى بما بهر العقول واذهل الفطن
من اتقان ما ابان واحكام ما اظهر فلم يعثر فيه
بذلك في قول او عمل وجعل مدار شرعه على
اربعة احاديث اوجز بها المراد واحكم بها الاجتهاد
احدها قوله انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ
ما نوى والثاني قوله الحلال بين والحرام بين
وبين ذلك امور مشتبهات ومن يحم حول الحما
يوشك ان يقع فيه والثالث قوله من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والرابع قوله دع
ما يريبك الى ما لا يريبك وقد شرع من تقدم
من حكماء الفلاسفة سننا حملوا الناس على
التدين بها حين علموا انه لا صلاح للعالم الا بدين
ينقادون له ويعملون به فما راق لها اثر ولا فاق
لها خبر وهم ينبوع الحكم واعيان الامم وما هذه
الفطرة في الرسول الامي صفاء جوهره وخلوص
مخبره

فصل

والخصلة
الثانية حفظه لما اطلعه الله عليه من قصص
الانبياء مع الامم واخبار العالم في الزمن الاقدم حتى
لم يعزب عنه منها صغير ولا كبير ولا شذ عنه

منها قليل ولا كثير وهو لا يضبطها بكتاب يدرسه ولا يحفظها بمعين تحرسه وما ذاك الا من ذهن صحيح وصدر فسيح وقلب شريح وهذه الثلاثة آلة ما استودع من الرسالة وحمل من اعباء النبوة فجدير ان يكون بها مبعوثا وعلى القيام بها محثوثا فصل

والخصلة الثالثة احكامه لما شرع باظهر دليل وبيانه باوضح تعليل حتى لم يخرج منه ما يوجبه معقول ولا دخل فيه ما تدفعه العقول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم واختصرت لي الحكمة اختصارا لانه نبه بالقليل على الكثير فكف عن الاطالة وكشف عن الجهالة وما تيسر ذلك الا وهو عليه معان واليه مقاد فصل

والخصلة الرابعة ما امر به من محاسن الاخلاق ودعا اليه من مستحسن الاداب وحث عليه من صلة الارحام وندب اليه من التعطف على الضعفا والايتام ثم ما نهى عنه من التباغض والتحاسد وكف عنه من التقاطع والتباعد فقال لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا لتكون الفضايل فيهم اكثر ومحاسن الاخلاق بينهم انشر ومستحسن الاداب عليهم اظهر وتكون الى الخير اسرع ومن الشر امنع فيتحقق فيهم قول

الله تعالى

الله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر فلزموا اوامره واتقوا
زواجره فتكامل بهم صلاح دينهم ودنياهم حتى
عز بهم الاسلام بعد ضعفه وذل بهم الشرك
بعد عزه وصاروا ائمة ابرارا وقادة اخيارا

فصل

والخصلة الخامسة وضوح جوابه اذا سئل وظهور
حجاجه اذا جودل لا يحصره عي ولا يقطعه عجز ولا
يعارضه خصم في جدال الا كان جوابه اوضح
وحجاجه ارجح اتاه ابي بن خلف الجمحي بعظم نخر
من المقابر قد صار رميما ففركه حتى صار كالرماد
ثم قال يا محمد انت تزعم انا وآباءنا نعود الى اذا صرنا
هكذا لقد قلت قولا عظيما ما سمعناه من غيرك
من يحيي العظام وهي رميم فانطق الله تعالى
رسوله ببرهان نبوته فقال يحييها الذي انشأها
اول مرة وهو بكل خلق عليم فانصرف مبهوتا ولم
يحر جوابا ولما قال لا عدوى ولا طيرة قال له رجل
يا رسول الله انا نرى النقبة من الجرب في مشفر
البعير فتجد وسائره قال فمن اعدى الاول
فأسكته

فصل

والخصلة السادسة انه محفوظ اللسان من تحريف

فی قول واسترسال فی خبر یکون الی الکذب منسوبا
وللصدق مجانبا فانه لم یزل مشهورا بالصدق فی
خبره ناشیا وکبیرا حتی صار بالصدق مرقوما
وبالامانة مرسوما وکانت قریش باسرها تتیقن
صدقه قبل استدعائهم الی الاسلام فجهروا بتکذیبه
فی استدعائهم الیه فمنهم من کذبه حسدا ومنهم
من کذبه عنادا ومنهم من کذبه نادرة فی غیر الرسالة
الرسالة فجعلوها دلیلا علی تکذیبه فی الرسالة ومن
لزم الصدق فی صغره کان له فی الکبر الزم ومن عصم
منه فی حق نفسه کان فی حقوق الله اعصم وحسبك
بهذا دفعا لجاحد ورد المعاند **فصل**
والخصلة السابعة تحریر کلامه فی التوخی به ابانة
حاجته والاقتصار منه علی قدر کفایته فلا یسترسل
فیه هذرا ولا یحجم عنه حصرا وهو فیما عدا حالتی
الحاجة والکفایة اجمل الناس صمتا واحسنهم
سمتا ولذلك حفظ کلامه حتی لم یختل وظهر
رونقه حتی لم یعتل واستعذبته الافواه حتی
بقی محفوظا فی القلوب مدونا فی الکتب فلن یسلم
الاکثار من زلل ولا الهذر من ملل اکثر اعرابی عنده
الکلام فقال یا اعرابی کم دون لسانك من حجاب قال
شفتای واسنانی فقال صلی الله علیه وسلم ان الله

یکره

استثنيها وان يكون نبيا او رسولا
ولو حفظوا عليه كذبه صح

يكره الإسهاب في الكلام فنضر الله امرئ قصر من
لسانه واقتصر على حاجته

فصل

والخصلة الثامنة انه افصح الناس لسانا واوضحهم
بيانا واوجزهم كلاما واجزلهم الفاظا واصحهم معاني
لا يظهر فيه هجنة التكلف ولا يتخلله فيهقة التعسف
وقال صلى الله عليه وسلم ابغضكم الي الثرثارون
المتفيهقون وقال اياي والتشادق ولما نزل عليه قوله
تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع فيها اسمه بنا
مسجد قبا فحضر عبد الله بن رواحه فقال يا رسول
الله قد افلح من بنا مسجدا المساجد قال نعم يا ابن
رواحه قال ولم يبت لله الا ساجدا قال يا ابن رواحه
كف عن السجع فما اعطي عبد شيئا شر من طلاقة
في لسانه

(في الهامش: قال وصلى فيها قائما وقاعدا قال نعم يا ابن رواحة)

فصل

فمن كلامه الذي لا يشاكل في ايجازه قوله صلى الله عليه
وسلم الناس بزمانهم اشبه وقوله ما هلك امرئ
عرف قدره وقوله لو تكاشفتم ما تدافنتم وقوله السعيد
من وعظ بغيره وقوله حبك للشيء يعمي ويصم
وقوله العقل الوف مألوف وقوله العدة عطية
وقوله اللهم اني اعوذ بك من طمع يهدي الى طبع
وقوله افضل الصدقة جهد المقل وقوله اليد العليا
خير من اليد السفلى وقوله ترك الشر صدقه

وقوله الخير كثير وقليل فاعله وقوله الناس كمعادن الذهب وقوله نزلت المعونة على قدر المؤونة وقوله اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه وقوله أدِّ الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك وقوله المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم وقوله الدنيا سجن المؤمن وبلاؤه وجنة الكافر ورخاؤه

فصل

ومن كلامه الذي لا يشاكل في فصاحته قوله صلى الله عليه وسلم اياكم والمشارة فانها تميت الغره وتحيي العره وقوله لا تزال امتي بخير ما لم ترا الامانة مغنما والصدقة مغرما وقوله رحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع هل يتوقع احدكم الا غنا مطغيا وفقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او الدجال فهو شر غايب ينتظر او الساعة فالساعة ادهى وامر وقوله ثلث منجيات وثلث مهلكات فاما المنجيات فخشية الله تعالى في السر والعلانيه والاقتصاد في الغنى والفقر والحكم بالعدل في الرضا والغضب واما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقوله تقبلوا لي بست اتقبل لكم بالجنة

قالوا وما هي

قالوا وما هي يا رسول الله قال اذا حدث احدكم
فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن
غضوا ابصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا ايديكم وقوله
في بعض خطبه الا ان الايام تطوى والاعمار تفنى
والابدان في الثرى تبلى وان الليل والنهار يتراكضان
تراكض البريد يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد
وفي ذلك عباد الله ما الهى عن الشهوات ورغب
في الباقيات الصالحات وقوله في بعض خطبه وقد خاف
من اصحابه فترة ايها الناس كان الموت فيها على
غيرنا كتب وكان الحق فيها على غيرنا وجب
وكان الذي نشيع من الاموات سفر عما قليل الينا
راجعون نبوئهم احداثهم ونأكل تراثهم كانا مخلدون بعدهم
قد نسينا كل واعظة وامنا كل جائحة طوبى لمن
شغلته آخرته عن دنياه طوبى لمن شغله عيبه عن
عيوب الناس وهذا يسير من كثير لا يأتي عليه
احصاء ولا يبلغه استقصاء وانما ذكرنا مثالا ليعلم
ان كلامه جامع لشروط البلاغة ومعرب عن نهج
الفصاحة ولو مزج بغيره لتميز باسلوبه ولظهر
فيه اثار التنافر فلم يلتبس حقه من باطله ولبان
صدقه من كذبه هذا ولم يكن متعاطيا للبلاغة
ولا مخالطا لاهلها من خطباء او شعراء او فصحاء

وانما هو من غرائز فطرته وبداية جبلته وما ذلك الا لغاية تزداد وحادثة تنشا د فان قيل اذا كان كلامه مخالفا لكلام غيره في البلاغة والفصاحة حتى لم يكن فيه مساجلا ايكون له معجزا قيل له لو كان هو الذى هكذا وتحدا به صار معجزا ولا يكون مع عدم التحدى معجزا

فصل

واما الوجه الرابع في فضايل افعاله فمختبر بثمان خصال احديهن حسن سيرته وصحة سياسته في دين ابتكر شرعه حتى استقر وتدبير احسن وضعه حتى استمر نقل بها الامة عن مالوف الى غير مالوف وصرفهم به عن معروف الى غير معروف فاذعنت به النفوس طوعا وانقادت خوفا وطمعا ويشذ بذ عادة متنزعه الا لمن كان مع التاييد الالهى معانا بحزم صايب وعزم ثاقب ولئن كان مامورا بما شرع فهي الحجة القاهرة ولئن كان مجتهدا فيها فهي الاية الباهرة وحسبك بما استقرت قواعده على الابد حتى انتقل عن سلف الى خلف يزداد فيهم حلاوته ويشتد فيهم جدته ويرونه نظاما لاعصار تتقلب صروفها وتختلف مالوفها ان يكون لمن قام به برهانا ولمن ارتاب به بيانا

فصل

والخصلة

والخصلة الثانية ان جمع بين رغبة من استمالة
ورهبة من استطال حتى اجتمع الفريقان على
نصرته وقاموا بحقوق دعوته رغبا في عاجل وآجل
ورهبا من زايل ونازل لاختلاف الشيم والطبايع
في الانقياد الذي لاينتظم باحدهما ولا يستديم
الا بهما فلذلك صار الدين بهما مستقرا والصلاح
بهما مستمرا **فصل**
والخصلة الثالثة انه عدل فيما شرعه من الدين
عن غلو النصارى في التشديد وعن تقصير اليهود
في التقصير الى التوسط بينهما وخير الامور اوساطها
لانه العدل بين طرفي شرف وتقصير فليس لما
جاوز العدل حظ من رشد ولا نصيب من سداد
وقد قال صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين
فاوغلوا فيه برفق فشر السير الحقحقة وان
المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقا **فصل**
والخصلة الرابعة انه لم يمل باصحابه الى الدنيا
كما رغبت اليهود ولا الى رفضها كما ذهبت النصارى
وامرهم فيها بالاعتدال ان يطلبوا فيها قدر الكفاية
ويعدلوا عن احتجان واستزادة وقال لاصحابه
خيركم من لم يترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه
ولكن خيركم من اخذ من هذه وهذه وهذا

صحيح لأن الانقطاع الى احدهما اخلال والجمع بينهما
اعتدال وقال صلى الله عليه وسلم نعم المطية
الدنيا فارتحلوها تبلغكم الآخرة وانما كان كذلك لأن
منها يتزود لآخرته ويستكثر فيها من طاعته ولأنه
لايخلو تاركها من ان يكون محروما مضاعا او مرحوما
مراعا وهو فى الأول كل وفى الثانى مستذل اثنى
على رجل بخير عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا يارسول الله كنا اذا ركبنا لايزال يذكر الله
تعالى حتى ننزل واذا نزلنا لايزال يصلى حتى نرفع
فقال فمن كان يكفيه علف بعيره واصلاح طعامه
قالوا كلنا قال فكلكم خير منه فصل
والخصلة الخامسة تصديه لمعالم الدين ونوازل
الأحكام حتى اوضح للأمة ما كلفوه من العبادات
وبين لهم مايحل ويحرم من مباحات ومحظورات وفصل
لهم مايجوز ويمتنع من عقود ومناكح ومعاملات حتى
احتاج اليهود والنصارى فى كثير من معاملاتهم
ومواريثهم الى شرعه ولم يحتج شرعه الى شرع
غيره ثم مهد لشرعه اصولا تدل على الحوادث
المغفلة واستنبط الأحكام المعللة فاغنى عن نص
بعد ارتفاعه وعن التباس بعد اعماله ثم امره
الشاهد ان يبلغ الغايب ليعم بانذاره ويحج باظهاره

فقال صلى الله

فقال صلى الله عليه وسلم بلغوا عني ولا تكذبوا
علي فرب مبلغ اوعى من سامع ورب حامل فقه
الى من هو افقه منه فاحكم ما شرع من نص وتنبيه
وعم بما امر من حاضر وبعيد حتى صار لما يحمله من الشرع
مؤديا ولما تقلده من حقوق الأمة موفيا لئلا يكون
في حقوق الله زلل ولا في مصالح الأمة خلل وذلك
في برهة من زمانه لم يستوف تطاول الاستيعاب حتى
أوجز واجز وما زال الابديع معجز **فصل**
والخصلة السادسة انتصابه لجهاد الأعداء وقد
احاطوا بجهاته واحدقوا بجنباته وهو في قطب مهجور
وعدد محقور فزاد به من قل وعز به من ذل وصار
باثخانه بالأعداء ~~محظورا~~ محذورا وبالرعب منه
منصورا فجمع بين التصدي لشرع الدين حتى ظهر
وانتشر وبين الانتصاب لجهاد العدو حتى قهر
وانتصر والجمع بينهما معوز الا من امده الله تعالى
بعونه وايده بلطفه والمعوز معجز **فصل**
والخصلة السابعة ما خص به من الشجاعة في
حروبه والنجدة في مصابرة عدوه فانه لم يشهد
حربا في فراع الا صابر حتى انجلت عن ظفر او دفاع
وهو في موقفه لم يزل عنه هربا ولا حار فيه
رعبا بل ثبت بقلب آمن وجاش ساكن قد ولى

عنه اصحابه يوم حنين حتى بقي بازاء جمع كثير وجم
غفير في تسعة من اهل بيته واصحابه على بغله
مسبوقة ان طلبت غير مستعدة لهرب ولا طلب وهو
ينادي اصحابه ويظهر نفسه ويقول الي عباد الله
انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فعادوا اشدادا
وارسالا وهوازن تراه وتحم فما هاب حرب من كاثره
ولا انكفا عن مطاولة من صابرة وقد عضده الله
باجلاد انجاد فانحازوا وصبر حتى امده الله تعالى
بنصره وما لهذه الشجاعة من عديل ولقد طرق
اهل المدينه فزع فانطلق الناس نحو الصوت فوجدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سبقهم
اليه فتلقوه عائدا على فرس عري لابي طلحة
الانصاري وعليه السيف وجعل يقول ايها الناس
لم تراعوا لم تراعوا ثم قال لابي طلحة انا وجدناه
بحرا وكان الفرس يبطي فما سبقه فرس بعد
ذلك وما ذاك الا عن ثقة من ان الله تعالى
سينصره وان دينه سيظهره تحقيقا لقوله ليظهره
على الدين كله وتصديقا لقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي
لي منها وكفى بهذا قياما بحقه وشاهدا على

صدقه

صدقته

فصل

والخصلة الثامنة ما منح من السخاء والجود حتى
جاد بكل موجود واثر كل مطلوب ومحبوب ومات
ودرعه مرهونة عند يهودي على آصع من شعير
لطعام اهله وقد ملك جزيرة العرب وكان فيها
ملوك وقبايل لهم خزاين واموال يقتنونها ذخرا
ويتباهون فيها فخرا ويستمتعون بها اشرا وبطرا
وقد حاز مماليك جميعهم فما اقتنى دينارا ولا درهما
لا ياكل الا الجشب ولا يلبس الا الخشن ويعطي الجزل
الخطير ويصل الجم الغفير ويتجرع مرارة الاقلال
ويصبر على شعث الاختلال وقد حاز غنايم هوازن
وهي من السبى ستة الف راس ومن الابل اربعة
وعشرون الف بعيرا ومن الغنم اربعون الف
شاة ومن الفضة اربعة الاف اوقية فجاد بجميع
حقه وعاد خلوا وروى ابو وايل عن مسروق عن
عائشة رضي الله عنها قالت ماترك رسول
الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة
ولا بعيرا ولا اوصى بشيء وروى عمرو بن مرة عن
سويد بن الحرث عن ابى ذر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما يسرني ان لى احدا ذهبا
انفقه فى سبيل الله اموت يوم اموت وعندى منه

دينارا الا ان اعده لغريم وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا سئل وهو معدم وعد ولم يرد
وانتظر ما يفتح الله فروى حماد بن زيد عن يعلى
ابن زياد عن الحسن ان رجلا جاء الى النبي صلى الله
عليه وسلم فسأله فقال اجلس سيرزقك
الله ثم جاء آخر ثم اخى فقال لهم اجلسوا فجاء رجل
باربع اواق فاعطاه اياها وقال يا رسول الله هذه
صدقة فدعا النبي الأول فاعطاه اوقية ثم دعا
الثاني فاعطاه اوقية ثم دعا الثالث فاعطاه اوقية
وبقيت معه اوقية واحده فعرض بها للقوم فما
قام احد فلما كان الليل وضعها تحت راسه وفراشه
عباة فجعل لا يأخذه النوم فيرجع فيصلى فقالت
له عائشة رضوان الله عليها هل بك شيء قال لا
قالت فجاءك امر من الله قال لا قالت انك صنعت مه
منذ الليلة شيئا لم تكن تفعله واخرجها وقال هذه
التي فعلت بي ما ترين اني خشيت ان يحدث امر من
الله ولم امضها وروى الزهري عن ابي سلمة عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا
اولى بالمومنين من انفسهم فمن ترك دينا فعلي ومن
ترك مالا فلورثته فهل مثل هذا الكرم والجود كرما
وجودا ام هل لمثل هذا الأعراض والزهادة مه

اعراضا

اعراضا وزهدا هيهات هيهات ان يترك شيئا
ومن هذا شذور من فضائله ويسير من محاسنه
التي لا تحصى لها عدد ولا يدرك لها امد لم تكمل
في غيره فتساويه ولا كذب بها ضد يناويه
ولقد جهد كل منافق ومعاند وكل زنديق
وملحد ان يزري عليه في قول او فعل او يظفر
بهفوة في جد او هزل فلم يجد اليه سبيلا
وقد جهد جهده وجميع كيده فاي فضل اعظم
من فضل تباهته الحسدة والاعداء فلم يجدوا
فيه مغمز الثالب او قادح ولا مطعنا لجارح او فاضح
فهو كما قال الشاعر

شهد الانام بفضله حتى العدى   والفضل ما شهدت به الاعداء

وحقيق بمن بلغ من الفضائل غايتها واستكمل لغايات
الامور التيها ان يكون لزعامة العالم مؤهلا وللقيام
بمصالح الخلق مؤملا ولا غاية لبشر بعد النبوة
ان يعمر به صلاح او ينحسم به فساد فاقتضى ان
يكون لها اهلا وللقيام بها مؤهلا ولذلك
ما استقرت به حين بعث رسولا ونهض بحقوقها
حين قام بها كفيلا فناسبها وناسبته ولم يذهل
لها حين اتته فكل متناسبين متشاكلان
وكل متشاكلين متآلفان مؤتلفان وكل مؤتلفين

متفقان والاتفاق وفاق هو اصل كل انتظام وقاعدة كل التئام فكان ذلك من اوضح الشواهد على صحة نبوته واظهر الامارات في صدق رسالته فما ينكرها بعد الوضوح الا مفضوح فالحمد لله الذى وفق لطاعته وهدى الى التصديق برسالته

الباب الحادى والعشرون

في مبتداء بعثته واستقرار نبوته

جعل الله لكل مقدور من الامور اذا دنى نذيرا وبشيرا ليظهر بهما مبادى ما اخفاه ويشعر بحلول ما قدره وقضاه ليكون تقدمة وتحذيرا يستيقظ بهما الغفول ويزدجر بهما الجهول لطفا بعباده من فجاءة الامور المذهلة ان تصدم بوادر لا تستدرك لتكون النفوس في مهلة من استدفاع خطبها وحل صعبها ولما دنا مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنبوة رسولا الى الخلق بشيرا ونذيرا انتشر في الامم ان الله تعالى سيبعث نبيا في هذا الزمان وان ظهوره قد قرب وان كانت كل امة لها كتاب تعرف ذلك من كتابها والتى لا كتاب لها ترى من الايات المنذرة ما تستدل عليه بعقولها وتتنبه عليه بهواجس

فطرها

فطرها الهاما اعان به الفطن اللبيب وانذر به
الحازم الأريب هذا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم غافل عنها وغير عالم انه مراد بها ومؤهل
لها لم يشعر بها حتى نودي ولا يحققها حتى نوجي
ليكون ابعد من التهمه واسلم من الظنه ثم
فيكون ذلك برهانه اظهر وحجاجه اقهر وكان
مع تميزه عن قومه بشرف اخلاقه وكرم طباعه لم
يعبد معهم صنما ولا عظم وثنا وكان متدينا
بغرائض العقول في قول جميع الفقهاء والمتكلمين
من توحيد الله تعالى وقدمه وحدوث العالم وفنائه
وشكر المنعم وتحريم الظلم ووجوب الأنصاف وأداء
الأمانة واختلف اهل العلم هل كان قبل مبعثه
متعبدا بشريعة من تقدمه من الأنبياء فذهب
اكثر المتكلمين وبعض الفقهاء من اصحاب الشافعي
وابي حنيفة الى انه لم يكن متعبدا بشيء من الشرائع
لأنه لو تعبد بها لتعلمها ولعمل بها ولو عمل بها لظهر
زمنه ولو ظهرت منه لأتبعه فيها الموافق ونازعه
فيها المخالف وذهب بعض المتكلمين واكثر الفقها
من اصحاب الشافعي وابي حنيفة الى انه كان متعبدا
بشريعة من تقدمه من الأنبياء لأنهم دعوا الى
شرائعهم من عاصرهم ومن يأتي بعدهم ما لم ينسخ،

بنبوة حادثة فدخل الرسول في عموم الدعا قبل
مبعثه لأن الله تعالى لا يخلى زمانا من شرع
متبوع ولا متدينا به من تعبد مسموع واختلف
من قال بهذا فيما كان متعبدا به من الشرائع
المتقدمة فذهب بعضهم الى انه كان متعبدا به
من الشرائع المتقدمة وذهب بعضهم الى انه كان
متعبدا بشريعة جده ابراهيم الا من سفه نفسه
ولانه كان متعبدا بشريعة موسى عليه السلام
فيما لم تنسخه شريعة عيسى عليه السلام لظهور
شريعته في التوراة ودروس ما تقدمها من الشرائع
مع قول الله تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى
ونور وذهب اخرون الى انه كان متعبدا بشريعة
عيسى عليه السلام لأنها كانت ناسخة لشريعة
موسى عليه السلام فلم قبل مبعثه من خرج
في دينه وقدح في نفسه وهذا من امارات الأصطفاء
ومقدمات الأجتباء **فصل**
ولما جد الأمر في النبوة ودنا وقتها حبب الله تعالى
الرسول الخلا بعد اربعين سنة من عمره حين تكامل
نهاه واشتد قواه ليكون مهيأ لما قدر له ومتاهبا
لما اريد به فكان يتخلا في غار حرا في ذوات العدد
من الليالي وقيل شهرا في السنة على عادة كانت

لقريش في

لقوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولانه كانوا في الحج والعمرة ... * وذهب آخرون الى انه كان متعبدا

تعرتيش فى النبر بالمجاورة بحرا وبعود الى اهله الى ان
استدام الخلاء فى الغار لما اراده الله تعالى به فكان
يؤتى بطعامه وشرابه فيأكل منه ويطعم المساكين
برهة من زمانه وهو غافل عن النبوة وان كان
فى الناس موهوما وعند اهل الكتب معلوما ليكون
ابتكارا لبديهة بها مانعا من التصنع فلا ينسب الى
اختراعها ولو تصنع واخترع لظهرت اسبابهما ونمت
شواهدهما ولم يخف على من عاداه ان يتداوله وعلى
من والاه ان يتناوله وحسبك بهذا وضوحا أن
يكون بعيدا من التهمة سليما من الظنة فيهما
فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلوته
الى ان اظهر الله تعالى له امارات نبوته فأيقظه
بها بعد الغفلة وبشره بها بعد المهلة ثم بعثه
بها رسولا بعد البشرى على تدريج ترتيب فيها
احواله ليستوطىء لتحمل اثقالها ويعلم لوازم حقوقها
حتى لا تفجاءه بغتته فيذهل ولا يخفى عليه حقوقها
فينكل فكان ذلك من الله تعالى لطفا به وانعاما
عليه وداعيا لأمته فى الأنقياد اليه فسبحانه من
لطيف بعباده ومنعم على خلقه **فصل**
والذى تدرجت اليه احواله فى النبوة حتى علم انه
نبي مبعوث ورسول مبلغ ترتب تدريجا على ستة

احوال تنقل فيها الى منزلة بعد منزلة حتى بلغ
غايتها فالمنزلة الأولى الرؤيا الصادقة في منامه
بما سيؤول اليه امره فكان ذلك ادكارا بها ليروض
بها نفسه وتختبر فيها حواسه فيقوم بها اذا بعث
وهو عليها اقوى وبها املى وروى الزهري
عن عروة عن عائشة رضي الله عنها انها قالت
اول ما ابتدى به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة كان تجيء في مثل
فلق الصبح حتى فجاءه الحق واختلف في هذه الرؤيا
هل كانت قبل انقطاعه الى الخلوة بحرا فحكى عروة
عن عائشة رضي الله عنها انه حبب اليه الخلا
بعد الرؤيا وذهب قوم الى ان الرؤيا جاءت بعد
خلوته لأنه خلا على غفلة من امره وقد روت
برة بنت ابي تجراة ان الله تعالى لما اراد كرامة
رسوله بالنبوة كان لا يمر بشجر ولا حجر الا قال
السلام عليك يا رسول الله فكان يلتفت عن
يمينه وشماله وخلفه فلا يرى شيئا أحدا
فاحتمل ان يكون ذلك قبل رؤيا المنام فيكون
كالهتوف الخارجة عن اعلام الوحي الى اعجاز النبوة
واحتمل ان يكون بعد الرؤيا فيكون تصديقا
لها وتحقيقا لصحتها فصل

والمنزلة الثانية

والمنزلة الثانية ما ميز به من سائر الخلق من
تقديسه عن الارجاس وتطهيره من الادناس
ليصفوا فيصطفا ويخلص فيستخلص فيكون ذلك
انذارا بالأمر وتنبيها على العاقبة وهو ما رواه
عروة بن الزبير عن ابى ذر الغفارى قال سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اول نبوته
فقال يا ابا ذر اتانى ملكان وانا ببطحا مكة
فوقع احدهما على الأرض والآخر بين السما والأرض
فقال احدهما لصاحبه أهو هو قال هو هو قرنه
برجل من امته فوزنت برجل فرجحته ثم قال
زنه بعشرة فوزنت بعشرة فرجحتهم ثم قال زنه
بمائة فوزنت بمائة فرجحتهم ثم قال زنه بألف
فوزنت بالف فرجحتهم فجعلوا ينشرون على في
كفة الميزان فقال احدهما للآخر لو وزنته
بأمته لرجحها ثم قال احدهما لصاحبه شق
بطنه فشق بطنى ثم قال شق قلبه فشق قلبى
واخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم ثم قال
اغسل بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل
الملاه ثم دعا بالسكينة فادخلت قلبى ثم قال خط
بطنه فخاط بطنى فما هو الان وليا حتى كأنما
اعاين الأمر وروى انس بن مالك قال لما جاء

ان بنيا، رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام
حول الكعبة وكانت قريش تنام حولها فاتاه جبريل
وميكائيل فقالا بايهم امرنا فقالا امرنا بسيدهم ثم
ذهبا وجاآ من القابلة وهم ثلثة فالفوه وهو نائم ثم
فقلبوه لظهره وشقوا بطنه ثم جاؤا بما من زمزم
فغسلوا ما كان في بطنه من شك اوضلالة او
جاهلية ثم جاؤا بطست من ذهب قد مليت ايمانا
وحكمة فملي بطنه وجوفه ايمانا وحكمة وهذا
موافق لحديث ابي ذر في المعنى وان خالفه في الصفة
فتواردا في الروايه وهو انذار بالنبوة فصل
والمنزلة الثالثة البشرى بالنبوة من ملك اخبر بها
عن ربه اختصت بشراه بالاستشعار وتجردت عن
تكليف وانذار لم يسمع بها وحيا ولا راى معها
شخصا وانما كان احساسا بالملك اقترن باية دلت
وامارة ظهرت اكتفى بها عن مشاهدته وستغنى
بها عن نطقه ليعلم انه من انبياء الله فيتاهب
لوحيه وبيان بامهاله فيكون على البلوى من الصبر
وللنعمه الكبرى اشكر وروى الشعبي وداود بن عامر
ان الله تعالى قرن اسرافيل بنبوة رسوله ثلاث
سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه ويعلمه الشي
بعد الشي ولا ينزل عليه بالقرآن فكان في هذه

المدة

المدة مبشرا بالنبوة وغير مبعوث الى الأمة فاحتمل
ان يكون امهاله فيها معونة للرسول الله صلى
الله عليه وسلم واحتمل ان يكون نظرا للأمة واحتمل
ان يكون لأوان المصلحة وليس يمتنع ان يكون لجميعها
فانه أعلم بسر ما أخفى واعرف بمعنى ما أظهر

فصل

والمنزلة الرابعة ان نزل عليه جبريل بوحي ربه
حتى راى شخصه وسمع مناجاته فاخبره انه نبي
الله ورسوله واقتصر به على الأخبار ولم يأمره
بالأنذار ليعلمها بعد البشرى عيانا ويقطع بها يقينا
فتكون نفسه بها اوثق وعلمه بها اصدق فلا يعترضه
وهم ولا يخالطه ريب روى الزهرى عن عايشة
رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما فجئه الحق اتاه جبريل فقال يا محمد انت رسول الله
قال رسول الله فجثوت لركبتي وانا قايم ثم رجعت
ترجف بوادري ثم دخلت على خديجة فقلت زملوني
زملوني حتى ذهب عني ثم اتاني فقال يا محمد
انا جبريل وانت رسول الله ثم قال اقراء باسم
ربك الذى خلق فأتيت خديجة فقلت لقد
اشفقت على نفسي فاخبرتها خبري فقالت
ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم

وتصدق الحديث وتؤدى الأمانة وتحمل الكل وتقرى
الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت بي الى ورقه
ابن نوفل وكان بن عمها وخرج فى طلب الدين وقيل قراء
التوراة والأنجيل وتنصر وقالت اسمع من ابن اخيك
فسألني فاخبرته خبرى فقال هذا الناموس الذى
نزل على موسى يعنى جبريل ليتنى اكون حيا حين
يخرجك قومك فقلت امخرجي هم قال نعم انه لم يجي رجل
قط بما جيت به الا عودى ولئن ادركني يومك لأنصرنك
نصرا موزرا ثم كان اول ما نزل على رسوله من القرآن
بعد اقرأ ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة
ربك بمجنون وان لك لأجرا غير ممنون وانك لعلى
خلق عظيم فستبصر ويبصرون ونزل عليه ذلك
ليزداد به ثباتا ولنفسه استبصارا ولنعمة ربه
شكرا وروي ان خديجة رضي الله عنها قالت ،،
لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يستطيع ان
تخبرني بصاحبك هذا اذا اتاك يعنى جبريل قال نعم جاءك
قالت فاخبرني به اذا اتاك فجاءه جبريل فقال لها
يا خديجة هذا جبريل قالت قم فاجلس على فخذى
اليسرى فجلس عليها فقالت هل تراه قال نعم قالت
فتحول الى فخدى اليمنى فتحول اليها فقالت هل تراه قال
نعم قالت فتحول الى حجري فتحول فى حجرها فقالت هل
تراه

تراه قال نعم فتحسرت والقت قناعها وهو جالس في
حجرها وقالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عم اثبت
وابشر فوالله انه لملك وما هو بشيطان وامنت
به فكانت اول من اسلم من جميع الناس واستظهرت
خديجة بما فعلته من هذا في حق نفسها لا في حق
الرسول ولا استظهارا عليه واكتفى رسول الله صلى
الله عليه في تصديق جبريل عليه السلام بما عاينه
من اياته المعجزة وكان ما نزل به جبريل في هذه الحال
مقصورا على اخباره بالنبوة ليعلم انه ان الله
تعالى قد اصطفاه فينقطع اليه ويقف نفسه على
ما يؤمر به فينزل عليه فيكون لاوامره متبعا ولما يراد
به متوقعا واذن له في ذكره وان لم يؤذن له في
انذاره لقول الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث
اي بما جاءك من النبوة فكان يذكرها مستبشرا

فصل

والمنزلة الخامسة ان امر بعد النبوة بالانذار فصار
به رسولا ونزل عليه القرآن بالامر والنهي
فصار به مبعوثا ولم يؤمر بالجهر وعموم الانذار
ليختص بمن امنه ويشتد بمن اجابه فنزل عليه
قوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر وربك
فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر

ولربك فاصبر فتمت نبوته بالوحي والأنذار وان
كان على استسرار وكان ذلك في يوم الأثنين
من شهر رمضان قال هشام بن محمد اول ماتلقه
ما تلقاه جبريل في ليلة السبت ثم ليلة الأحد ثم
ظهر له برسالته اليه في يوم الاثنين وروى ابو
قتادة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم
الأثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه وانزل علي فيه
النبوة واختلف في اي اثنين كان من شهر رمضان
فقال ابو قلابه كان في الثامن عشر منه وقال
ابو الخلد كان في الرابع والعشرين منه وهو ابن
اربعين سنة في قول الأكثرين لأربعين سنة مضت
من عام الفيل وزعم قوم انه كان بن ثلث واربعين
سنة قال هشام بن محمد وذلك لعشرين سنة
من ملك كسرى ابرويز وقال غيره لستة عشر
سنة من ملكه ثم روى ان جبريل عليه السلام نزل
عليه في يوم الثلاثا ثاني النبوة وهو باعلى مكة
فهمز بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت منه عين
فتوضأ جبريل منها ليريه كيف الطهور فتوضأ
مثل وضوئه ثم قام جبريل فصلى وصلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بصلاته فكانت هذه اول

عبادة

عبادة فرضت عليه ثم انصرف جبريل فجاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى خديجة فتوضأ
لها حتى توضأت وصلى بها كما صلى به جبريل عليه
السلام فكانت اول من توضأ بعده وصلى وأستتر
بالأنذار بمن يأمنه فاختلف في اول من اسلم
بعد خديجة على ثلثة اقاويل احدها ان علي
ابن ابي طالب عليه السلام اول من اسلم من الذكور
وصلى وهو بن تسع سنين وقيل ابن عشر وهذا
قول جابر بن عبد الله وزيد بن اسلم وروى
يحيى بن عفيف عن ابيه عفيف قال جئت في
الجاهلية الى مكة فنزلت على العباس بن عبد
المطلب فلما طلعت الشمس وحلقت في السماء
اقبل شاب فرمى ببصره الى السماء واستقبل الكـ
الكعبة فقام مستقبلها فلم يلبث ان جاء غلام
فقام عن يمينه فلم يلبث ان جاءت امرأة فقامت
خلفهما فركع الشاب وركع الغلام والمراءة ورفع الشاب
فرفع الغلام والمراءة فخر الشاب ساجدا فسجدا
معه فقلت للعباس يا عباس هل تدري من هذا
قال العباس نعم هذا محمد بن عبد الله بن اخي
وهذا علي بن ابي طالب ابن اخي وهذه خديجة
بنت خويلد زوجة بن اخي وهذا حدثني ان

رب السماء امرني بهذا الذي تراهم عليه وايم الله ما اعلم على ظهر الارض كلها احدا على هذا الدين غير هولاء الثلاثة والقول الثاني ان اول من اسلم وصلى ابو بكر وهذا قول بن عباس وابي امامة الباهلي وروى ابو امامه عن عمرو بن عبسه السلمي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بعكاظ فقلت يا رسول الله من تبعك على هذا الامر قال تبعني عليه رجلان حر وعبد ابو بكر وبلال قال فاسلمت عند ذلك فلقد رايتني اذ ذاك ربع الاسلام وقال الشعبي سالت بن عباس رضي الله عنه عن اول الناس اسلاما فقال اما سمعت قول حسان ابن ثابت

اذا تذكرت شجوا من اخي ثقة فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها واعدلها بعد النبي واوفاها بما حملا
الثاني التالي المحمود مشهده واول الناس منهم صدق الرسلا

والقول الثالث ان اول من اسلم زيد بن حارثه وهذا قول عروة بن الزبير وسليمن بن يسار وجعل ابو بكر يدعوا الى الاسلام من يثق به لانه كان تاجرا ذا خلق معروف وكان انسب قريش واعلمهم بما كانوا عليه من خير وشر حسن

التالف

التألف لهم وكانوا يكثرون غشيانه فاسلم على
يده عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله
والزبير بن العوام وسعد بن ابى وقاص وعبد
الرحمن بن عوف فجا بهم الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين استجابوا اليه بالاسلام وصلوا
فصاروا مع من تقدم ثمانية نفرهم اول من اسلم
وصلى وقيل انه اسلم معهم سعيد بن العاص ثم
ابو ذر ثم تتابع الناس فى الاسلام ورسول الله
صلى الله عليه وسلم على استسراره بالدعاء
وان انتشرت دعوته فى قريش **فصل**
والمنزلة السادسة ان امر بان يعم بالانذار
بعد خصوصه ويجهر بالدعاء الى الاسلام بعد
استسراره فانزل الله تعالى عليه فاصدع بما
تؤمر واعرض عن المشركين فجهر بالدعاء قال بن
اسحاق وذلك بعد ثلث سنين من مبعثه وامر
ان يبدا بعشيرته الاقربين فقال تعالى
وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك
لمن تبعك من المؤمنين قال بن عباس فصعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم الصفا فهتف ياصباحاه
يابنى عبد المطلب يا بنى عبد مناف حتى ذكر الاقرب
فالاقرب من قبايل قريش فاجتمعوا اليه وقالوا

مالك قال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل اما كنتم تصدقوني قالوا بلى ماجربنا عليك كذبا قال فاني نذيركم نذير لكم بين يدي عذاب اليم شديد فقال ابو لهب تبا له الهذا جمعتنا ثم قام فانزل الله تعالى تبت يدا ابي لهب وتب الى اخر السورة قال ابن اسحق ولم يكن من قريش في دعائه لهم مباعدة له ولكن ردوا عليه بعض الرد حتى ذكر الهتهم وعابها وسفه احلامهم في عبادتها فلما فعل ذلك اجمعوا على خلافه وتظاهروا بعداوته الا من عصمه الله تعالى منهم بالاسلام وهم قليل مستخفون فصار بعموم الانذار والجهر بالدعاء الى التوحيد والاسلام عام النبوة مبعوثا الى كافة الامة فكمل الله تعالى بذلك نبوته وتمم به رسالته فصدع بامره وقام بحقه وجاهر بانذاره وعم بدعائه وجاهد في الله حق جهاده حتى خصم قريشا حين جادلوه وصابرهم حين عاندوه وجمعهم وجمعهم عفير وجمعهم كثير الى ان علت كلمته وظهرت دعوته وكابد من الشدائد ما لا يثبت عليها الا معصوم ولا يسلم منها الا منصور وكل هذه ايات تنذر بالحق وتلايم الصدق لان

الله لا يهدي

الله لا يهدى كيد الخائنين ولا يصلح عمل
المفسدين

فصل

فاما ما شرعه من الدين فالشرع بعد التوحيد
يشتمل على قسمين عبادات واحكام فاما العبادات
فلم يشرع منها مدة مقامه بمكة الا الطهارة
والصلاة حين علمه جبريل الوضوء والصلوة
وكانت فرضا عليه وسنة لامته لقول الله
تعالى يا ايها المزمل قم ~~فانذر~~ الليل الا قليلا نصفه
او انقص منه قليلا او زد عليه فكان هذا حكمها
فى حقه وحقوق امته الى ان فرضت الصلوات
الخمس بعد اسرائه من المسجد الحرام الى
المسجد الاقصى وذلك فى السنة التاسعة
من نبوته فصارت الصلوات الخمس فرضا عليه
وعلى امته ولم يفرض ما سواها من العبادات حتى
هاجر الى المدينة وصارت له بالاسلام دارا وصار
اهلها انصارا فاول ما فرض بالمدينة من العبادات
فرض الصلوات الخمس بمكة صيام شهر رمضان
فى الثانيه من الهجرة من شعبان وفيها حولت
القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة وفرض فيها
زكوة الفطر وشرع فيها صلوة العيد وكان فرض
الجمعة قد تقدم فى اول الهجرة بدلا من صلوة

الظهر ثم فرضت زكوة الأموال بعد ظهور القوة
وسد الخلة ثم الحج والعمرة واما الأحكام فما اوجبته
قضايا العقول من تحريم القتل والزنا كان مشروعا
بمكة مع ظهور انذاره وما تردد في قضايا العقول
بين فعله وتركه كف عن الحكم فيه بتحليل
او تحريم اوحظر او اباحة او استحباب اوكراهة
فلم يحلل بمكة حلالا ولا حرم بها حراما حتى هاجر
منها فحلل بعد الهجرة وحرم واباح وحظر لأنه
كان بمكة مغلوبا باستيلاء قريش عليها
وكانت دار شرك لا ينفذ فيها احكامه فلم
يحلل ولم يحرم حتى صار بالمدينة في دار اسلام
تنفذ فيها احكامه فبين ما حلل وحرم وميز
ما اباح وحظر وبين ما يصح من العقود وما يفسد
ولذلك كان بالمدينة بمكة مسالما وبالمدينة محاربا
فكانت الحكمة موافقة لأفعاله والتوفيق
معاضدا لأقواله وان كان مأمورا بها كما قال
الله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى لكن لحسن قيامه بها وموافقة الصواب
في مواضعها تظهر آثار حكمته في صحة حزمه
وصدق عزمه فهذه جملة مقنعة في اعلام
نبوته وقاعدة مستقرة في ترتيب رسالته

واعلم تربيته

واحكام شريعته فاما احكام جهاده
فى حروبه وغزواته فسنذكره ؟.
فى كتاب نفرده فى سيرته توضح
به مواقع اعلامه ومبادى
احكامه وبالله
التوفيق تم الكتاب
الاتكال

تم بعون الله تعالى